القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10397 الأحد 26 أيلول (سبتمبر) 2021 – 19 صفر 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10397 Sunday 26 September 2021

حوار: وزير الصحة الأردني فراس الهواري

قلعة طرابلس اللبنانية: حاضنة أربع حضارات

ريال مدريد: تغييرات أنشيلوتي التي أنست زيدان

تسخين في إدلب قبل قمة بوتين وأردوغان 03

منصف الوهايبي: إسلامنا الآسيوي الآخر 23

اختبار خارق يكشف الزهايمر خلال دقيقتين 33

غواصات فرنسا: صراع الحلفاء أم «خيانة القرن»؟

للوهلة الأولى يبدو أمراً مألوفاً ومبرراً وغير جديد أن تبدل الدول تحالفاتها وحلفائها، أو أن تعلو المصالح القومية والتجارية والصناعية على أي اعتبارات أخرى كرسها حلف إقليمي أو قاري أو دولي، وبالتالي قد يبدو غريباً أن تُفاجأ الحكومة الفرنسية لأن حليفتين مثل الولايات المتحدة وبريطانيا عقدتا صفقة مع دولة ثالثة حليفة هي أستراليا، على حساب عقد توريد غواصات فرنسية وقعته حكومة كانبيرا واعتُبر «صفقة القرن». لكن باريس لا تبدو مقتنعة بهذه الخلاصة، فرأت في الأمر «طعنة في الظهر»، والأسابيع المقبلة سوف تكشف ما إذا كانت حكاية الغواصات صراعاً مؤقتاً بين الحلفاء أم خيانة القرن.

(حدث الأسبوع، ص 8 ـ 15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

السودان: صراع الشركاء على السلطة يحتدم والجماهير تأبى ديكتاتورية جديدة

يرفض قادة تحالف الحرية والتغيير توسعة التحالف ليشمل قوى أخرى يرونها غير مؤتمنة على عملية الانتقال ويتهمون العسكريين بانهم يستخدمون الأزمات من أجل السيطرة على المشهد.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: عمار عوض

ارتفعت حدة التوتر بين شركاء الحكم من المدنيين والعسكريين في السودان على خلفية فشل محاولة انقلابية يوم الثلاثاء الماضي، فيما يصل الخرطوم هذا الأسبوع مبعوث الولايات المتحدة للقرن الأفريقي جيفري فليتمان لدعم الانتقال في السودان بعدما أجرى مساعد وزير الخارجية الأمريكي مكالمة مع رئيس الوزراء عبدالله حمدوك أكد فيها دعمهم لقيادة المدنيين للانتقال في السودان.

فاق السودانيون يوم الثلاثاء على الأخبار العاجلة من الإذاعات والفضائيات تفيد بوقوع محاولة انقلابية وان الجيش يعمل على احتوائها ونهار نفس اليوم ظهر رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان ونائبه محمد حمدان في سلاح المدرعات الذي شهد وقائع الانقلاب الذي قالت مصادر عسكرية لـ«القدس العربي» يومها انه اقرب لـ«التمرد أو الاحتجاج» ليظهر رئيس الوزراء ويدعو لمحاكمة شفافة للانقلابيين ولمراجعة الشراكة على أسس جديدة وإعادة هيكلة القوات المسلحة وولاية وزارة المالية على المال العام بما في ذلك شركات القوات النظامية الاقتصادية ،ليأتي الرد في يوم الأربعاء من البرهان الذي شن هجوما كاسحا على قوى الحرية والتغيير متهما إياها بالفشل والتشظي والسعي خلف الكراسي الوزارية والمناصب، وقابله خطاب حاد من وزير رئاسة مجلس الوزراء خالد عمر يوسف متهما خطاب البرهان بانه الأخطر من الانقلاب نفسه وانهم جاهزون للمواجهة حال تراجع العسكريون عن الشراكة وان الفترة الانتقالية سنتنتهي بانتخابات وإعادة هيكلة الجيش.

وقال رئيس مجلس السيادة في حوار تلفزيوني الجمعة بدا فيه هادئا بعكس خطابه أمام جنوده في معسكر المرخيات الذي فجر الأزمة، انهم ملتزمون بنهج الشراكة القائم ولكن يريدون توسعتها لتضم قوى آمنت بالتغيير وساندته وقال «نحن نتحدث عن شراكة تضم ثلاثة أطراف وبها شركاء إقليميون ودوليون بدأت في الفترة الانتقالية من مدنيين وعسكريين وأضيف شريك آخر من قوى سلام جوبا ونريد أن نكمل سويا».

وتابع «لن يتغير نهج الشراكة ونحن نطالب بان تدمج أو تعاد تكوين قوى الثورة كما كانت في بداية الانتقال وتضاف لها القوى المؤمنة بالتغيير وهناك قوى كثيرة خارج الحرية والتغيير وعندها إيمان بأهداف المرحلة الانتقالية ومؤمنة بالتغيير يمكن أن يفسح لها المجال وتستشار في ما نحن فيه من أعمال جليلة تشكل مستقبل السودان».

وبشأن الانتخابات التي نفى أي اتجاه لإقامتها قبل وقت مبكر من موعدها قال البرهان «مفوضية الانتخابات هي واحدة من المفوضيات التي تتبع لمجلس السيادة أو التي يشرف عليها مجلس السيادة ونحن نرى أن الانتخابات لم يبق عليها سوى عامين من عمر الفترة الانتقالية ويحتاج هذا إلى عمل وجهد كبير ومساندة أصدقاء السودان والأسرة الدولية وتشاورنا ووجدنا أن هذا يحتاج عاما ونصف من تعداد سكاني وتوزيع دوائر ومطالب يعلمها الجميع لذلك كان لزاما علينا أن ننبه إلى ضرورة بداية هذه الإجراءات التي تؤمن بأنها تفضي إلى انتقال إذا قامت الانتخابات في نهاية الفترة الانتقالية حرة ونزيهة».

وأضاف بشأن الدستور «نؤمن بأن الدستور يحلحل كثيرا من القضايا بوضعها على الطاولة وتشخص فيه قضايا السودان المزمنة مثل الهوية والمواطنة والحقوق المتساوية للمواطنين والملكية والأراضي والحواكير وكثير من الأمور ولو توافقنا على دستور حتما سينظمها ويضع السودانيون بصمتهم وما يتمنوا أن يروا عليه السودان، ونحن فترة انتقالية توافقية ولا أظن تتكرر مرة أخرى وما أرجوه هو أن يتوافق كل السودانيين على دستور يلبي كل طموحاتهم حتى إذا أتت حكومة منتخبة لا تستطيع أن تجير الدستور لأي جهة».

وعن تفاصيل المحاولة الانقلابية أكد البرهان انهم كانت لديهم معلومات استخبارية عن الانقلاب ولكنهم انتظروا حتى يقع التحرك ليقوموا بالقبض عليهم حتى تسهل محاكمتهم. وقال «حدث تغيير في قانون القوات المسلحة ما آخر كثيرا من المحاكمات وهذا التعديل ليس مماطلة ولكن مزيدا من توفير الفرصة للشخص ليدافع عن نفسه، وفي السابق كان الذي يرتكب جرما واضحا لا يحتاج لإجراءات كثيرة، وكان يقدم مباشرة للمحاكمة لكن الآن كل شخص له الحق بجلب محاميه ويدافع عن نفسه وما لم يقبض بالجرم المشهود ستكون هناك صعوبة لتقام عليه دعاوى قضائية ونحن في هذه المحاولة انتظرنا حتى يتلبس ويرتكب الأفراد الجرم بالثابتة حتى يسهل تقديمهم للمحاكمة».

وفي مقابلة تلفزيونية بثت أمس على تلفزيون السودان قال عضو مجلس السيادة الانتقالي محمد الفكي سليمان، إن ائتلاف قوى الحرية والتغيير الحاكم لم يسمح لرئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان بإقحام قوى في الائتلاف للتحكم في المعادلة السياسية.

وفنّد في المقابلة خطاب المرخيات الذي ارتجله البرهان الأربعاء الماضي أمام قواته وشن فيه هجوما على المكون المدني.

واستهجن الفكي وهو المتحدث باسم المجلس السيادي، ردة فعل البرهان على تغريدته التي دعا فيها السودانيين لحماية الانتقال صبيحة انقلاب فاشل الثلاثاء الماضي، قائلا «رد البرهان أربك كافة السودانيين».

واعتبر حديث البرهان «أخطر من الانقلاب الذي حدث» قائلا إن الهدف من الحديث عن انقسام القوى السياسية هو إنتاج قوى سياسية يتحكم فيها المكون العسكري.

وتابع: «نقول تحديدا لا للقوى السياسية التي يريد البرهان إدخالها الحرية والتغيير. الحرية والتغيير أكبر تحالف سياسي يشهده السودان وهي الآن في أفضل حالاتها وتوسعت لتشمل الجبهة الثورية شريك السلام».

وأكد المتحدث باسم مجلس السيادة أن هناك محاولة لتغيير المعادلة بحيث تتسق أو تمثل الطرف الآخر وهذا هو الانقلاب الآخر أو الانقلاب الأبيض ـ بحسب تعبيره.

وأشار إلى أن «البرهان عندما يقول هناك مفاوضين اختفوا نقول له أيضا هناك عسكريين اختفوا من المشهد» وأوضح أن التكتم على العمليات الانقلابية السابقة غير مفهوم.

ورفض حديث البرهان المتعلق بوصاية الجيش على البلاد، وقال «لا. أنت لست وصيا على البلاد» وأضاف أن رئيس مجلس السيادة لا يختلف عن بقية أعضاء المجلس في الصلاحيات.

وشدد أن انتقادهم للبرهان وأعضاء مجلس السيادة من المكون العسكري بحكم مناصبهم السياسية لا يعني انتقاد المؤسسة العسكرية التي هي مستقلة وبعيدة عن النقد الذي يوجه للسياسيين، وحيا القوات المسلحة التي أعادت كرامة وأراضي السودانيين.

واعترف الفكي بأن ثمة إغلاقا شاملا للعملية السياسية وأن العلاقة بين المكونين المدني والعسكري ليست بخير لجهة أن اجتماعات مجلس السيادة خلال شهر لم تستطع أن تصل إلى توافق على رئيس القضاء والكثير من الملفات ونصح بأهمية تجنب المزايدات لأن طريقها محفوف بالمخاطر.

وبشأن انتقال رئاسة المجلس السيادي للمدنيين قال إن أحد أعضاء المجلس طلب فتوى من وزارة العدل لتحديد توقيت تولي المدنيين لرئاسة المجلس السيادي، وزاد «نحن نتحدث عن تسليم السلطة للمدنيين في نوفمبر المقبل».

وعاب الفكي على البرهان حديثه في خطاب المرخيات عن الفشل الاقتصادي لأنه يعني فشل كل الحكومة ودافع عن برامج إصلاح الاقتصاد الذي بدأت تظهر ثمارها، من خلال انخفاض التضخم بنسبة 35 في المئة.

وقال إن انخفاض التضخم سيتوالى لأن الحكومة لأول مرة منذ عشر سنوات لديها رصيد الآن من النقد الأجنبي وبدأت الأسعار في الثبات ويتوقع انخفاضها خلال شهر.

وأكد أن الرواتب ستزيد بعد كانون الأول/ديسمبر المقبل ولكن هذه المرة سيرافقها استقرار في السوق وانخفاض التضخم وثبات الميزان التجاري، وذكر أن هناك بشرى كبيرة لمستقبل الاقتصاد والوضع المعيشي ما يتطلب حفز الناس للعودة إلى الإنتاج.

وطالب الجهاز التنفيذي بأن يهتم أكثر بشريحة المغتربين الذين ساهموا في الفترة الأخيرة بعودة الثقة إلى التعامل المصرفي ما انعكس على استقرار سعر صرف الدولار وضرب السوق الموازي.

ومن المتوقع أن يصل الخرطوم هذا الأسبوع مبعوث الولايات المتحدة للقرن الأفريقي جيفري فيلتمان بحسب ما قال مستشار الأمن القومي الأمريكي جيك سوليفان الجمعة: «جيفري فيلتمان المبعوث الأمريكي الخاص سيتوجه إلى السودان الأسبوع القادم للتأكيد على الدعم الأمريكي لهذا البلد بعد محاولة الانقلاب».

وقال مجلس الأمن القومي في بيان إن سوليفان شدد في اتصال هاتفي مع رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك على أن «أي محاولة من جانب عسكريين لتقويض روح الإعلان الدستوري للسودان والمعايير المتفق عليها ستكون لها عواقب خطيرة على العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والسودان وعلى المساعدات المزمعة».

ونوه إلى أن وزارة المالية تدفع رواتب جميع المؤسسات العسكرية بما فيها قوات الدعم السريع، وزاد «ويجب أن تدفعها لأنهم موظفون في الدولة».

وبحسب بيان البيت الأبيض الذي قال «تحدث مستشار الأمن القومي سوليفان عبر الهاتف في 24 الجاري مع رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك. وأعرب سوليفان عن التزام إدارة بايدن بدعم الانتقال الذي يقوده المدنيون إلى الديمقراطية في السودان ومعارضة أي محاولات لعرقلة أو تعطيل إرادة الشعب السوداني». وأكد سوليفان «أن أي محاولة من قبل الجهات العسكرية لتقويض الروح والمعايير المتفق عليها للإعلان الدستوري السوداني ستكون لها عواقب وخيمة على العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة والسودان والمساعدة المخطط لها». وأضاف البيان «ناقش سوليفان ورئيس الوزراء حمدوك أهمية أن تحرز الحكومة الانتقالية تقدمًا مستمرًا لتحقيق الاستقرار في الاقتصاد، وإصلاح قطاع الأمن تحت قيادة مدنية، وتعزيز عملية السلام في السودان، وضمان العدالة والمساءلة عن الانتهاكات السابقة». وبالمقابل قال إعلام مجلس السيادة الانتقالي أن رئيس المجلس عبد الفتاح البرهان خاطب اجتماعا لقادة دول العالم لمجابهة تحديات فيروس كورونا الجمعة عبر الوسائط الإلكترونية بدعوة رسمية من الرئيس جو بايدن في أول تواصل رسمي بينهما منذ تسلم بايدن مقاليد الحكم في الولايات المتحدة من سلفه دونالد ترامب الذي هاتف برهان في وقت سابق أثناء ضغطه لتوقيع التطبيع مع إسرائيل «اتفاقات ابراهام» وبعد رفع العقوبات عن السودان أيضا.

ومن الواضح من خطابات الطرفين وتصريحاتهم أن نقاط الخلاف الذي تفجر بشكل مفاجئ وعنيف تتمثل في رغبة العسكريين في توسيع تحالف الحرية والتغيير ليضم قوى جديدة آمنت بالتغيير ولكنها أبعدت بدعوى أن المرحلة الأخيرة من عمر الفترة الانتقالية والتي ستشهد التحضير للانتخابات والدستور، تحتاج إلى اجماع أكبر من القوى السياسية، كما يريدون الاستمرار في رئاسة مجلس السيادة الحالي لوقت غير معلوم والاستفادة من الاستقرار المتوقع بفعل الدعم الخارجي الذي يرون انهم دفعوا فاتورتها بقراراتهم التي ساعدت لرفع اسم السودان من لائحة الإرهاب وأعفاء ديونه وانهم لا يريدون أن يخرجوا من القيادة في أيام الاستقرار بعد ما تحملوا تبعات سنوات التضحير القاسية إلى السودان الأسبوع القادم للتأكيد بجانب قيادة العمل العسكري والأمني وكل ما يتعلق بهما بدعوى أن الاضطرابات الواقعة في دول الجوار مثل تشاد وجنوب السودان وليبيا وأفريقيا الوسطى والحرب مع اثيوبيا تهدد استقرار السودان ووجوده، مع إحكام سيطرتهم على المشهد القائم منذ توقيع الوثيقة الدستورية ومعرفة ما ستسفر عنه التحقيقات فيما يخص فض الاعتصام.

فيما يريد المدنيون رئاسة مجلس السيادة وفق ما نصت الوثيقة الدستورية بأن تؤول لهم السلطة في تشرين الثاني/نوفمبر لمدة 19 شهرا حتى قيام الانتخابات في تشرين الأول/أكتوبر العام 2023 باعتبار أنه استحقاق دستوري صبروا على أن يكونوا اليد السفلى طوال المرحلة الأولى ما أحرجهم كثيرا أمام جماهيرهم، وان يقودوا هم المتبقي من إكمال عملية السلام مع جني ثمار التحسن الاقتصادي المتوقع بعد عامي التحضير الذي شهد رفع العقوبات وأعفاء الديون الذي لعب فيه حمدوك دورا مثل ما لعب فيه البرهان دورا باتخاذ قرارات التطبيع والموافقة على العلمانية وتوقيع اتفاق السلام، ويرفض قادة تحالف الحرية والتغيير الموجودين والممثلين في مجلس الوزراء توسعة التحالف ليشمل قوى أخرى يرونها ستكون غير منسجمة معهم وغير مؤتمنة على عملية الانتقال نفسها ويتهمون العسكريين بانهم يستخدمون الأزمات في الشرق والغرب والخرطوم من أجل تحقيق ما يريدونه من سيطرة على المشهد.

ومن نافلة القول أن المجتمع الدولي والإقليمي يلعب دورا مهما في تحجيم هذا النزاع فهو من عقد للشركاء من مدنيين وعسكريين قرانهم بعد فض الاعتصام ويمكن أن يساعد في ترجيح كفة الذي يحقق له مصالحة.

لكن القول الفصل في حسم هذا النزاع يتمثل في قرب أي من الشركاء من الجماهير وقدرته على استمالتها للوقوف معه في خطه، وهو العامل الفيصل.

أحزاب الحرية والتغيير أو لنقل المتبقي منها داخل مجلس الوزراء، أن استطاعت إعادة الجماهير إلى الشارع للضغط على العسكريين لتسليم السلطة لها ستكون رابحة بالطبع، لكن هذا يعتمد على طبيعة العلاقة بينها والشارع العام وهي شابها ما شابها من تجريف خلال العامين الماضيين بفعل سوء الأداء والتأخر في مطالب الثورة من محاكمات ونتائج تحقيقات وواقع اقتصادي مأزوم، على الرغم من أن كثيرا من النخبة الثورية «أحزاب اليسار من الشيوعيين وقوى شبابية أفرزتها الثورة» لا يرغب في عودة الشمولية بأي حال من الأحوال ولديه مطالب تسليم البشير للجنائية ومحاكمة قتلة الشهداء وقوانين التحول الخاصة بالنقابات والنيابة وإصلاح المؤسسة العسكرية، ويتحفظ على أداء النخبة السياسية الموجودة داخل الحكومة الحالية ويطالبها دفع الثمن الثوري مقدما.

فيما يلعب «حزب الكنبة» وهم الجمهور غير المسيس عامل الحسم الرئيس وهو الذي حال انضمامه لقوى التغيير الموجودة في الحكومة سيحسم النزاع بالضربة القاضية، فلأي الفريقين سينحاز يا ترى؟

إدلب: قصف روسي وإعادة انتشار تركي يستبق قمة سوتشي بين بوتين واردوغان

بانتظار قمة اردوغان-بوتين بعد أيام يستمر التصعيد والقصف الروسي في إدلب، ويبقى مصيرها مرهونا في التوصل إلى تفاهم جديد، والأمور تتجه إلى عملية قضم جديد في إدلب.

منهل باريش

ارتفعت حدة التصعيد العسكري في شمال غرب سوريا، مع وصول صواريخ القاذفات الروسية لعدة مناطق حدودية مع تركيا خلال الأسبوع الأخير، وقصف أرياف جسر الشغور الواقعة شمال طريق حلب–اللاذقية/M4 وتكثيف القصف على مناطق العالية وتل الكبانة والغسانية غربي جسر الشغور. ويعتبر تسخين الجبهات على الطريق الروسية معتادا في إطار الحديث عن حل عقدة طريق M4 الأخطر هو القصف المتفرق بين حين وآخر على منطقة دارة عزة.

وتشكل المنطقة نقطة تلاقي لسيطرات ثلاث، وحدات حماية الشعب الكردية والنظام السوري والمعارضة السورية. وتغيرت طبيعة تلك المنطقة عدة مرات خلال الحرب السورية، أهمها يوم التدخل التركي بعفرين في ربيع 2018 حيث طرد الجيش التركي بمساندة برية من فصائل المعارضة وحدات الحماية الكردية، لكن أوقفت روسيا العملية ولم تسمح لتركيا باستكمال المعارك وهو ما أبقى جيبا لا بأس به في ريف حلب الشمالي للمقاتلين الأكراد، منه السفح الغربي لمنطقة جبل الأحلام المطل على الباسوطة وبراد الكردية.

وجرى تغير في طبيعة المنطقة خلال شهري كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) 2020. حيث قضمت قوات النظام والميليشيات الإيرانية منطقة ريف حلب الغربي وجبل الشيخ عقيل وحاصرت نقطة المراقبة التركية الثالثة في الجبل، وهي واحدة من أهم النقاط الاستراتيجية في الشمال السوري باعتبارها الأقرب إلى نبل والزهراء ـ قاعدتي التمركز الإيراني في ريف حلب الشمالي وتشرف على ريف حلب الغربي وطريق حلب–اعزاز ومن جهة أخرى شكلت ثالث النقاط التركية المحاذية لعفرين من الجنوب وورقة الضغط على المقاتلين الأكراد.

وشهدت المنطقة في شباط (فبراير) 2020 مقاومة كبيرة من قبل الجيش التركي وفصائل المعارضة السورية لمنع سقوطها والسيطرة على طريق دارة عزة –الباسوطة. ودارت معارك عنيفة مع جيش النظام والميليشيات الإيرانية المتقدمة من نبل والزهراء، دمر رماة صواريخ المعارضة عدة دبابات وعربات للقوات المتقدمة، وتعرض فيها رامي لصواريخ التاو الأشهر في المعارضة سهيل حمود المعروف «سهيل أبو التاو» ورفاقه إلى إصابة في قصف جوي، نجوا منه بأعجوبة، ساعد في ذلك الطبيعة الجبلية الوعرة للغاية، حيث منعت صخور المنطقة من تمزيق أجسادهم.

وفي السياق، لم تسلم مناطق غرب إدلب من القصف خصوصا مناطق عرب سعيد والشيخ بحر، كما قصف الطيران الحربي الروسي محيط بلدة الفوعة.

ولم تسجل مراصد المعارضة السورية المتخصصة برصد حركة الطيران الحربي في سوريا أي مشاركة لطيران النظام منذ آذار (مارس) 2020 فقد غابت مشاركته بعد إسقاط عدة طائرات بصواريخ المعارضة السورية والدفاعات الجوية التركية عقب التوتر الذي حصل ومقتل الجنود الأتراك في معسكر بيلون بجبل الزاوية جنوب إدلب والذي أسفر عن مقتل 37 جنديا تركيا وهو ما أشعل اشتباكا بين الجيش التركي وقوات النظام، دفع تركيا إلى إشراك طائرات بيرقدار بدون طيار في المعركة لوقف هجوم النظام وحلفائه، توقف مع توقيع اتفاق موسكو بين الرئيسين فلاديمير بوتين ورجب طيب اردوغان في 5 آذار (مارس) 2020.

على صعيد سياسي، يستشعر الرئيس التركي خطورة التصعيد في منطقة «خفض التصعيد» الرابعة والمتبقية من مناطق تفاهماته مع الرئيس الروسي. ويحاول استباق هجوم وشيك في إدلب، فرتب قمة ثنائية، تعقد في 29 أيلول (سبتمبر) الجاري، لن يحضرها وفدا البلدين بداية، وستقتصر على الزعيمين فقط. بالتأكيد فإن القمة لن تختصر بالحديث عن إدلب، فهناك عدة ملفات بحاجة إلى تفاهمات بين الرجلين، منها «إنشاء طريق وسكة حديد يصلان بين ولاية إغدير شرقي البلاد وأذربيجان». لكن تبقى إدلب والحدود الجنوبية التركية والقضية السياسية في سوريا، حيث يستحوذ اللقاء على أهمية بالغة، حسب ما أشار اردوغان في تصريحاته للصحافيين، الخميس، في «البيت التركي» في نيويورك على هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة. وقال اردوغان في تصريح صحافي، الجمعة لصحيفة «حرييت» التركية «إن النظام السوري، يشكّل تهديدًا لنا هنا في جنوبي بلادنا» مضيفا أنه ينتظر الكثير من الرئيس الروسي «في ظل تواجد النظام السوري على الحدود الجنوبية المتاخمة لتركيا».

بالإضافة إلى الحديث السياسي، يستخدم اردوغان ورقة الاقتصاد للضغط على روسيا بشأن الملفات السورية والأخرى الإقليمية، فيؤكد سعي بلاده لتعزيز العلاقات مع روسيا، وخصوصا الاقتصادية حيث يسعى إلى رفع حجم التبادل التجاري مع موسكو إلى 100 مليار دولار أمريكي. وفي مقابل هجومه على الرئيس الأمريكي جو بايدن يصف الرئيس بوتين أنه «رجل دولة، حسب ما أظهر في حل الصراع الأذربيجاني–الأرميني».

لا تكتفي تركيا، بالطريق السياسي والاقتصادي للتخفيف من التوترات في إدلب، على العكس من ذلك. فتجربة الهجوم على منطقة «خفض التصعيد» الرابعة (إدلب وجوارها) منذ نيسان (ابريل) 2019 حتى آذار (مارس) 2020 تعتبر درسا إليما لأنقرة، أخلت موسكو فيها بمجمل تفاهماتها.

الأمر الذي انعكس على الميدان خلال الأسبوعين الماضيين، حيث دفعت أنقرة بالمئات من جنودها وعشرات المدرعات التركية بوتيرة مطردة، وأعادت انتشارها في عدة مناطق، وعززت خواصر الجبهات الرخوة ورفعت سواتر إضافية وبنت خطوطا دفاعية خلفية على بعد نحو 5 كم من الخطوط الأمامية لفصائل المعارضة. فبلغ مجموع قواعدها جنوب طريقM4 قرابة الثلاثين قاعدة ونشرت مدافع ودبابات وأسلحة ثقيلة أخرى.

من جهة أخرى، حمل نائب رئيس مركز المصالحة الروسي في سوريا، اللواء فاديم كوليت، مسؤولية التصعيد في إدلب إلى هيئة «تحرير الشام» مشير أنها نفذت 26 هجوما، 11 عملية قصف في إدلب، و11 في محافظة اللاذقية، و3 في محافظة حماة. حلب، وعملية في محافظة حماة.

إلى ذلك، اعتبر وزير خارجية النظام السوري، فيصل المقداد، أن، دمشق تعتبر وجود تركيا في سوريا عملا من أعمال الاحتلال، وتريد أن ترى أنقرة تسحب قواتها على الفور». وقال مقداد في تصريحات لوكالة «سبوتنيك» الروسية، الأربعاء «السبب الرئيسي للتصعيد في إدلب هو الاحتلال التركي والدعم الذي تقدمه تركيا للجماعات الإرهابية هناك».

وطالب أنقرة بـ «الانسحاب فورا وعلى المجتمع الدولي دعم الجهود السورية لتحرير الأراضي المحتلة في شمال البلاد».

بانتظار قمة اردوغان–بوتين بعد أيام في منتجع سوتشي، يستمر التصعيد والقصف الروسي في إدلب، ويبقى مصير إدلب مرهونا في التوصل إلى تفاهم جديد، أما في حال انتهاء اللقاء والاتفاق على تثبيت الوضع القائم على ما هو عليه، فإن الأمور ستتجه إلى عملية قضم جديد في إدلب، ومن غير المستبعد أن يتعهد الرئيس اردوغان بتطبيق اتفاق آذار (مارس) 2020 ويجبر فصائل المعارضة على الخروج من «الممر الأمني» على جانبي طريق M4 وإعادة تشغيل حركة الترانزيت.

في حين يبقى مصير جبل الزاوية مجهولا، ووضع مدينتي جسر الشغور وأريحا الواقعتين ضمن «الممر الأمني» أبرز معضلات التطبيق.

إدلب

إسرائيل تحول الصراع دينيا فهل سيكون

القضية الفلسطينية ليست صراعا بين مسلمين ويهود، إنها مقاومة لاحتلال سرق الأرض، احتلال وفصل عنصري واستعمار، فيما الجانب الإسرائيلي يحاول أن يوجه الأمر ليصبح صراعا دينيا.

رام الله ـ «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

تشير عملية العد التي يقوم بها فلسطينيون كثر وبشكل يومي للمستوطنين الذين يقتحمون المسجد الأقصى إلى ارتفاع أعداد المقتحمين من جماعات الاستيطان، فالأمر الذي بدأ بمقتحم واحد وبحراسة مشددة من الشرطة الإسرائيلية قبل سنوات ومن ثم صار العدد اثنين فثلاثة، ومع مرور الوقت وصلت الأرقام إلى المئات وتحديدا مع فترة الأعياد اليهودية التي كانت تتويجا لجهود طويلة قام بها المستوطنون وأكثر من 28 جمعية صهيونية تنشط في المسجد الأقصى.

خلال فترة الأعياد اليهودية عيد الغفران وعيد العرش، التي مرت الأسبوع الماضي وعيد فرحة التوراة في 27 من الشهر الجاري حدثت تطورات في الاقتحام الصهيوني للمسجد الأقصى الذي ينظر إليه الفلسطينيون باعتباره مكانا مركزيا في القضية الفلسطينية. خلال فترة الأعياد تضاعفت الأعداد، (خلال عيد العرش لوحده اقتحم المسجد الأقصى 1891 مستوطنا بحسب مصادر إسرائيلية) وأصبحت الصلاة في باحات المسجد فعلا مألوفا، فيما النفخ في البوق تزايد وجلب بعض المستوطنين الأثاث على باب مقبرة الرحمة.

كل هذه الأعمال اليومية تؤجج فعلا فلسطينيا شعبيا وتعزز من تصورات الصراع الديني بين الفلسطينيين والحركة الصهيونية اليهودية.

الدكتورة هنيدة غانم، الباحثة الفلسطينية في علم الاجتماع، ومديرة المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار» تؤكد أن المركب الديني موجود منذ البداية في قلب المشروع الصهيوني الاستعماري لفلسطين، وما تلاحظه اليوم يتمثل في تعزيز عملية اخضاعه للفكرة القومية العلمانية، وهو أمر يكبر لدرجة أن سماته الأساسية تظهر في كل المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية.

وتضيف: «المشروع الصهيوني اليوم يستخدم الميثولوجيا (الأساطير والخرافات) والرواية التوراتية أكثر وأكثر، فسياسات الاحتلال تأخذ الصراع لمكان فيه المكون الديني قوي للغاية، نرصد ذلك من خلال مظاهر الاقتحام للحرم في الأقصى وفي الحرم الإبراهيمي في الخليل، وفي أماكن أخرى في عموم الضفة الغربية.

وتتابع «هذا الأمر يترافق مع زيادة كبير في عدد المتدينين داخل المجتمع الإسرائيلي، فهناك زيادة في مظاهر التدين ومن يمارس الشعائر الدينية، وهذا انعكس على ظهور جماعات متطرفة ومتزمتة قوميا ودينيا.

المفارقة الكبيرة بحسب الباحثة غانم أنه قبل فترة طويلة كان الدخول إلى الحرم المقدسي محرما عند اليهود، وهو ما تم تجاوزه حيث ظهرت تيارات دينية كسرت ما كان «تابو» وأصبحوا اليوم موجودين بقوة.

والجديد بحسب غانم أن الصراع تدحرج ليكون دينيا، وهذا انعكس على الجانب الفلسطيني في ظل تعزيز الفعل الإسرائيلي للبعد الديني في الصراع، «القضية ركبت على محمل ديني رغم كونه صراعا استعماريا استيطانيا تلخصه جملة أن هناك من جاء وسرق مكاني».

الخطورة من وجهة نظر الباحثة التي تسكن مدينة القدس تتمثل في حال تساوق الفلسطيني مع الرغبة الإسرائيلية، عندها يصبح الصراع بين روايتين متساويتين وهذا يجعل الفلسطيني يخسر بشكل كلي. الصراع بالنسبة لليهود والحديث لغانم هو مشروع عودة وبداية للخلاص الديني، لكن من وجهة نظرنا نراه مشروعا وطنيا في مقابل مشروع استيطاني اتخذ من الدين ومركباته شرعية لنفسه.

وترى هنيدة في تحول الصراع على هذا النحو نزولا في مستوى المواجهة بحيث تصبح بين سرديات مقابلة لبعضها البعض، الأقصى في مقابل الهيكل. وهذا مطلب إسرائيلي، وهو مريح لها، أي أن يتحول إلى سرديات دينية متنافسة، ومسألة ايمان ثيولوجي، وفي حال تحقق ذلك سنكون في المربع الخاطئ والخاسر أيضا.

سألنا الباحثة غانم عن تراجع الحركة الوطنية وتياراتها في موضوع القدس وهو ما جعل مساحة النضال اليومي من نصيب حركات بتوجهات دينية وقد يقود ذلك للفكرة التي تريدها دولة الاحتلال فقالت «ليس هناك فراغ، مسألة تقلص العمل الوطني سيدخل تيارات دينية بديلا عنها، وعلى التيار الوطني مسؤولية كبيرة وعليه أن يكون مدركا لها، وهنا لا يمكن أن ننكر الجهود التي تبذلها جهات ذات خلفيات دينية في تثبيت الوجود الفلسطيني بالأقصى عبر مبادرات كثيرة، لكن المهم أن لا نتساوق مع فكرة أن محور الصراع دينيا».

التقسيم المكاني

خليل التفكجي، مدير دائرة الخرائط ونظم المعلومات الجغرافية في بيت الشرق أكد في حديث صحافي أن الجانب الإسرائيلي يستخدم اقتحامات المستوطنين والسياحة الدينية التي بدأت في بضعة أشخاص ومن ثم بضع عشرات حتى أصبحت بضع مئات كبالونات اختبار، ومن دون موقف حاسم سيتعزز ذلك.

وأضاف التفكجي: «كل الجهود الفلسطينية لم تكن بالمستوى الذي يمنع استمرار اقتحام المسجد الأقصى، منذ 67 كان هناك اتفاق على دخول المستوطنين باستخدام بطاقات، بعد الانتفاضة الثانية 2002 ضرب الجانب الإسرائيلي بعرض الحائط كل الاتفاقات حيث ثبت التقسيم الزماني وعلى فترتين، وما يجري اليوم هو تفاصيل صغيرة تؤسس لمخطط إقامة كنيس في منطقة باب الرحمة تماشيا مع الأسطورة الدينية، وهو ما يعتبر خطوة متطورة للتقسيم المكاني.

ويرى الباحث تفكجي أن السلوك الإسرائيلي الذي يقابله ردود فعل باهتة يعزز الصراع الديني، فالجانب الأردني لم يصل موقفه لحجم التطور الحاصل، وهو ما يعزز أن يصبح الصراع دينيا، وبالحقيقة هو ليس كذلك، إنه ليس صراعا بين يهود ومسلمين، انما هو احتلال واستعمار وبزواله ينتهي الصراع.

ويتابع: «كان يعيش بيننا اليهود، نتزوج منهم ونحضر احتفالاتهم، ولديهم أملاك بالقدس منذ الفتح العمري».

ويؤكد أن القضية الفلسطينية قضية عالمية، وليست صراعا بين مسلمين ويهود، إنها مقاومة لاحتلال سرق الأرض، احتلال وفصل عنصري واستعمار، فيما الجانب الإسرائيلي يحاول أن يوجه الأمر ليصبح صراعا دينيا.

ويرى التفكجي أن أقطاب الحكومة الإسرائيلية متفقة على شيء واحد وهو تهويد القدس، وهناك برنامج محدد تقوم الأحزاب على اختلافها لتطبيقه، والأمر مرتبط بالمواقف المحلية والدولية فعندما تكون الظروف مواتية يتضاعف الأمر، وعندما لا تصبح مواتية يتم تخفيف حدة العمل على التهويد.

ويعتبر التفكجي أن الظروف في هذه الأيام مواتية بشكل كبير، هناك حالة التطبيع مع العالم العربي الذي رمى القضية الفلسطينية خلفهم، أما الأوروبيون فهم مشغولون بقضيتهم الخاصة.

ويختم قائلا: «جهود التقسيم المكاني قائمة ومشروع بناء كنيس داخل ساحات الأقصى جاهز وخططه تنتظر التنفيذ، وفي حال بقي الوضع كما هو سنصبح على خبر إقامة كنيس يهودي في ساحة الأقصى، لا سمح الله».

ويسلم الاحتلال مصلحة الاستيطان اليهوديّ في منطقة البلدة القديمة وشرق القدس (التي يسكنها ما يزيد عن 220 ألف مستوطن) لجمعيّات أيديولوجية متخصصة وحركات يهودية مثل جمعية عطيرت كوهنيم التي تأسست في سبعينيات القرن الماضي، وجمعية إعاد التي تأسست في ثمانيات القرن الماضي، وحركة تجديد الهيكل المهتمة بحشد الجمهور وإثارة رأي الجمهور فيما يتعلق بالهيكل وتهويد الحرم المقدسيّ، وحركة معهد الهيكل، وحركة متطوعون لتشجيع الصعود إلى الهيكل، وحركة المخلصون للهيكل، وحركة عائدون إلى الهيكل..الخ وجلها تمارس أعمالا على مدار الساعة تعزز من تصورات أن الصراع أساسه ديني.

الفلسطينيون في المربع الخاطئ والخاسر؟

مبررات التصعيد والتجاوزات الإيرانية في العراق

التصعيد الإيراني واستمرار قصف القاعدة الأمريكية في أربيل رسالة بأن إيران لن تقوم بعملية سد الفراغ بعد الانسحاب الأمريكي فحسب، بل ستعمل لتخريب أي نوايا لادامة العلاقات العراقية الأمريكية.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

لم تمر سوى أيام على زيارة رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي إلى إيران، وأحاديث المسؤولين الإيرانيين خلالها، عن التعاون الاستراتيجي بين البلدين، حتى توالت العديد من مؤشرات التصعيد الأمني والاقتصادي والسياسي الإيراني على الساحة العراقية.

ورغم حرص حكومة بغداد على عدم إظهار الخلافات العميقة بين البلدين، إلا ان تصريحات المسؤولين الإيرانيين التي صاحبها قصف الأراضي العراقية، إضافة إلى إصرار طهران على عدم بحث قطعها الأنهار عن العراق، دفع مسؤولين عراقيين للرد العلني على هذه التجاوزات.

فقد عبّرت رئاسة أركان الجيش العراقي، عن استغرابها من تصريحات رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية، محمد حسين باقري، بشأن وجود تحركات معادية لإيران انطلاقا من الأراضي العراقية. وقالت في بيان «نعرب عن استغرابنا للتصريحات غير المبررة التي نسبت أخيرا إلى باقري، بشأن وجود تحركات معادية من الأراضي العراقية تجاه إيران» مؤكدة ان «العراق يرفض بشدة استخدام أراضيه للعدوان على جيرانه» ومشددة على «ضرورة التزام الجميع بلغة الأخوة والتعاون في العلاقات المشتركة».

ويرى المراقبون ان رد الجيش العراقي جاء بسبب توقعات بتصعيد القوات الإيرانية لقصف الأراضي العراقية وتزايد ملاحقة المعارضة الكردية فيها، فيما أكدت حكومة إقليم كردستان العراق، رفضها نبرة التهديد التي يطلقها المسؤولون الإيرانيون تجاه الإقليم.

العديد من النواب ووسائل الإعلام المحلية، استنكروا التهديدات والقصف الإيراني، باستهداف عناصر المعارضة الإيرانية المتواجدة في العراق، واعتبروها انتهاكا لسيادة العراق، مع التأكيد بان عناصر المعارضة الإيرانية في العراق ليس لديهم سوى النشاط الإعلامي ولم يكن نشاطا عسكريا كما يفعل حزب العمال التركي المعارض المتواجد أيضا في شمال العراق منذ سنوات ويشن هجمات داخل تركيا.

وكان رئيس هيئة الأركان العامة بالجيش الإيراني اللواء محمد باقري، حذر من تواجد المعارضة الإيرانية في شمال العراق، مهددا بأن «الجيش الإيراني سيستمر في مواجهتها» بحجة «عدم السماح لعملاء أمريكا والكيان الصهيوني والجماعات المعادية للثورة الإسلامية أن يتخذوا معسكرات للتدريب في الإقليم، أو إنشاء مخيمات ومحطات للإذاعة والتلفزة وتنظيم المؤتمرات».

وبالتزامن مع التصريحات الإيرانية، قام الحرس الثوري الإيراني بقصف أربعة مواقع تابعة لأحزاب كردية معارضة للنظام الإيراني، في إقليم كردستان شمال العراق. كما سبق للحرس الثوري ان قصف في التاسع من الشهر الحالي، بطائرات مسيرة وبالمدفعية مواقع للأحزاب الكردية الإيرانية في محافظة أربيل، إضافة إلى قيام الأجهزة الأمنية الإيرانية باغتيال اثنين من عناصر المعارضة في شمال العراق مؤخرا، وخطف عناصر آخرين من بغداد، من دون صدور أي استنكار رسمي عراقي على هذه التجاوزات.

ويرى المراقبون ان التصعيد الأمني الإيراني ضد المعارضة الإيرانية في شمال العراق، الذي تزايد مع وصول الرئيس الإيراني ابراهيم رئيسي، هو تكرار لسيناريو استهداف منظمة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة التي كانت تتواجد في العراق، عندما قامت الميليشيات الولائية بعد الاحتلال الأمريكي بقصف متكرر لمعسكرات المنظمة مع حملة خطف واغتيالات ضد عناصرها، ما دفع الأمم المتحدة لترحيل عناصر المنظمة إلى خارج العراق.

ولا يستبعد المطلعون على أوضاع العراق، ان التصعيد الإيراني الحالي، واستمرار قصف القاعدة الأمريكية في أربيل يتزامن مع قرب انسحاب القوات القتالية الأمريكية وتحول الباقي منها إلى مستشارين وخبراء مع القوات العراقية، وهو رسالة بان إيران لن تقوم بعملية سد الفراغ بعد الانسحاب الأمريكي فحسب، بل وستعمل لتخريب أي نوايا لادامة العلاقات العراقية الأمريكية التي تسعى واشنطن إلى استمرارها رغم العراقيل الإيرانية. وهو ما جعل الرئيس الأمريكي جو بايدن، يؤكد للرئيس العراقي برهم صالح على هامش لقاءات اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، على «التزام الولايات المتحدة باستقرار العراق على المدى الطويل» وتجديده دعم واشنطن لـ«أمن العراق وضمان سيادته، ومكافحة الإرهاب وتعزيز اقتصاده، ومواصلة العمل والتنسيق المشترك ضمن الحوار الاستراتيجي في مختلف المجالات». وفي موقف آخر لتذمر بغداد من التجاوزات الإيرانية، شكى وزير الموارد المائية العراقي، مهدي رشيد الحمداني، إن بلاده لم تتوصل إلى اتفاق مع إيران بشأن حصتها المائية، وأن إيران تخالف القوانين الدولية بشأن المياه، ولذا «فإن العراق أبلغ إيران رسمياً بتلك المخالفات ولكنه لم يحصل على رد» منوها «أن وزارة الخارجية العراقية في طريقها لتدويل ملف المياه مع إيران واللجوء إلى محكمة العدل الدولية».

ويبدو ان إصرار إيران على قطع أكثر من 36 نهرا تدخل من إيران إلى العراق خلال العقدين الأخيرين، الذي ترك آثارا كارثية على عدة محافظات عراقية، قد شكل ضغطا شعبيا أجبر حكومة بغداد مؤخراً للتلويح بتدويل القضية.

وعموما فإن المواقف الإيرانية الأخيرة، أثارت رواد مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة التعليقات التي أكدت ان الرئيس الإيراني ناقض نفسه في رسالته أمام الأمم المتحدة، عندما ذكر «أن نتيجة نظام الهيمنة في الولايات المتحدة، هي إراقة الدماء وعدم الاستقرار، وفي نهاية المطاف، الهزيمة والهروب». واصفا الوجود العسكري الأمريكي في سوريا والعراق بانه «اكبر عائق أمام إقامة الديمقراطية وإرادة الدول» حيث أشارت التعليقات إلى ان التحرك الإيراني ازاء دول المنطقة ومنها العراق، ينطبق عليه نفس القول.

وأخيرا فإن العراقيين يخشون من ان تصاعد القصف الإيراني لشمال العراق ورفض طهران أي نقاش حول قطعها المياه عن العراق، إضافة إلى تهديدات القوى والفصائل الولائية ومساعيها للتأثير على مسار الانتخابات القريبة وتحديها للحكومة، كلها تندرج ضمن رسائل تحدد ملامح النهج المتشدد للحكومة الإيرانية الجديدة، سواء تجاه القوميات والمعارضة داخل إيران، أو تجاه دول المنطقة وأولها العراق.

الكاظمي والرئيس الإيراني

لبنان: المازوت الإيراني يشوّش على الحكومة
وحزب الله مستفيد من تبعثر تحالف الحريري وجعجع وجنبلاط

أمام الحكومة فرصة ثلاثة أشهر لتحقيق خروقات قبل أن يحل موعد التحضير للحملات الانتخابية التي ستترك تداعياتها على الحكومة وعمل وزرائها.

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

يسابق رئيس الحكومة نجيب ميقاتي الوقت ويحاول الافادة قدر المستطاع من الأشهر التي تسبق موعد الانتخابات النيابية لفرملة الانهيار وتحقيق إنجازات إصلاحية في قطاع الكهرباء والإدارة كشرط للحصول على مساعدات مالية ودعم دولي. وقد جاءت زيارته قصر الاليزيه في باريس ولقاؤه الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون واعدة لجهة الحصول على وعد فرنسي بعدم ترك لبنان والاستجابة لاحتياجات الشعب اللبناني.

ولا يبدو رئيس مجلس النواب نبيه بري بعيداً عن توجهات ميقاتي إذ يعتقد أن رئيس الحكومة يشبكة علاقاته الدولية والعربية قادر أن يستثمر ويبني عليها لما فيه مصلحة البلد. لكنه في الوقت ذاته يعتبر أن عامل الوقت ضاغط، وأمام الحكومة فرصة ثلاثة أشهر لتحقيق خروقات قبل أن يحل موعد التحضير للحملات الانتخابية التي ستترك تداعياتها على الحكومة وعمل وزرائها.

وفي اعتقاد رئيس المجلس أن أكثر الملفات التي يتطلّع اللبنانيون إلى معالجتها هو موضوع الكهرباء وضرورة وضعه على سكّة الحل الجذري من خلال بناء معامل جديدة، مقترحاً الافادة من حصة لبنان من صندوق النقد الدولي البالغة مليار و135 مليون دولار من أجل بناء معامل كهرباء ولاسيما بعدما تقدمت شركة «سيمنز» الالمانية بعرض لبناء معملين بكلفة 700 مليون دولار.

ولكن بموازاة حرص الرئيس ميقاتي على العمل من أجل الانقاذ وإيجاد المعالجات للقضايا الحياتية الملحة، ثمة افرقاء داخل حكومته يشوّشون على الحكومة ويصوّرونها ملحقة بمحور ايراني سوري رغماً عن ارادة رئيسها ومعظم اللبنانيين. ولم تكن مسألة إدخال صهاريج النفط الإيرانية عبر الحدود السورية اللبنانية مسألة عابرة، إذ أظهرت مدى انتهاك السيادة اللبنانية وإدارة الظهر للدولة وهيبتها تحت عنوان خرق الحصار الأمريكي وإستقدام المحروقات فيما يعتبر كثيرون أن حزب الله هو في الأصل السبب الرئيسي لمثل هذا الحصار.

ولم يكتف حزب الله بخطوة الصهاريج تزامناً مع صدور مراسيم تأليف الحكومة بل إن مسؤوله الامني وفيق صفا قام بتهديد المحقق العدلي في قضية انفجار مرفأ بيروت القاضي طارق البيطار، وهو تهديد رأى كثيرون أنه «تهديد وقح وفاضح وتدخّل صريح بعمل السلطة القضائية». ويعتقد أن الحكومة لم تكن لتتألف لولا موافقة طهران وحزب الله، الامر الذي يظهر حجم نفوذهما على الساحة اللبنانية وإمساكهما بالورقة الداخلية، وهذا أمر يرضى عنه ويسكت أفرقاء سياسيون لهم مصلحة في مسايرة حزب الله لحسابات سياسية ورئاسية وفي طليعتهم رئيس الجمهورية ميشال عون وتياره، إنطلاقاً من تحضير الارضية الملائمة لإيصال رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل إلى سدة الرئاسة في قصر بعبدا مهما كان الثمن ولو كلّف التنازل عن السيادة وغضّ النظر عن تهديدات القضاء وبسط الهيمنة على القرار اللبناني. وهذا أمر يستفيد منه الحزب لاستكمال انقلابه على الدولة وما تبقّى من نظام وهيبة للمؤسسات الامنية التي وقفت متفرّجة على دخول الصهاريج الإيرانية عبر الحدود، وتنقلها في المناطق اللبنانية في غياب أي قرار سياسي بإعتراضها، عدا ما صدر عن رئيس الحكومة الذي عبّر عن حزنه على انتهاك السيادة، فيما غرق رئيس الجمهورية وتياره في صمت مريب.

وحده رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط يستمر في رفع الصوت مع البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي والقوات اللبنانية وبعض السياديين، ويبعث باكثر من رسالة عبر «تويتر» تعبّر عن عدم رضاه عن مشهد المازورت الإيراني، سائلاً «هل يمكن التوفيق بين مشروع المقاومة واستفراده بالقرارات وبين هيبة الدولة في الحفاظ على الحد الادنى من السيادة على بعض من مقدراتها بعد غزوة المازوت وتبعاته؟».

قبله، ندّد الرئيس سعد الحريري بالبواخر الإيرانية التي تعني «إعلاناً خطيراً بزجّ لبنان في صراعات داخلية وخارجية» لتكمل عضو «كتلة المستقبل» النائبة رولا «الصهاريج العابرة للحدود لتملأ خزانات دويلة حرقت أنفاس الدولة؟».

ولكن على الرغم من هذه المواقف المعترضة على سلوك حزب الله واستيراده النفط الإيراني بمعزل عن موافقة السلطات اللبنانية، إلا أن الحزب يبدو غير مكترث لفاعلية هذه الأفرقاء، طالما أنهم متفرّقون ولا تجمعهم جبهة معارضة واحدة كما كان الحال في «لقاء البريستول» المتنوّع طائفياً وسياسياً، والذي نجح في خلخلة النظام الأمني اللبناني السوري وتشكيل معارضة قوية للوصاية السورية على لبنان وصولاً إلى نشوء حركة 14 آذار/مارس التي أسفرت عن خروج الجيش السوري من لبنان.

ولا يخفى على حزب الله أن سعد الحريري لا يتكلم مع سمير جعجع بعدما امتنع «تكتل الجمهورية القوية» عن تسميته في الاستشارات لرئاسة الحكومة واستقالة وزراء القوات من حكومته بعد اندلاع انتفاضة 17 تشرين الأول/أكتوبر. ولا يخفى على حزب الله أن الحرارة غائبة على خط معراب المختارة بين جعجع وجنبلاط بسبب حسابات سياسية وانتخابية في الجبل وبسبب الخلاف على قانون الانتخاب الذي قلّص كتلة جنبلاط ووسّع كتلة جعجع. وفي حال استمرت هذه الخلافات بين الثلاثي الحريري وجنبلاط وجعجع، وفي حال ذهب الثلاثي إلى الانتخابات النيابية بشكل مبعثر ومن دون تحالف مشترك فسيكون حزب الله وحلفاؤه أكثر المستفيدين من تشتت قوى المعارضة ومن مزاحمة مجموعات 17 تشرين الأول/أكتوبر ودخولها على خط الانتخابات لتحصد مقاعد من امام هذه القوى الثلاثة تحت شعار «كلن يعني كلن» فيما الثنائي الشيعي بتحالفه بين حزب الله وحركة أمل يقفل مناطقه أمام أي خرق محتمل.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10397 الأحد 26 أيلول (سبتمبر) 2021 – 19 صفر 1443 هـ

اليمن: مسؤول حكومي يكشف مقتل 2000 طفل مجند في جبهات الحوثيين بمحافظة مأرب

ذكرت جماعة الحوثي أنها حققت مكاسب عسكرية في ثلاث مناطق في محافظة شبوة، التي تتوغل فيها بتنسيق مع ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم من الإمارات، لمحاصرة القوات الحكومية.

تعز–«القدس العربي»: خالد الحمادي

كشف مسئول حكومي يمني أمس عن مقتل ما لا يقل عن 2000 طفل في صفوف المجندين الحوثيين، الذين لقوا مصرعهم في المواجهات المسلحة الأخيرة في جبهات محافظة مأرب، 170 كيلومترا شرقي صنعاء، من بين 35 ألف طفل مجند في صفوف المقاتلين الحوثيين.

وقال نائب مندوب اليمن الدائم لدى الأمم المتحدة مروان نعمان ان «الهجوم الأخير على مدينة مأرب أدى إلى مقتل قرابة 2000 طفل جندتهم ميليشيا الحوثي الانقلابية في صفوفها». وأوضح في كلمة اليمن القاها في الاجتماع رفيع المستوى المعني بحماية الأطفال في النزاع المسلح خلال جائحة كورونا على هامش الدورة 76 للجمعية العامة للأمم المتحدة ان «جماعة الحوثي جنّدت أكثر من 35 ألف طفل منذ عام 2014 منهم 17 في المئة دون سن 11 عامًا، بينما يقاتل 6729 طفل بنشاط في جبهات الحوثيين».

وأوضح ان ميليشيا الحوثي «لا ترى في اليمنيين، بمن فيهم الأطفال، سوى وقود لحربها». مشيرا إلى «خطورة استخدام الحوثي للمدارس والمساجد والمخيمات الصيفية في غسل أدمغة ما لا يقل عن 60 ألف طفل، وتدريبهم وإرسالهم للجبهات». وعبّر عن المخاطر المستقبلية لعملية تجريف التعليم من قبل الحوثيين من خلال «تحريف المناهج التي تطبعها ميليشيات الحوثي الانقلابية في مناطق سيطرتها، وما يشكله ذلك من تهديد بإنشاء جيل من المتطرفين العقائديين الذين لا يتقبلون إخوانهم في الوطن فضلا عن قبولهم التعايش مع الشعوب الأخرى». وكانت جماعة الحوثي قامت بتصعيد عملياتها العسكرية في جبهات محافظة مأرب منذ مطلع شباط (فبراير) الماضي، فيما توسعت عملياتها العسكرية مؤخرا لتشمل محافظتي البيضاء وشبوة المجاورتين لمحافظة مأرب، في محاولة لمحاصرتها من المناطق والمنافذ المجاورة لها، بعد أن عجزت عن اجتياح مدينة مأرب.

وفي الوقت التي أعلنت فيه جماعة الحوثي عن سيطرتها الكاملة على كافة مناطق محافظة البيضاء، أمس الأول الجمعة، ذكرت أنها حققت مكاسب عسكرية في ثلاث مناطق في محافظة شبوة، المجاورة لمحافظة مأرب، التي تعد من المحافظات الجنوبية، والتي تتوغل هناك بتنسيق مع ميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي المدعوم من الإمارات، لمحاصرة القوات الحكومية التي تسيطر على مدينة عتق، مركز محافظة شبوة، وبقية مناطق هذه المحافظة، التي ظلت متماسكة قبليا وحكوميا، خلال الفترة الماضية التي حاولت ميليشيا الانتقالي الجنوبي السيطرة عليها، أسوة بمحافظات عدن والضالع ولحج وأبين.

وكان محافظ شبوة محمد بن عديو، الذي يقود بنفسه معركة مواجهة الحوثيين في شبوة وجّه رسالة متلفزة للرأي العام قال فيها «نطمئن أبناء شبوة أن الرجال صامدون وسيصمدون وأن شبوة كما تحررت عام 2015 ستتحرر مرة أخرى، وخصوصا المديريات الثلاث، التي سقطت أجزاء منها ولن يطول فرح الحوثي، ستتم ملاحقته وسينتهي بإذن الله هو ومشروعه السلالي العنصري».

وأوضح ان «الشعب اليمني سيقاوم مشروع الموت الحوثي حتى آخر لحظة ولن يسمح بأن يكون لمشروع إيران الفارسي الدخيل ذراع في اليمن».

وأضاف ان «الوطن تهون في سبيله التضحيات، قدرنا ان نقاوم مشروع الحوثي لسنوات لكي يعرف اليمنيون أن هذا المشروع الإيراني الفارسي الدخيل على الأمة العربية والإسلامية مشروع موت وليس مشروع حياة».

وتعد محافظة شبوة من المناطق الأكثر قبلية في الجنوب واليمن عموما، وأظهرت تماسكا قبليا منقطع النظير في ظل قيادة المحافظ محمد بن عديو الذي يعد من الوجاهات القبلية الكبيرة، والذي تمكن من توحيد كافة القبائل هناك أمام المحاولات العديدة لميليشيا المجلس الانتقالي الجنوبي لاجتياح المحافظة والسيطرة عليها، خلال السنوات الماضية، وتمكن من خلق إدارة متماسكة للسلطة المحلية في محافظة شبوة، شهدت خلالها بعض الاستقرار السياسي والتنموي خلال فترة الحرب الراهنة التي عصفت بأغلب المحافظات الأخرى.

إلى ذلك دعا الشيخ القبلي والبرلماني الشبواني البارز صالح بن فريد العولقي، أبناء محافظة شبوة إلى التلاحم وتوحيد الصف خلف قيادة المحافظ محمد بن شبوة وحفظ كرامتها وأمنها». وأوضح أن محاولات ميليشيا الحوثي إحداث اختراقات في مناطق شبوة جاءت بسبب «الصراعات البينية التي لا تخدم القضية، ووجد العدو ضالته فيها».

وطالب العولقي في بيان تسلمت «القدس العربي» نسخة منه أبناء شبوة «ترك مفردات خطاب التخلي عن القيام بالواجب، بحجة الاختلافات وأن المعركة لا تعني الطرف الفلاني وتخص الطرف العلاني». وأشاد بالمواقف القبلية الموحّدة في محافظة مأرب المجاورة لشبوة وطالب بالاقتداء بهم.

وطالب كافة المكونات السياسية والقبلية والاجتماعية وقادة الأحزاب بما فيها المجلس الانتقالي بأن يجعلوا من قضية الدفاع عن شبوة من الاجتياح الحوثي قضية جامعة لهم ووسيلة لتوحيد صفوفهم وقال لهم «ضعوا خلافاتكم جانبا في شبوة خاصة والجنوب عامة وان ترتقوا إلى مستوى خطورة الوضع الراهن وتتّحدوا في هذا الظرف العصيب لمواجهة المد المجوسي الفارسي اللعين الذي يريد ان يدوس ترابنا وكرامتنا وشرفنا وينتهك حرمات أرضنا».

أطفال يمنيون

Volume 33 - Issue 10397 Sunday 26 September 2021

ليبيا: بقايا النظام تسعى لاستعادة الحكم من خلال صندوق الاقتراع

حفتر يريد أن يضمن بقاءه في موقعه الراهن، إذا ما أخفق في السباق الانتخابي. وفي هذه الحالة سيكون كرة حديدية في ساق السلطة المُنبثقة من صندوق الاقتراع.

رشيد خشانة

قطع اللواء المتقاعد خليفة حفتر الشك باليقين، عندما فوض لرئيس أركانه عبد الرازق الناظوري مهام «القائد العام للجيش» لمدة ثلاثة أشهر، كي يتسنى للأول الترشُّح للانتخابات الرئاسية، المقررة للرابع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر المقبل. ولا يملك حفتر، الذي استمد شرعيته من برلمان مُنتهي الصلاحية وخاضع للسلاح، صلاحيات تسمح له بأن يُسمي ويعزل المسؤولين في المناصب الرئيسية في الدولة، فهذا اختصاص حصري للسلطة التشريعية. كما لا يحق له أن يُفوض «الصلاحيات» المُسندة إليه إلى شخص آخر.

من الواضح أن الضابط المُثير للجدل، بات يسعى اليوم إلى الصعود على سدة الرئاسة، بالوسائل السياسية، بعدما عجز عن غزو طرابلس عسكريا، ومن ثم إعلان نفسه حاكما عاما لليبيا، مثلما صرح بذلك في مناسبات عدة.

قانون على المقاس

لم يكن القانون يُجيز للعسكريين الترشُّح للانتخابات، قبل أن يسن البرلمان، الذي يُديره عقيلة صالح، قانونا انتخابيا على مقاس حفتر، يخول له الترشح للرئاسيات. وألزم هذا القانون العسكريين الراغبين في الترشح بترك مهامهم العسكرية، قبل ثلاثة أشهر من يوم الاقتراع. غير أن حفتر يريد أن يضمن بقاءه في موقعه الراهن، إذا ما أخفق في السباق الانتخابي. وفي هذه الحالة سيكون كرة حديدية في ساق السلطة المُنبثقة من صندوق الاقتراع، وسيحافظ على انقسام المؤسسات الحالي بين الشرق والغرب.

لذلك أبدى 22 نائبا، في بيان خاص، استغرابهم من عدم إحالة مشروع قانون انتخاب رئيس الدولة على التصويت، وخاصة البند المتعلق بالسماح للعسكر بالترشح. ورد المجلس الأعلى للدولة على مجلس النواب بقانون مواز، داعيا إلى تأجيل سباق الرئاسة والاكتفاء بانتخاب نوّاب البرلمان.

وفيما انتقدت عناصر من النخب الليبية الطريقة التي تم بها سن القانون الانتخابي، في معزل عن أي حوار أو تشاور، أتى موقف المجتمع الدولي مائعا ومثيرا للاستغراب لقبوله بالقانون، وإن على مضض. وعزا مراقبون ذلك الموقف «لحسابات سياسية تستعجل مسألة اختيار رئيس لليبيا». وفي الوقت نفسه طالب 27 عضواً من أعضاء ملتقى الحوار السياسي الـ75 بعثة الأمم المتحدة للدعم، بعدم تبني ما وصفوه بـ«الحلول التلفيقية».

واللافت أن عقيلة صالح يبدو في طريقه إلى ترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية هو الآخر، إذ قرر الدخول في إجازة، إلى أن يحل موعد الاستحقاق الانتخابي، واستطرادا سيتوقف عن ممارسة مهامه طيلة الأشهر الثلاثة المقبلة، التي تتزامن مع نهاية الولاية الحالية للبرلمان وانتخاب مجلس نواب جديد.

أما أنصار حفتر، الذين يُديرون حملة دعائية واسعة، فيعملون حاليا على إعطاء الانطباع بأن اللواء المُتقاعد يُمثل المنطقة الشرقية. إلا أن ترشح صالح المُحتمل سيجعل الرأي العام في الشرق موزعا بين قطبين متنافسين.

كما سعى حفتر دوما إلى الإيهام بأن قبائل الشرق تدعمه، لكن مواقف المكونات القبلية هناك لا تؤكد ذلك. لا بل إن وفدا من الهيئة الوطنية لأعيان ومشايخ المنطقة الشرقية، برئاسة الشيخ إدريس بحيى البرعصي رئيس الهيئة، زار أخيرا رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة، وعبر له عن دعمه للجهود التي تبذلها الحكومة في طريق المصالحة، و«ايجاد ميثاق وطني للصلح بين أبناء ليبيا».

العسكر والرئاسيات

ويُرجح مراقبون أن المنافس الرئيس لحفتر، بالاضافة لعقيلة صالح، سيكون سيف الاسلام نجل الزعيم الراحل معمر القذافي. والظاهر أن القوى الاجتماعية والسياسية المتضررة من انتفاضة 2011 ضد القذافي وأبنائه، هي التي تسعى إلى استعادة مقاليد الحكم من خلال صندوق الاقتراع. وقد انطلقت في إعداد العُدة لخوض الانتخابات، من خلال ترتيبات تنظيمية ومالية وسياسية، تُوحد رجال النظام السابق حول مرشح توافقي.

ومن ضمن عناصر الحملة الانتخابية المبكرة، إطلاق أنصار القذافي أخيرا قناة تليفزيونية تبث من تونس، يبدو أنها ستكون أداة مهمة في حملته الرئاسية. وسيستفيد سيف الاسلام من الافراج أخيرا على عدد من أركان النظام السابق، لكي يشاركوا في حملته الانتخابية بالمال والرجال.

غير أن تحقيق كل هذه الحسابات والخطط يعتمد على الموقف الدولي، الذي يعرف أن سيف الاسلام مطلوب إلى العدالتين الدولية والمحلية. لكن يبدو أن بعض القوى العظمى لا ترى من حل في ليبيا سوى بعودة نظام صارم على شاكلة نظام القذافي الأب.

والظاهر أن وجود منافسة بين مرشحين ينتميان إلى النظام القديم (حفتر وسيف الاسلام) سيُشتت الأصوات ويُقلل من فرص فوز أحدهما بالرئاسة.

وسعيا للتميُز، يُقدم أنصار النظام السابق سيف الاسلام على أنه يرمز لتيار ثالث بين جماعات الاسلام السياسي في المنطقة الغربية، المتحالفة مع تركيا، ومؤيدي اللواء المتقاعد حفتر، المدعوم من الامارات ومصر وروسيا وفرنسا.

كما أطلق أنصار حفتر أيضا حملة انتخابية مكثفة، خارج الاطار القانوني المُنظم للدعاية الانتخابية، من ضمنها توزيع استبيانات لجمع معلومات عن المواطنين وأرقام مراكزهم الانتخابية لحضهم على التصويت لحفتر، ما يعتبر مخالفة صريحة للقوانين. والأخطر من ذلك، الخطاباتُ التي يُلقيها على الضباط والجنود في الثكنات التي توجد تحت سيطرته. والأرجح أنه مُصمم على الفوز في الانتخابات بفضل أصوات العسكريين، وقد حرص رئيس مجلس النواب على تضمين القانون الانتخابي حق العسكر في التصويت، من دون أن يُخضع القانون للتصويت.

من هو الشرعي؟

وكانت تلك المبادرة مثارا لأزمة بين مجلس النواب وحكومة الدبيبة. وحاول المجلس سحب الثقة من الحكومة، غير أن الأمم المتحدة أكدت أن «الشرعية مازالت مع حكومة الوحدة الوطنية». كما أن الدول الكبرى المؤثرة في الصراع الليبي جددت التمسك بتلك الحكومة المؤقتة إلى حين إجراء الانتخابات العامة في ميقاتها.

وحض وزراء خارجية كل من أمريكا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا، في أعقاب اجتماع مشترك بنيويورك، على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، على إجراء الانتخابات في موعدها.

ويبدو من تصريحات الوزير الألماني هايكو ماس أن الأربعة اتفقوا، في خصوص الوضع الليبي، على ثلاث قضايا كبرى أولها ضرورة إجراء الانتخابات في ميقاتها، والثانية سحب المرتزقة من البلاد، والثالثة التمديد لولاية بعثة الأمم المتحدة في ليبيا. والأرجح أن الدبيبة أراد إخراج الجدل من بوتقة السياسيين والاستنجاد بالشارع رافضين القانون الإنتخابي، ومعارضين لإفساح المجال أمام العسكر للترشُح للانتخابات الرئاسية.

أكثر من ذلك، لوحظ أن الحكومة الوقتية، (التي لا يُسمح لرئيسها وأعضائها بالترشُح للانتخابات المقبلة) بدأت تستقطب بعض الدعم من الشارع، بعد استقرار الوضع العسكري وتحسُن حالة الأمن، وحل مشكلة الكهرباء، وإن جزئيا. وأكد الصحافي محمد الصريط لـ«القدس العربي» أنه لاحظ أثناء سفره على الطريق الساحلي الرابط بين مصراتة وسرت (200 كيلومتر) أن المظاهر العسكرية بدأت تختفي، وأن العسكريين في الحواجز والمفترقات على كامل الطريق، هم من التابعين إلى لجنة 5+5، بالاضافة لبعض العناصر من المخابرات. كما لاحظ أيضا أن هناك إشارات إلى مدافن الألغام لتفاديها.

وشكلت إعادة فتح الطريق الساحلي أخيرا إحدى علامات نهاية الحرب الأهلية، حتى أن البعض بات يقول إن الدبيبة استعاض عن خيام المآتم والعزاء بخيام الأعراس وحفلات الزفاف.

وفي إطار هذه السياسة أمر الدبيبة بإنشاء صندوق دعم الزواج، لكي يقوم بصرف مبالغ مهمة للشباب الراغبين بالزواج، بعدما كان يستحيل على غالبيتهم تأمين الكلفة اللازمة لعقد القران. وهي وسيلة عملية للتقليل من نسبة العنوسة المرتفعة في المجتمع الليبي. كما أمر بوضع 1.5 مليار دولار في «المصرف العقاري» الذي كان مُهمشا في الماضي، لتيسير الحصول على قروض موجهة لشراء بيت أو شقة. وآخر إجراء اتخذه في هذا السياق تمثل في الترفيع من رواتب المعلمين اعتبارا من الشهر الجاري. واستند الترفيع على القانون الرقم 4 الصادر عن مجلس النواب في 2018.

وما ساعد على هذا «الكرم» أن ليبيا، التي تملك أكبر احتياطي نفطي في إفريقيا، استعادت مستوى الانتاج السابق، المُقدر بحوالي 1.2 مليون برميل في اليوم، منذ وقف إطلاق النار في تشرين الأول/أكتوبر الماضي.

والظاهر أن المغرب، المتابع عن قرب للملف الليبي، لم ييأس من تجسير الفجوة بين الإخوة الأعداء، وهو يسعى لجمع رئيسي مجلسي النواب والدولة، عقيلة صالح وخالد المشري، المعارض لانفراد البرلمان بإصدار قانون الانتخابات، في محاولة من الرباط لتقريب وجهات النظر بين المجلسين.

ومع أن الوضع في ليبيا عرف بعض الاستقرار والتحسُن النسبي، وسط صمود اتفاق وقف إطلاق النار، فإن البنك الدولي وضعها ضمن البلدان التي تعاني من أوضاع هشة متأثرة بالصراع، وقد صنفها البنك الدولي في خانة «الصراع عالي الشدة»،إلى جانب دول مثل أفغانستان وأفريقيا الوسطى والصومال وجنوب السودان وسوريا واليمن. كما أظهرت الاحصاءات أن من بين 7 ملايين ليبي، هناك قرابة 400 ألف نازح، زيادة على 2100 ليبي حتى الآن، بعد إصابتهم بـ«كوفيد19» في بلد يعاني نظامه الصحي من اختلالات بنيوية، وسكانه من انقطاعات الماء والكهرباء المديدة.

من هنا تأتي أهمية الاستحقاق الانتخابي المقبل، الذي سيضع البلد على سكة التنمية الشاملة والديمقراطية، إذا ما قبل جميع الفرقاء نتائج الاقتراع، أو يعود بالبلد إلى أجواء الحرب مجددا، إذا ما رفضت بعض الفئات الاحتكام إلى نتائج الصندوق. وهذا هو التحذير الذي حمله رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي إلى نيويورك، لدى مشاركته في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، إذ أكد للعالم أن البديل من القبول بنتائج انتخابات حرة وشفافة، هو «العودة إلى مربع الانقسام والصراع المسلح».

الحكومة التي لم تتشكل إلى حد الآن هي معضلة المعضلات رغم أن المرفق العام يسير بشكل اعتيادي بفضل إدارة عريقة لا تتأثر بغياب السلطة السياسية.

تنظيم السلط في تونس والخشية من عودة الديكتاتورية

تونس–«القدس العربي»: روعة قاسم

تزداد المخاوف في تونس من العودة إلى مربع الاستبداد وتقييد الحريات خاصة بعد الأحكام الانتقالية التي أصدرها رئيس الجمهورية وأدخلت البلاد في مرحلة جديدة تقطع مع منظومة 2011 وما تخللها من صيرورة سياسية تمثلت بدستور 2014.

وأبدى شق واسع من التونسيين حماسة تجاه القرارات التي اتخذها رئيس الجمهورية قيس سعيد يوم 25 تموز/يوليو الماضي وأملوا بأن تؤدي إلى إصلاحات جذرية حقيقية للنظام الديمقراطي الذي أصابه الوهن ونخره الفساد، لكن مع مرور الوقت بدأت جذوة الحماس تخبو وتخفت بعد أن عجز سعيد عن القيام بالإصلاحات التي وعد بها أنصاره ومريديه وعلى رأسها محاربة الفساد وتحقيق المطالب الاجتماعية التي ثار من أجلها التونسيون سنة 2011 وتجاهلتها القوى السياسية التي تسلمت مقاليد الأمور بعد الثورة.

لقد تراءى للكثيرين ممن راهنوا على رئيس الجمهورية ومع مرور الوقت، وما تم اتخاذه من إجراءات أنه لا يمتلك القدرة على تتبع الحيتان الكبيرة والقطط السمان التي تهيمن على الاقتصاد وتحتكر قطاعات الإنتاج. فقد اقتصرت الملاحقات إلى حد الآن على نائبين لا ينتميان إلى أي من الأحزاب السياسية ولا توجد مراكز قوى بإمكانها أن توفر لهما الحماية اللازمة وتعلقت بهما تتبعات قضائية سابقة لا علاقة لها بالفساد.

لقد وعد الرئيس أنصاره بتغيير شكل النظام السياسي وبقانون انتخابي جديد يقطع مع التمويل الأجنبي للأحزاب السياسية الذي جعل إرادة الناخب معيبة في الانتخابات السابقة وشبهة التزوير تحوم حول الصندوق، وبإجراء انتخابات جديدة على أساس هذا القانون. لكن لم يتخذ الرئيس أي إجراء عملي، باستثناء النصوص القانونية رغم مرور الوقت والضغوط الداخلية والخارجية، ورغم الوضع الاقتصادي الكارثي الذي تعيشه البلاد والذي لا يحتمل الانتظار طويلا بسبب تراكمات الفترة السابقة والأسبق.

ولعل الحكومة التي لم تتشكل إلى حد الآن هي معضلة المعضلات رغم أن المرفق العام يسير بشكل اعتيادي بفضل إدارة عريقة وضاربة في القدم لا تتأثر بغياب السلطة السياسية حتى وإن تعلق الأمر بشغور منصب رئيس الجمهورية نفسه. لكن هناك التزامات داخلية وخارجية تقتضي وجود حكومة تمثل الشعب تتولى هذه المهام في أقرب الآجال وذلك بالنظر إلى الاستحقاقات التي تنتظر البلد وخصوصا التفاهمات مع الجهات المالية المانحة وعلى رأسها صندوق النقد الدولي.

السقف الزمني

ويخشى كثير من مساندي حراك 25 تموز/يوليو من أنصار قيس سعيد كما معارضوه ممن يعتبرون ما قام به في ذلك التاريخ انقلابا، من إطالة أمد هذه المرحلة الاستثنائية إلى ما لا نهاية. فقد بمقتضاها كل السلطات بيد رئيس الجمهورية بما في ذلك السلطة الرقابية التي كانت للهيئة العليا المؤقتة لمراقبة دستورية القوانين. كما أن اللجنة التي سيشكلها الرئيس والتي ستطرح عليها النصوص القانونية التي سيتم تعديلها عملها غير ملزم وتبقى للرئيس وحده سلطة القرار دون سواه. كما أن سعيد منح لنفسه صلاحية إصدار مراسيم تتعلق بالحقوق والحريات وتنظيم عمل الإعلام والصحافة والنشر رغم أنه أقر سابقا أنه لن يقع المساس بالحقوق والحريات الواردة في دستور سنة 2014.

ويتهم البعض في تونس الرئيس بالمغالطة والتلاعب بالألفاظ حيث أنه كان قد صرح سابقا بأنه سيقوم بتعديل الدستور الحالي في حين تم تعليقه فعليا ولن يمكن اعتماد آليات تعديله لأنها موجودة فيه. واعتبر هؤلاء أن التنظيم بعد انتخابات المجلس الوطني التأسيسي سنة 2011 حيث استمر هذا المجلس بالعمل لثلاث سنوات متجاوزا أجل السنة المتفق عليه وكان سيتجاوز أكثر لولا اضطرار بعض التونسيين للنزول إلى الشارع وإجبار الفرقاء على الجلوس على طاولة الحوار ووضع خريطة طريق لإنهاء المرحلة الانتقالية. وبالتالي هناك خشية من أن تبقى الأمور هكذا بدون موعد لإجراء الانتخابات المقبلة خاصة وأن التنظيم المؤقت للسلط العمومية الذي أعلن عنه قيس سعيد وسماه إجراءات استثنائية لم يتضمن موعد نهاية هذه المرحلة.

إن المتأمل في التنظيم المؤقت الجديد للسلط العمومية يخرج باستنتاجات تنبئ بأن عودة الإستبداد إلى تونس واردة وأن لا شيء يمكن أن يمنعها بعد أن أصبحت سبق للتونسيين أن عاشوا وضعا مشابها المؤقت للسلط العمومية الذي أعلن عنه سعيد تحت مسمى آخر يؤدي إلى الديكتاتورية باعتباره يجمع كل السلط في غياب تام لأي سلطة رقابية مضادة أو جهة قادرة على إلغاء قراراته.

كما يعيب هؤلاء على قيس سعيد أيضا أنه سيضع دستورا على مقاسه ثم سيعرضه على الإستفتاء مستغلا الدعم الشعبي الكبير الذي يتمتع به وحالة عدم قدرة كل التونسيين على تقييم ما سيتضمنه الدستور باعتبارهم ليسوا جميعا من أهل الاختصاص. وبالتالي فإن ذلك سيؤدي إلى نوع من الاستغلال للعواطف الجياشة لنسبة هامة من أفراد الشعب في مساندة قيس سعيد لمجرد أنه نظيف اليد ولا تتعلق به شبهات فساد خلافا لعدد من المنتمين إلى الطبقة السياسية الحالية التي استشرى فيها الفساد إلى النخاع.

وبالتالي يرى هؤلاء أنه كان على الرئيس أن يكتفي بتنقيح القانون الانتخابي تصحيحا للمسار الديمقراطي للبلاد وإجراء انتخابات تشريعية تفرز برلمانا يتولى النظر في مسألة تعديل الدستور وإقرار شكل جديد للنظام.

ويلوم البعض الطبقة السياسية برمتها على الوصول إلى هذا الوضع المزري وخصوصا من حكموا منذ سنة 2011 إلى اليوم باعتبارهم قد نالوا تفويضا ثوريا من الشعب للاستحواذ على السلطة وتحقيق المطالب التي ثار من أجلها التونسيون. كما أنهم نالوا مساعدات خارجية مالية لا تحصى ولا تعد من دول راهنت على الديمقراطية التونسية الوليدة وعلى نجاحها في بيئة لم تعرف التداول السلمي على السلطة منذ سقوط قرطاج. إلا أن هؤلاء انصرفوا عن هموم المواطنين وبحثوا عن مصالحهم الخاصة الاقتصادية والسياسية وغيرها حتى أوصلوا البلاد إلى كارثة لم تعرفها على مدى تاريخها طالت كل المجالات بما في ذلك صحة المواطن. وبالتالي فقد عاقب فريق من التونسيين هذه الطبقة السياسية بالتصويت لشخصية مستقلة من خارجها ومساندته في الإطاحة بها يوم 25 تموز/يوليو الماضي رغم إدراكهم ويقينهم بأنه لا يمتلك الخبرة الكافية لإدارة شؤون الدولة. كما يتوقع أن يلقى ساكن قرطاج دعما شعبيا معتبرا لتعديلاته الدستورية في الإستفتاء المزمع إجراؤه قريبا، وذلك إما ثقة به أو عقابا لمنظومة سنة 2011 التي لم تستمع لأنينهم.

ضغط الشارع

لقد عطلت الطبقة السياسية التي تمت إزاحتها عن السلطة تكوين المحكمة الدستورية العليا طيلة العشرية الماضية وهو ما جعل النظام السياسي غير مكتمل ومعرض للهزات مع اندلاع كل أزمة. كما تهتم هذه الطبقة بالفصل العاشر من الدستور يعطي للدولة مهمة مكافحة الفساد الذي استشرى بشكل لافت فارتفعت أعداد الأغنياء بطرق غير مشروعة وكذا أعداد الفقراء فيما تراجعت الطبقة الوسطى إلى الحضيض ولم يحرك حكام البلد ساكنا، فكان العقاب الذي أنهى هيمنة طيف سياسي على الحكم طيلة عشرية كاملة.

ولعل الأشهر المقبلة كفيلة بإماطة اللثام على ما ينوي الرئيس القيام به، هل سيذهب باتجاه إصلاحات تطال هنّات النظام الديمقراطي؟ أم أنه سيغتر بالسلطة ويؤسس لديكتاتورية جديدة أشد بطشا من سابقاتها في زمني بورقيبة وبن علي؟ وفي كل الأحوال ترى قوى ديمقراطية كثيرة في تونس أنه وجب الضغط المستمر على قيس سعيد حتى لا يحيد عن المسار ولا يذهب باتجاه الحكم الفردي بعد انتهاء هذه الفترة الاستثنائية.

حدث الأسبوع

أزمة الغواصات: أي مستقبل لعلاقات باريس بواشنطن والناتو؟

باريس ـ «القدس العربي»:
آدم جابر

يجمع الخبراء والباحثون المهتمون بالعلاقات الدولية على أن ما بات يعرف «بقضية الغواصات» بين فرنسا وكل من أستراليا والولايات المتحدة الأمريكية؛ شكلت انتكاسة فرنسية على مستويات عدة منها المستوى الاقتصادي وذلك الذي يتعلق أساسا بالعلاقات الفرنسية الأمريكية الفرنسية وبالاستراتيجية الفرنسية الرامية إلى تعزيز حضورها في منطقة المحيطين الهندي والهادئ. وقد شبه بعضهم ما حصل بإعلان الرئيس الأمريكي جو بايدن يوم 15 ايلول/سبتمبر، عن شراكة أمنية استراتيجية مع المملكة المتحدة وأستراليا ضمن اتفاق «اوكوس» بغرق الاستراتيجية الفرنسية في مياه هذين المحيطين.

فما الذي يجيز استخدام هذا التشبيه؟ وكيف جاءت ردود الفعل الفرنسية والأطراف المعنية الأخرى بالأوضاع الجيوسياسية والجيوستراتيجية في منطقة المحيطين الهندي والهادئ؟ وكيف ستكون العلاقات الفرنسية المستقبلية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية حلف شمال الأطلسي «الناتو» وبريطانيا؟

في البداية، لابد من الإشارة إلى أن فرنسا هي البلد الوحيد في العالم، الذي لديه حضور بري في مختلف البحار والمحيطات ومنها المحيط الهندي. ويعيش في جزيرة لاريونيون الفرنسية الواقعة في هذا المحيط قرابة تسع مئة ألف شخص بينما تؤوي جزيرة مايوت 280 الف شخص، علماً أن هذه الجزيرة كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي منذ القرن التاسع عشر، على غرار مجموعة جُزر أخرى. وفي عام 1974 نظمت فرنسا استفتاء في هذا الأرخبيل، واختار سكان مايوت البقاء ضمن فرنسا، فيما اختار سكان الجزر الأخرى الاستقلال عنها.

بالإضافة إلى هاتين الجزيرتين الفرنسيتين المأهولتين الواقعتين في المحيط الهندي، توجد مجموعة جزر فرنسية صغيرة الحجم وغير مأهولة في المحيط ذاته لديها بالنسبة إلى فرنسا أهمية استراتيجية بالغة ولاسيما تلك التي تقع في قناة أو مضيق الموزمبيق. فلفرنسا فيها أو قربها حضور عسكري يسمح لها بالدفاع وقت الحاجة عن مصالحها الحيوية في البلدان التي تطل على المحيط الهندي وبخاصة الهند ومنطقة الخليج. واستطاعت من خلال حضورها البري والبحري في منطقة المحيط الهندي المساهمة في التصدي لعدد من المشاكل منها مشكلة القرصنة البحرية ومشكلة الهجرة غير النظامية.

وتنطبق الملاحظة ذاتها على الحضور الفرنسي في المحيط الهادئ، حيث إن لديها وجوداً سكانياً يُقدر بأكثر من نصف مليون شخص في كاليدونيا الجديدة وجزر بولينيزيا الفرنسية. وما تزال فرنسا تتخوف من أن يختار سكان كاليدونيا الجديدة الاستقلال عنها. ولذلك فإنها تسعى جاهدة منذ عشرات السنين إلى إقناع سكان هذه الجزيرة بأهمية البقاء ضمن إطار الجمهورية الفرنسية من خلال استفتاء تم تنظيمه على ثلاث مراحل حددت مرحلته الأخيرة بتاريخ الثاني عشر من شهر كانون الأول/ديسمبر من العام الجاري. وثمة اليوم مشاورات بين السلطات المركزية الفرنسية وسلطات كاليدونيا المحلية لمعرفة ما إذا كان بالإمكان تأجيل الاستفتاء الثالث بسبب جائحة كورونا.

أما بشأن جزر بولينيزيا الفرنسية الواقعة هي الأخرى في المحيط الهادئ، فإن عددها يتجاوز المئة. وهي تمتد على مسافة تتجاوز ألفي كيلومتر، الأمر الذي يسمح لفرنسا بأن يكون لديها ثاني أكبر مجال بحري في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية. وذاك أمر مهم من النواحي الاقتصادية والجيوسياسية والجيوستراتيجية نظرا للفائدة الاقتصادية للبحار والمحيطات في مجال المبادلات التجارية العالمية وفي مجال استغلال المياه البحرية لتطوير مصادر طاقة المستقبل وأغذيته، وكذا الشأن في مجال حماية التنوع الحيوي البحري وتطويره، وأيضا فيما يتعلق بالتجسس على الخصوم والأعداء وحماية الأمن القومي عبر الغواصات. وهذا ما اهتدى إليه جميع الرؤساء الذين تعاقبوا على حكم فرنسا في العقود السبعة الماضية، في مقدمتهم الجنرال شارل ديغول.

بين باريس وكانبيرا

وللتذكير، كان الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك قد قرر إجراء تجارب نووية إضافية في مياه المحيط الهادئ بعد وصوله إلى السلطة عام 1995 وتم الأمر في المحيط الهادئ قبل أن تتوقف هذه التجارب في عام 1996 بعد أن تسببت في موجة احتجاجات عالمية قادتها أستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة الأمريكية والمنظمات غير الحكومية المناهضة للتجارب النووية.

ومن خلال صفقة الغواصات الفرنسية الاثنتي عشرة التي قررت كانبيرا شراءها من باريس «مجموعة نافال» بموجب عقد وقع في عام 2016 أي خلال فترة حكم الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا أولاند، حرص الطرفان الفرنسي والأسترالي على تجاوز تبعات الصورة السيئة التي كان الأستراليون يحملونها عن فرنسا بسبب هذه التجارب النووية. وتُرجم هذا الحرص مثلا عبر الوجود العسكري الأمريكي في منطقة المحيطين الهادئ والهندي لمواجهة الصين، التي تعتبرها الإدارة الأمريكية الحالية وتلك التي سبقتها، أكبر خطر يهدد الولايات المتحدة الأمريكية على أكثر من صعيد. ومن نتائج هذا التحالف المباشرة فسخ عقد صفقة الغواصات الأسترالية المبرمة عام 2016 مع فرنسا واستبدالها بصفقة جديدة تتولى بموجبها الحالي إيمانويل ماكرون إلى قصر الإليزيه في عام 2017 سعت فرنسا إلى تعزيز استراتيجيتها في منطقة المحيطين الهندي والهادئ من خلال تنمية علاقاتها الاقتصادية والعسكرية مع أطراف فاعلة في هذه المنطقة وفي مقدمتها الهند وأستراليا. وتفسر كل هذه المعطيات الطريقة التي ردت من خلالها السلطات الفرنسية على خبر الإعلان عن معاهدة أو اتفاق «اوكوس». ويهدف اتفاق «اوكوس» إلى تعزيز التعاون الأمني والعسكري بين الولايات المتحدة وأستراليا والمملكة المتحدة في إطار تحالف استراتيجي تقوده واشنطن ويرمي أساسا إلى تعزيز الوجود العسكري الأمريكي في منطقة المحيطين الهادئ والهندي لمواجهة الصين، التي تعتبرها الإدارة الأمريكية الحالية وتلك التي سبقتها، أكبر خطر يهدد الولايات المتحدة الأمريكية على أكثر من صعيد. ومن نتائج هذا التحالف المباشرة فسخ عقد صفقة الغواصات الأسترالية المبرمة عام 2016 مع فرنسا واستبدالها بصفقة جديدة تتولى بموجبها الولايات المتحدة الأمريكية تصنيع ثماني غواصات تُشغّل بالطاقة النووية وتستلمها أستراليا في حدود عام 2040.

أصيبت فرنسا بحالة من الإحباط الشديد، تجلى مثلا من خلال العبارات والنعوت القاسية التي وُجّهت إلى أطراف الشراكة الجديدة، والتي صدرت بشكل خاص على لسان وزير الخارجية الفرنسي جان ايف لودريان. وقام بعد ذلك باستدعاء سفيرها لدى واشنطن وكانبيرا للتشاور، في خطوة غير مسبوقة.

وكانت باريس تعول كثيرا على حلفائها في الاتحاد الأوروبي للوقوف معها وقفة حازمة ضد واشنطن، لكن الرد الأوروبي أتى متأخرا على لسان رئيسة المفوضية الأوروبية والمسؤول عن السياسة الخارجية والأمنية؛ ولم يتجاوز هذا الرد حدود التأكيد على أنه ما كان على واشنطن التعامل بهذه الكيفية مع حليف تاريخي مثل فرنسا على هذه الشاكلة. وأكثر من ذلك اصطفت الدنمارك إلى جانب الولايات المتحدة.

ويرى باحثون في العلاقات الدولية وخبراء في منطقة المحيطين الهادئ والهندي أن أستراليا التي تأزمت علاقاتها مع الصين في الآونة الأخيرة لعدة أسباب، منها حرص كانبيرا على فتح تحقيق مستقل وشفاف بشأن كيفية نشأة فيروس كورونا في الصين، تدرك اليوم أن المظلة الأمنية الأمريكية أكثر أمانا من المظلة الفرنسية أو غيرها من المظلات الأخرى أمام شهية الصين المتنامية على أكثر من صعيد في هذه المنطقة. فالغواصات الأمريكية أكثر قدرة من نظيرتها الفرنسية، على ردع الخصم الصيني. ضف إلى ذلك أن الشراكة الأمنية الجديدة مع الولايات المتحدة وبريطانيا ستسمح للأستراليين بالاستفادة بشكل أفضل من التكنولوجيا الأمنية والدفاعية الأمريكية والتي أصبح الذكاء الاصطناعي يلعب في تطويرها دورا كبيرا.

وهذا ما أدركته الصين، التي قالت إن شراكة «اوكوس» تُذكر بـ«عقلية الحرب الباردة» معتبرة أن الاتفاق ينسف «بشكل خطير السلام والاستقرار في المنطقة ويكثف السباق نحو التسلح ويهدد الجهود الدولية الرامية إلى الحد من انتشار الأسلحة النووية».

منهجية العقلانية والواقعية

وقد علق العديد من المحللين السياسيين الفرنسيين ومنهم آلان فراشون المحلل السياسي في صحيفة «لوموند» على الرد الفرنسي تجاه ما يسمى «أزمة الغواصات» فقالوا إن من مزاياها أنها أثبتت مرة أخرى أن فرنسا في نهاية المطاف قوة عالمية متوسطة الحجم، وأن الدعوات التي صدرت عن بعض أحزاب اليمين واليسار المتشددة بمغادرة حلف الناتو في غير محلها، لأن فرنسا غير قادرة بمفردها على الدفاع عن مصالحها الحيوية الاستراتيجية في العالم.

ويقول هؤلاء إن التجربة أثبتت حتى الآن أن تصدي فرنسا للإرهاب في منطقة الساحل ما كان له أن يصل إلى النتائج التي حققها حتى الآن لولا الدعم اللوجيستي والاستخباراتي الأمريكي.

وإذا كانت هذه الأزمة قد أثبتت أيضا حاجة دول الاتحاد الأوروبي إلى إنشاء قوة دفاعية مشتركة وصناعة عسكرية مشتركة وسياسة أمنية مشتركة تأخذ في الحسبان التحديات العسكرية والأمنية والدفاعية التي ستواجهها دول الاتحاد الأوروبي على المديين المتوسط والبعيد، فإن الرئيس الفرنسي الحالي يدرك جيدا أنه ليس من السهل العمل على تجسيد هذه الحاجة عبر خطوات عملية وسريعة لعدة اعتبارات منها مثلا أن عدة دول في الاتحاد الأوروبي لا تزال ترى أن المظلة العسكرية الأمريكية هي الدرع الواقي من مثل هذه الأخطار وفي مقدمتها الخطر الروسي.

لكل ذلك، فإنه ليس ثمة أمام فرنسا اليوم وغدا إلا خيار واحد هو استخدام منهجية عقلانية وواقعية تنطلق من مبدأ أنه على فرنسا مواصلة التعاون مع الولايات المتحدة لأنها شريك استراتيجي تاريخي برغم اختلاف المصالح الحيوية والاستراتيجية الفرنسية والأمريكية في كثير من الأحيان. وليس من مصلحة باريس أن تتوتر علاقاتها مع لندن لأن ما يجمع بين البلدين أكثر بكثير مما يفرقهما ولأن بالمملكة المتحدة بلد دائم العضوية في مجلس الأمن الدولي، والبلد الأوروبي الثاني مع فرنسا الذي لديه قوة عسكرية فيها مكان للسلاح الذري حتى بعد خروج هذا البلد من الاتحاد الأوروبي.

يبدو أن فرنسا لن تنسى بسرعة أنها طُعنت في الظهر من قبل الحليف الأمريكي عبر «أزمة الغواصات» كما يتّضح من كلام وزير خارجيتها جان إيف لودريان بعد لقائه يوم الخميس الماضي بنظيره الأمريكي أنتوني بلينكن، في نيويورك، حيث أبلغه بأنِ الخروج من الأزمة يتطلب «وقتاً وأفعالاً» وفق بيان الخارجية الفرنسية. وهو ما أقر به بلينكن نفسه، قائلا إن يلاده تدرك أن المصالحة مع باريس «ستستغرق وقتاً». وهو موقف شاطره نظيرهما الألماني هايكو ماس. ومع ذلك فإن فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية تدركان أنهما بحاجة ماسة إلى بعضهما. وهذا ما جعل رئيسي البلدين جو بايدن وإيمانويل ماكرون يجريان محادثة هاتفية، يوم الأربعاء الماضي، بطلب من سيد البيت الأبيض، ركزا خلالها على ضرورة «إطلاق عملية تشاور معمق تهدف إلى تأمين الظروف التي تضمن عودة الثقة» بين الحليفين بعد هذه الأزمة. وقررت باريس على إثرها إعادة سفيرها إلى واشنطن بسرعة.

وبعدها بيومين، جرت مكالمة هاتفية في السياق نفسه بين الرئيس الفرنسي ورئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون بطلب من هذا الأخير، الذي تعهد خلالها بتقديم مقترحات عملية من شأنها إعادة الحيوية إلى التعاون الاستراتيجي بين البلدين في عدة قضايا منها ضمان الأمن في منطقة المحيطين الهندي والهادئ والتصدي لظاهرتي الاحتباس الحراري والإرهاب.

الغواصات الفرنسية: بين ماجلان وجيمس بوند

صبحي حديدي

رغم أنها يمكن أن تتراوح بين صفقة القرن (التجارية/ الصناعية) وخيانة القرن (الجيو – سياسية/ الدفاعية)، تبدو حكاية عقد الغواصات الفرنسية الذي فسخته الحكومة الأسترالية في منزلة وسطى على نحو ما؛ بين مبدأ، قديم قدم تاريخ السياسة العالمية ومناهج القوى العظمى، يُعلي المصالح الفردية لهذه الدولة أو تلك على كلّ ما عداها من مواثيق تنتظم التحالفات والصداقات؛ ومبدأ قديم بدوره، لكنه يستجدّ دائماً ويتجدد كلما احتاجت الولايات المتحدة إلى تنظيم كواكبها وأجرامها من حول هذه أو تلك من سياسات المواجهة.

ذلك لأنّ الأصل في الحكاية هو أنّ التعاقدات أياً كانت، التجارية/ الصناعية مثل الجيو – سياسية/ الدفاعية، يمكن أن تُبطلها اعتبارات الامن القومي للطرف الأقوى في العقد؛ بصرف النظر عن تواريخ الصداقات والتحالفات وشتى أشكال الحروب التي خاضها الطرفان معاً في زمن مضى، أو يُحتمل أن يضطرا إلى خوضها معاً في أيّ زمن قادم. تحصيل حاصل، قد يقول قائل تعليقاً على السطور السالفة، محقاً تماماً في الواقع؛ لولا أنّ نقض عقد قيمته أكثر من 60 مليار دولار، من جانب واشنطن ضدّ الحليف في باريس، بالتواطؤ مع بلد خارج أوروبا اسمه استراليا، وبلد خرج لتوّه من أوروبا اسمه المملكة المتحدة، ضربة ليست مألوفة، ولا تُوَجّه كلّ يوم، بكلّ هذا الاستخفاف والاستهانة و«الطعن في الظهر» حسب وزير الخارجية الفرنسي.

فكيف وتوقيت الضربة يأتي قبل أشهر معدودات من انتخابات رئاسية فرنسية، بعض ما يضعف موقع الرئيس الفرنسي الحالي/ المرشح الرئاسي إمانويل ماكرون فيها، ذلك الاتهام بأنه واقع في غرام الاتحاد الأوروبي والحلف الأطلسي على حساب ما يتوجب عليه أن يُغرم به فرنسياً أوّلاً. وكيف إذا كان الرئيس الأمريكي جو بايدن قد أثبت، في حكاية الغواصات هذه، أنه لا يختلف عن سلفه دونالد ترامب إلا في قلّة استخدام منصة تويتر؛ هنا، كذلك، حسب تعبير الخارجية الفرنسية. وكيف، ثالثاً، إذا كانت سخرية الإعلام الأمريكي من خطوة ماكرون الكاريكاتورية المتمثلة في استدعاء السفير الفرنسي لدى واشنطن، ثمّ إعادته سريعاً بعد مكالمة مع بايدن، لا تذكّر إلا بسخرية الإعلام ذاته من فرنسا أيام غزو العراق سنة 2003، حين ابتدأ التهكم من الجبنة الفرنسية المتعفنة، ولم ينته عند... الغواصات العتيقة، إياها!

كل هذا بمعزل عن صحة ما تردد بصدد حبكات بوليسية، جديرة حقاً بمخيّلة إيان فلمنغ مبتكر شخصية جيمس بوند، انطوت على تآمر الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا لصياغة تحالف «أوكوس» في قلب اجتماعات مجموعة السبع في كورنوال البريطانية، حزيران (يونيو) الماضي؛ ولكن بعيداً عن الأنظار والعدسات وأسماع الحلفاء، خاصة فرنسا صاحبة العقد مع كانبيرا. وأمّا صحيفة تيويورك تايمز»، القادرة على إماطة اللثام عن أسرار كواليس البيت الأبيض، فقد أوضحت أنّ البذور الأولى لتحالف «أوكوس» لم تبدأ مع بايدن، وليس حتى مع سلفه ترامب؛ بل كانت مشروعاً جيو – سياسياً وُضعت خطوطه الأولى العريضة في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما. ولم تكن احتمالات الحرج الناجم عن مباغتة الحلفاء الأوروبيين والأطلسيين بهذه الخطة، التي تضعهم على خطوط التماس، مدعاة تردد من جانب أوباما، ولم تكن استطراداً سبباً موجباً لإدخال تعديلات تكفل إلحاق بعض الحلفاء بالركب.

ولامرئ أن يتساءل، محقاً هنا أيضاً: أكلّ هذا خشية الخطر الصيني، أو لإحكام السيطرة على مياه المحيطين الهندي والهادئ؟ وهل عزّت على الرئيس الأمريكي بواعث نفخ الحياة في جثة الحرب الباردة، شبه الهامدة، حتى يشعل الشرارة من هنا، وسط الازدحام الجيو – ستراتيجي بين الصين وروسيا واليابان والهند وتايوان والكوريتين...؟ وبعد أكثر من 500 سنة على نجاح فرناندو ماجلان في عبور المحيط الهادئ، هل يعتزم بايدن إحلال جيمس بوند محل المستكشف الملاح؟

تسليح أستراليا بغواصات نووية يشعل سباق التسلح في الشرق الأقصى

ابراهيم نوار

حاملة طائرات أمريكية في المحيط الهندي

إن تزويد أستراليا بتكنولوجيا إنتاج غواصات نووية هجومية في إطار اتفاق شراكة دفاعية ثلاثية بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا من خلال اتفاق «اوكوس» يخلق واقعا استراتيجيا جديدا في جنوب شرق آسيا والشرق الأقصى، ينطوي على تغيير قواعد لعبة التوازن الاستراتيجي، وإقامة نظام جديد للردع النووي الإقليمي يضع أستراليا في مواجهة مع الصين بالوكالة، ويفتح الباب للانتشار النووي في المنطقة المليئة بعوامل التوتر. الاتفاق يتعارض مع التزامات أستراليا بمقتضى عضويتها في معاهدة منع الانتشار النووي، كما يتعارض مع طبيعة اتفاقية التعاون الاستراتيجي الثلاثي بين أستراليا ونيوزيلندا والولايات المتحدة لعام 1951 والذي جاء استجابة من الولايات المتحدة لتهدئة مخاوف كل من الشريكين من احتمالات التهديد الياباني في المستقبل. عند توقيع اتفاقية 1951 لم تكن الصين مصدر تهديد، ولا كانت قواتها قد غزت عددا كبيرا من دول المنطقة، ولا دخلت في مواجهة طاحنة في البحر مع الولايات المتحدة في أواخر الحرب العالمية الثانية مثل اليابان، التي أصبحت في نهاية الحرب الدولة الأولى في العالم التي تضربها أمريكا بالقنابل النووية. الحلف الدفاعي الجديد «اوكوس» مع أنه ينقل مركز التهديد الرئيسي في جنوب شرق آسيا من اليابان إلى الصين، إلا أن الدول الأخرى في المنطقة، مثل ماليزيا وإندونيسيا والفلبين وفيتنام وتايلاند وكمبوديا، سترى في حصول أستراليا على أسرار تكنولوجيا إنتاج وتشغيل المفاعلات النووية، وتشغيل الغواصات بالوقود النووي، مصدر تهديد إقليمي جديد، كما أن ذلك يثير الكثير من القلق بشأن التبعات البيئية لاستخدام الغواصات النووية. ويشترك في القلق من تلك التبعات أيضا سياسيون أستراليون، حيث وصف أحد قادة حزب الخضر الأسترالي الغواصات النووية بأنها «تشرنوبل عائمة».

لماذا الغواصات النووية؟ ولماذا الآن؟

يحتاج فهم أهمية صفقة الغواصات النووية الهجومية، الإجابة على عدد من الأسئلة، تتعلق بطبيعة الصفقة نفسها، ودلالاتها بالنسبة لأستراليا والصين ودول جنوب شرق آسيا، بما فيها اليابان، وتأثيرها على توازن القوى العالمي، ثم محاولة استكشاف استنتاج رئيسي حول ما إذا كانت الصفقة ستجعل العالم أكثر أمنا أم انها ستزيد حدة التوتر.

على صعيد مباشر تمثل الصفقة تحولا في الموقف الأمريكي الاستراتيجي، أدى إلى قطع الطريق على فرنسا في لعب دور رئيسي في الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا. ذلك أن صفقة الغواصات التي وقعتها فرنسا مع أستراليا عام 2016 لم تكن هي الأخرى مجرد صفقة تجارية، وإنما كانت جزءا من خطة لبناء تحالف استراتيجي ثلاثي بين باريس ونيودلهي وكانبيرا، حيث كانت فرنسا في عام 2015 وقعت مع الهند صفقة طائرات الرافال في إطار خطة لتحديث سلاح الطيران. الولايات المتحدة قررت فيما يبدو إزاحة فرنسا من الطريق، لكي تحل محلها، وجاءت بريطانيا التي انفصلت عن الاتحاد الأوروبي إلى الحلف، وهو ما يعكس عدم ثقة أمريكا في أوروبا. في الوقت نفسه تواصل واشنطن العمل على تطوير تحالف «كواد - Quad» الذي يضم الولايات المتحدة وأستراليا والهند واليابان.

وإلى جانب صفقة الغواصات النووية الهجومية يتضمن اتفاق «اوكوس» مجموعة ترتيبات دفاعية بين الدول الثلاث، إلى جانب تعاون في مجالات الحرب السيبرانية، واستخدام أسلحة حديثة في الحرب مثل أجهزة الذكاء الاصطناعي، وتبادل المعلومات المخابراتية. وعلى الرغم من التركيز على الغواصات، فإن الترتيبات الأخرى ذات الطابع الاستراتيجي لا تقل أهمية، وهي ما تزال غامضة وغير محددة، وقد تتطلب في نهاية الأمر إنشاء قيادة مشتركة لإدارتها، فتصبح تلك القيادة عمليا هي نقطة الارتكاز ومركز العمليات الذي تصب داخله كل الإجراءات، وتنطلق منه كل التوجيهات المتعلقة بالتعاون الدفاعي الثلاثي.

ويستلزم تنفيذ صفقة الغواصات النووية إنشاء قدرات تكنولوجية ولوجيستية جديدة في أستراليا من خلال تطوير ترسانة بناء السفن، وإدخال تكنولوجيا تشغيل المفاعلات النووية، وتطوير القدرات الإلكترونية وغيرها، إلى المستويات التي تسمح بتصنيع الغواصات النووية في أستراليا. وفوق كل ذلك ستحتاج أستراليا إلى تدريب فئة جديدة تماما من الخبراء والمهندسين والعسكريين اللازمين لإنتاج وتشغيل وصيانة الغواصات النووية، واحتواء الأخطار التي يمكن عن تنتج عن أخطاء في التصنيع أو التشغيل أو الصيانة. مثل هذه القدرات لن تتوفر لأستراليا، وهي تحتاج لسنوات حتى تصبح قادرة على إنتاج الغواصة النووية الأولى بتعاون مشترك مع الولايات المتحدة وبريطانيا.

ويبدو حتى الآن أن الولايات المتحدة ستحتفظ وحدها بأسرار لوحة تشغيل الغواصات النووية، حيث سيتم تركيبها في الغواصات كصندوق مغلق، لا تنتجه أستراليا ولا تعرف أسراره. وهذا يعني أن قرارات التشغيل ستكون في يدي الولايات المتحدة وليس أستراليا. لكن معظم عمليات إنتاج الغواصات النووية ستكون في أستراليا، وهو ما يكسبها خبرات تكنولوجية متقدمة في مجالات إنتاج وتشغيل المفاعلات النووية. وتعمل الغواصات النووية بوقود تصل فيه درجة تخصيب اليورانيوم إلى أكثر من 20 في المئة، بل ان التخصيب في الغواصات الأمريكية الأحدث يتجاوز 90 في المئة، وهو الوقود اللازم لإنتاج قنبلة نووية. ومن هذه الزاوية فإن تقديرات خبراء الاستراتيجية في العالم تحذر من خطورة الصفقة فيما يتعلق بمنع الانتشار النووي. ومع أن الرد الرسمي من جانب الحكومة الأسترالية يؤكد أنها لن تخل بالتزاماتها بوصفها دولة موقعة على معاهدة حظر الانتشار النووي، فإن بعض دول الجوار، خصوصا إندونيسيا وماليزيا قد أبدت انزعاجا شديدا، وقررت إندونيسيا تعليق تعاونها العسكري مع أستراليا، وألغت اجتماعا كان مقررا بين وزيري دفاع البلدين. كما أن الولايات المتحدة تنفي هي الأخرى أن يؤدي حصول أستراليا على الغواصات إلى التقليل من التزاماتها النووية، انطلاقا من أن تسليحها بهذه الغواصات لا يتضمن تسليحها بأسلحة نووية. ومن المعروف أن الغواصات النووية الأمريكية والبريطانية على السواء، مزودة بصواريخ يحمل كل منها عددا من الرؤوس النووية، قادرة على إصابة أهداف مختلفة في وقت واحد.

الرد الصيني المتوقع

وفي هذا السياق، وعلى ضوء احتياج أستراليا لإنشاء بنية أساسية لوجستية وتكنولوجية وبشرية، سوف يستغرق تجهيزها فترة تصل إلى عقد من الزمان، فإن الصين يمكن أن تعيد تنظيم قدراتها الدفاعية في منطقة المحيط الهادئ، للحد من تأثير حصول أستراليا على قوة ردع نووي. كذلك فإن الصين تستطيع أن تسهم هي أيضا في تكثيف التهديد النووي في منطقة المحيط الهادي وجنوب شرق آسيا بتشجيع كوريا الشمالية على تطوير قوة ردع نووي بحرية، تمثل تهديدا إضافيا لكل من الولايات المتحدة وأستراليا واليابان. وقد استأنفت كوريا الشمالية تجارب إطلاق الصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية، وطورت منصات جديدة متحركة لإطلاق تلك الصواريخ، كان آخرها إطلاق صواريخ من عربات قطار لشحن البضائع. ببساطة فإنه ليس من المتوقع أن تقف الصين مكتوفة اليدين خلال السنوات التي ستمضيها أستراليا في تجهيز بنيتها التحتية اللازمة لإنتاج الغواصات النووية، أو تجميعها داخل ترسانة حديثة. ومن هنا فإن الولايات المتحدة قد تدرك فيما بعد خطأ حساباتها الاستراتيجية، لأنها لن تتمكن بصفقة الغواصات من إنهاك الصين وجرها إلى سباق تسلح إقليمي مع أستراليا يشتت تركيزها الاستراتيجي على مستوى العالم.

في هذا السياق فإن إقامة الحلف العسكري الثلاثي أوكوس هو خطوة تخدم احتياج الولايات المتحدة إلى حليف إقليمي قوي عسكريا في جنوب شرق آسيا. وقد رفع الحلف مكانة أستراليا في المنظومة الدفاعية الأمريكية في الخارج، لدرجة أن جوزيف بايدن قال أن «ليس للولايات المتحدة حليف أقرب تعتمد عليه أكثر من أستراليا». وسوف تستفيد أستراليا من كونها عضوا مؤسسا في الحلف في تعزيز قوتها العسكرية، التي زادت كثيرا في السنوات الأخيرة بفضل صفقات السلاح الضخمة مع الولايات المتحدة، التي شملت أسلحة متطورة مثل طائرات إف-35. وتشير تقارير معهد سيبري لأبحاث السلام إلى أن أستراليا احتلت المركز الرابع بين الدول المستوردة للسلاح في العالم خلال السنوات الخمس الأخيرة.

التكلفة والعائد

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية احتفظت أستراليا بموقف متوازن في المنافسة بين الصين والولايات المتحدة. لكن السنوات الأخيرة شهدت تغيرا متزايدا يميل إلى معاداة الصين، وصل إلى مستوى الحرب التجارية والتضييق على الطلاب الصينيين، وهي أساليب تستخدمها الولايات المتحدة في حربها الباردة ضد الصين. ومع ذلك فإن مصداقية أستراليا الإقليمية لم تتأثر كثيرا، واستمرت كانبيرا قادرة على لعب دور مهم داخل مجموعة آسيان وترتيبات التعاون الإقليمي المختلفة في منطقة الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا. هذا الدور أصبح الآن مهددا، فقد كشفت أستراليا صراحة انها بكونها عضوا في حلف «اوكوس» قد انحازت إلى صف الولايات المتحدة، وهو ما يواجه معارضة بين دول آسيان، سواء من حيث المبدأ مثل ماليزيا، أو من حيث طريقة تنفيذه بدون تشاور مع دول الجوار مثل الفلبين. وإذا خسرت أستراليا مصداقيتها على الصعيد الإقليمي، فإن ذلك سيترك سحابة قاتمة على الدور العالمي الذي تطمح اليه من خلال الحلف الدفاعي مع الولايات المتحدة وبريطانيا. كذلك فإن استعداد الصين يمكن أن يسبب لها مشاكل اقتصادية عميقة، خصوصا فيما يتعلق بصادراتها من الغاز المسال واللحوم، ناهيك عن التهديد النووي الصيني الذي قد تتعرض له في حال حدوث مواجهة شاملة مع الصين.

في المحصلة النهائية، يعتبر انضمام أستراليا إلى حلف «اوكوس» تغييرا لقواعد لعبة التوازن الاستراتيجي في الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا، يقيم نظاما جديدا للردع النووي الإقليمي يستهدف إنهاك الصين في سباق التسلح. لكنه يفتح الباب للانتشار النووي الذي تراه دول المنطقة بشكل عام تهديدا لأمنها وسلامتها، وقد يؤدي إلى زيادة العداء لأستراليا من جانب بعض دول المنطقة، ومنها دول نووية مثل كوريا الشمالية. ومن المحتمل كذلك أن يؤدي حصول أستراليا على قدرات نووية، من خلال تصنيع وتشغيل المفاعلات، إلى إثارة الروح العسكرية في اليابان التي تشهد حاليا هي الأخرى موجة عداء واسعة ضد الصين بدعم من الولايات المتحدة. فإن صفقة الغواصات النووية في إطار ترتيبات الحلف العسكري الجديد، ستجعل منطقة الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا أقل أمانا، وأكثر توترا، وستضعها في عين العاصفة، وتجعل العالم كله أقل أمنا عما كان من قبل.

صفقة الغواصات: الشكوك تتزايد بشأن المصداقية الأمريكية ونهاية لسياسة منع الانتشار النووي

رئيس وزراء استراليا ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

تعهد الرئيس الأمريكي جو بايدن عندما كان مرشحاً في الانتخابات الرئاسية باستعادة التحالفات الخارجية الحيوية، التي أضر بها الرئيس السابق دونالد ترامب، ولكن على النقيض من ذلك، نجح بايدن، في إثارة شكوك واسعة النطاق في الداخل والخارج حول كفاءة أمريكا وموثوقية ضماناتها الأمنية، وفي أحدث مثال، لم تسحب فرنسا من قبل سفيرها في واشنطن للتشاور إلا في عهد بايدن.

واتفق العديد من المحللين الأمريكيين على أن اتفاق الغواصات بين الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا كان في الواقع طعنة في ظهر فرنسا، على الرغم من اعتبار البيت الأبيض للاتفاق مكسباً لتعزيز موقف الدفاع الجماعي في منطقة المحيطين الهندي والهادئ.

وكان الغضب الفرنسي يتعلق بعملية البيع نفسها بقدر ما كان حول السرية، التي أجرت واشنطن مفاوضاتها من خلالها، حيث اتخذ فريق إدارة بايدن خطوات غير عادية لإخفاء مفاوضاته عن باريس، وكان العقد الفرنسي مع أستراليا من بين أكبر عقود الدفاع في تاريخها، كما جاءت الأحداث قبل سبعة أشهر من انتخابات سيواجهها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون.

وأشار الخبراء إلى فرنسا تورطت عن طيب خاطر في أمن المحيطين الهندي والهادئ بطريقة تكمل الجهود الأمريكية وتخدم مصالح واشنطن، وقالوا إن تنفير فرنسا لا طائل منه وسيؤدي إلى نتائج عكسية، من بينها أن الاتفاق سيخدم مصالح الصين «المستهدفة من الاتفاق في الأصل» أكثر بكثير مما يخدم مصالح أمريكا.

وأوضح مايكل شوركين، مؤسس ومدير مؤسسة «نورث ستراتيجيز» أن الاتفاق يشمل تزويد أستراليا بغواصات نووية ومشاركة للتقنيات الحساسة للغاية، وكان ذلك يعني أيضاً، كسر صفقة ضخمة وقعتها أستراليا لشراء غواصات من فرنسا، واستبعاد فرنسا عن شراكة مشاركة التكنولوجيا، وهي خطوات تعتبر امتداداً لاستبعاد فرنسا من ترتيب مشاركة المعلومات الاستخبارية «العيون الخمس» والدائرة الداخلية الأمريكية التي تمثلها.

وبالنسبة للفرنسيين، ما حدث كان ضربة للصناعة البحرية، وهي أولوية إستراتيجية، والأهم من ذلك، الاتفاقية كانت مزعجة للغاية، لأنه لم يتم إبلاغ فرنسا بصفقة الغواصات حتى ظهرت في الأخبار، ولذلك تفاعلت باريس بشكل سيئ مع المعاملة الرديئة.

لماذا يجب أن يهتم الأمريكيون بالفرنسيين فيما يتعلق بأمن المحيطين الهندي والهادئ؟ أجاب شوركين أن فرنسا تعتبر نفسها قوة في المحيطين مع الإشارة إلى أن هناك أكثر من مليون ونصف فرنسي يعيشون في المنطقة بفضل مستعمراتها المتناثرة، كما تحتفظ فرنسا بقوة دائمة قوامها 7 آلاف رجل وامرأة في المنطقة، وفي العامين الماضيين، كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يقوم بدفعة دبلوماسية كبيرة في المنطقة خاصة مع أستراليا والهند بهدف مواجهة الصين.

وليس هناك ما تخسره الولايات المتحدة في تشجيع النشاط الفرنسي في المنطقة، وهناك الكثير مما قد تكسبه، وفي الوقت نفسه، فإن تنفير باريس يدق إسفيناً بين واشنطن ودولة حريصة على تحمل العبء.

وأشار المحللون الأمريكيون إلى أن فرنسا هي القوة العسكرية الأولى الأكثر قدرة في أوروبا الغربية في حين تحتل بريطانيا المرتبة الثانية، ولكن التعامل معها على أنها أفضل صديق افتراضي لأمريكا في منطقة المحيطين الهندي والهادئ مع تجاهل باريس سيبدو أمرا غير واقعي.

والمصالح الفرنسية في المنطقة هي نفسها التي كانت قبل الصفقة، مما يشير إلى أنه في النهاية لن يتغير أي شيء ولكن عدم اكتراث إدارة الرئيس جو بايدن الواضح بقيمة بناء علاقات قوية متعددة الأطراف تضم حليفاً قوياً يبدو وكأنه أمر غريب، ومن المستحيل أيضا عقد صفقة مع أستراليا حول الغواصات مع تجنب عداء فرنسا.

وقد روجت إدارة بايدن للاتفاقية باعتبارها مواجهة لتخويف البحرية الصينية المتزايد لأستراليا ودول أخرى في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، ولكن من المرجح أن الآثار المفيدة على الصين ستقابلها آثار سلبية على نظام منع انتشار الأسلحة النووية، ومن المرجح أن يتم تحفيز الدول الأخرى غير المسلحة نووياً، مثل كوريا الجنوبية وإيران، للحصول على غواصات هجومية بالطاقة النووية من الولايات المتحدة بريطانيا أو ربما من الصين أو روسيا.

وقال الباحثان جورج مور وفرانك هيبيل إن الاتفاقية ستؤدي إلى الافتراض، أيضاً، بأنه سيتم تزويد الغواصات الأسترالية بالليورانيوم عالي التخصيب المستمد من فائض الحرب الباردة.

وأكد الباحثان أنه من الحماقة للولايات المتحدة، التي عملت لعقود على سياسة منع الانتشار النووي، أن تقوم الآن بتصدير اليورانيوم المستخدم في صنع الأسلحة إلى دول غير مسلحة نووياً، خاصة بعد أن أنفقت أكثر من مليار دولار منذ 11 ايلول/سبتمبر لتحويل مفاعلات الأبحاث من فئة الأسلحة إلى وقود اليورانيوم المنخفض التخصيب.

ونظراً لأن أستراليا ليس لديها برنامج طاقة نووية تجاري (لديها مفاعل أبحاث) ولا توجد مرافق دعم عسكري للسفن التي تعمل بالطاقة النووية في هذه المرحلة، فربما يتعين عليها الاعتماد في البداية على الولايات المتحدة أو بريطانيا لتدريب الأفراد ودعمهم.

وأشار مور وهيبيل إلى أن الإنشاء النهائي لقوة غواصة نووية في أستراليا قد يستغرق عقوداً ولذلك قد تتبع أستراليا نهج الهند وتبدأ في استئجار غواصة نووية من الولايات المتحدة أو بريطانيا، وقد استأجرت الهند غواصتين: الأولى من الاتحاد السوفييتي والثانية من روسيا قبل بناء غواصتها النووية الخاصة، والتي يبدو أن تصميمها يعتمد بدرجة كبيرة على غواصتها الثانية المستأجرة.

وفرنسا، ليست الدولة الوحيدة التي تشك بشكل متزايد في إخلاص أمريكا لحلفائها أو الضمانات الأمنية، حيث انتشرت مخاوف بشأن مصداقية واشنطن على نطاق واسع في مؤتمر عُقد في كيبيك، عاصمة أوكرانيا، التي احتلت روسيا أراضيها جزئياً وضمتها منذ عام 2014 عندما غزت قواتها شبه جزيرة القرم.

وعلى الرغم من أن الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي أصبح ثاني زعيم أوروبي يقوم بزيارة رسمية إلى واشنطن في أوائل ايلول/سبتمبر، إلا أنه شعر وغيره من كبار المسؤولين بخيبة أمل من النتيجة.

وقد وافقت واشنطن على زيادة 60 مليون دولار في المساعدات العسكرية لأوكرانيا، ولكن العديد من المحللين قالوا إن الرئيس الأوكراني لم يحصل في الواقع على الكثير مما كان يبحث عنه.

ووصل غضب حلفاء الولايات المتحدة من تصرفات إدارة بايدن إلى حد قول كارل بيلت، رئيس الوزراء السويدي السابق، إن أوروبا لم تكن راضية عن المشاورات مع ترامب ولكن الوضع الآن أسوأ بكثير حيث لا توجد مشاورات، كما وصف بيليت تعامل بايدن مع قضية الغواصات بأنه «غير كفء بشكل مذهل».

وعلى الرغم من أن القلائل من الأوروبيين يريدون عودة ترامب إلى البيت الأبيض إلا أن مجرد مقارنة بايدن معه تشير إلى كثرة الأخطاء التي يرتكبها الرئيس الحالي.

السنة الثالثة والثلاثون العدد 10397 الأحد 26 أيلول (سبتمبر) 2021 – 19 صفر 1443 هـ

الموقف البريطاني من أزمة الغواصات الفرنسية

صادق الطائي

اعتبر المراقبون الأزمة الأخيرة التي اندلعت بين باريس وواشنطن الأخطر والأقسى في التاريخ المعاصر بين الدولتين الحليفتين. إذ شهدت العلاقات بينهما انتكاسة على المستوى السياسي والاقتصادي على خلفية أزمة الغواصات، التي كانت طلبتها أستراليا عام 2016 من مجموعة شركات «نافال غروب» الفرنسية، المملوكة جزئيا للدولة، لتوفير 12 غواصة لصالح أستراليا، بناء على نموذج غواصة «باراكودا» الفرنسية قيد التطوير بقيمة 31 مليار يورو، ثم فاجأت أستراليا الفرنسيين بإلغاء الصفقة والتحول إلى شركات أمريكية وبريطانية بديلة بدون إبداء الأسباب.

التصريحات الرسمية الفرنسية جاءت على لسان وزير خارجيتها جان ايف لودريان الذي وصف ما جرى بأنه «طعنة في الظهر» كما ندد بـ«كذب» و«ازدواجية» وتقويض كبير للثقة و«ازدراء» من جانب حلفاء فرنسا. كما قال أثناء مؤتمر صحافي على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتّحدة في نيويورك «إنّ الموضوع يتعلق في المقام الأول بانهيار الثقة بين حلفاء وهذا الأمر يستدعي من الأوروبيين التفكير مليّا بالتحالفات».

لكن الغضب الفرنسي كان منصبا بشكل أساسي على الولايات المتحدة وأستراليا، بينما عوملت بريطانيا بازدراء وإهمال، إذ قال لودريان في حوار مع القناة الفرنسية الثانية «لقد استدعينا سفيرينا من واشنطن وكانبيرا لإعادة تقييم الوضع، وليست هناك حاجة لذلك بخصوص بريطانيا، نحن نعلم انتهازيتهم المستمرة. لذلك، ليست هناك حاجة لاستدعاء سفيرنا من لندن لشرح الأمر» وأضاف في تعليقه على دور لندن في الاتفاقيّة باستخفاف «بريطانيا ليست إلا طرفاً زائداً في كلّ هذه المعادلة».

وبدا الموقف البريطاني من أزمة الغواصات مدفوعا بمحركين وجها سلوك حكومة المحافظين، المحرك الأول هو البحث عن دور في خريطة الأحداث العالمية الكبرى تشغله المملكة المتحدة كأحد اللاعبين الكبار بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي، ولا يوجد أفضل من ان تدير لندن ظهرها للقارة العجوز وتتجه بوجهها ناحية واشنطن باحثة عن شراكة عبر المحيط تعوضها عن فقدان دعم الاتحاد الأوروبي بعد بريكست.

بينما كان المحرك الثاني لإقدام بريطانيا على الدخول في اتفاقية «أوكوس» هو البحث عن صفقات تجارية تعالج بها وضع اقتصادها الذي تعرض لانتكاسات حادة جراء تداعيات الخروج من الاتحاد الأوروبي، يضاف إلى ذلك ما تركته جائحة كورونا من أضرار على السوق البريطاني، لذلك اندفعت حكومة بوريس جونسون باتجاه المعاهدة الجديدة، والتي باتت تعرف بأنها «اتفاق انكلوسكسوني» يجمع بين الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وأستراليا. ويقوم الحلف الجديد على أسس التعاون الاستراتيجي والاقتصادي والسياسي والعسكري، والهدف منه، وبكل وضوح، الوقوف بوجه التمدد الصيني، إذ يتوقع المراقبون ان يقفز الاقتصاد الصيني متجاوزا الأمريكي في غضون عشرة أعوام، وحينذاك سيكون الاقتصاد الأول في العالم، وبالتالي فإن اتفاق «اوكوس» الجديد يمثل محاولة للحد من التوسع الصيني في مختلف الساحات العالمية، وبشكل خاص في المحيطين الهندي والهادي.

قلق وانزعاج فرنسا من الموقف البريطاني دفع إلى إلغاء اجتماع وزيرة الدفاع الفرنسية فلورنس بارلي مع وزير الدفاع البريطاني بن والاس في لندن. إلا أن ردود الأفعال البريطانية الرسمية توزعت بين التريضية واللين من جهة، والتشدد والصرامة من جهة أخرى، إذ كان هناك نوع من توزيع الأدوار بين رئيس الوزراء بوريس جونسون، ووزيرة خارجيته ليز تروس، حيث صرح جونسون للصحافيين وهو في طريقه إلى نيويورك لحضور اجتماعات الأمم المتحدة قائلا «إن على فرنسا ألا تقلق بشأن التحالف» وأكد على أن العلاقات الأنكلو–فرنسية «لا يمكن محوها» وأضاف أن بريطانيا وفرنسا تربطهما «علاقة ودية للغاية» ووصفها بأنها «ذات أهمية كبيرة» كما قال للصحافيين «حينا لفرنسا لا يمكن استئصاله». وبين أن «اتفاق (أوكوس) ليس المقصود منه بأي حال من الأحوال أن يكون هناك طرف رابح وطرف خاسر، ولا يُقصد أن يكون إقصائيا. انه ليس شيئًا يحتاج أي شخص للقلق بشأنه وخصوصا أصدقاؤنا الفرنسيون».

أمن المحيط الهندي والهادئ

بينما صرحت وزيرة الخارجية البريطانية الجديدة ليز تروس في مقال كتبته في صحيفة «الديلي تلغراف» بالقول «سنعمل بشكل أوثق معًا لاستخدام مجموعة واسعة من التقنيات المتطورة من الغواصات التي تعمل بالطاقة النووية في البداية، ثم النظر في الذكاء الاصطناعي والحوسبة الكمومية». وأضافت واصفة الخطوة البريطانية أنها «تظهر استعدادنا لأن نكون حازمين في الدفاع عن مصالحنا، والتصدي للممارسات غير العادلة والأفعال الخبيثة. كما تظهر التزامنا بالأمن والاستقرار في منطقة المحيطين الهندي والهادئ». كما أشارت إلى أن رئيس الوزراء بوريس جونسون قد سلط الضوء على الأهمية الاستراتيجية الحيوية لتلك المنطقة عندما وضع رؤيته لبريطانيا العالمية في المراجعة المتكاملة للسياسة الخارجية والأمنية والتنموية في وقت سابق من هذا العام.

موقف الاتحاد الأوروبي كان واضحا في مساندته لباريس ومهاجمته اتفاقية «أوكوس» باعتبارها ضربة لحليف استراتيجي، ففي اجتماعهما يوم 21 أيلول/سبتمبر الجاري وعلى هامش أزمة الغواصات، أكد الوزيران الفرنسي المكلف بالشؤون الأوروبية كليمان بون والألماني للشؤون الأوروبية مايكل روث أن قرار الولايات المتحدة وأستراليا سحب صفقة الغواصات من فرنسا يعد بمثابة «تنبيه» للاتحاد على ضرورة تعزيز قدراته على التحرك بشكل مستقل.

وصرح الوزير الفرنسي كليمان بون في اجتماع وزراء شؤون الاتحاد الأوروبي بالقول إن الخلاف «مسألة أوروبية» لا فرنسية فحسب، وأكد أن بلاده تتوقع الحصول على دعم من شركائها الأوروبيين. كما أفاد «لا أعتقد أن فرنسا تبالغ في ردة فعلها، ولا أعتقد أن على فرنسا أن تبالغ، لكن عندما يكون الوضع مقلقا وخطيرا، فاعتقد أن مسؤوليتنا تملي علينا قول ذلك بوضوح تام».

ويقرأ بعض المحللين أزمة الغواصات على أنها مؤشرات على تفتت حلف «الناتو» الذي طالما وصفه الرئيس ماكرون بأنه في حالة «موت دماغي» بينما تتصاعد الدعوات لحلول عسكرية وأمنية أوروبية يكون قوامها الأساسي مشتركا بين فرنسا وألمانيا. ويشير اندريأس كلوث الباحث في شؤون الأمن والدفاع إلى أن الأوروبيين شعروا بالمرارة بعد تنفيذ قرار الولايات المتحدة الفردي بالانسحاب من أفغانستان من دون التشاور مع حلفائها في حلف شمال الأطلسي على آليات الانسحاب، الأمر الذي أدى إلى نتائج مخزية شاهدها العالم على شاشات التلفزيون.

ويشير كلوث في مقال له نشر في مدونة بلومبرغ إلى أن الأوروبيين شعروا أن الأمريكيين قد خانوهم، ولم يكترثوا حتى بمشاورة حلفائهم، والتنسيق معهم تنسيقاً حقيقياً وهم ينسحبون. لذلك من المنطقي أن تعود الدعوة إلى تشكيل جيش أوروبي، إذ تقوم هذه الفكرة المتكررة على أن يبدأ الجيش بوحدة أوروبية من خمسة آلاف جندي باسم «EU 5000» تتشكّل من أفراد القوات الخاصة التي كان يمكنها أن تؤمن مطار كابول بدون مساعدة أمريكية.

ومع أن وزير الخارجية الفرنسي جان ايف لودريان كان قد حذر من أن أزمة صفقة الغواصات ستؤثر على مستقبل حلف شمال الأطلسي، وقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية عن لودريان قوله إن «ما جرى في قضية الغواصات سيؤثر على مستقبل حلف شمال الأطلسي» إلا أن الأدميرال روب باور رئيس اللجنة العسكرية في حلف شمال الأطلسي، صرح بدوره للصحافيين في أثينا على خلفية أزمة الغواصات وإطلاق اتفاق «أوكوس» بقوله «قد تكون هناك تداعيات أو عواقب نتيجة لهذا الاتفاق، لكنني لا أتوقع في الوقت الحالي أنه سيكون له تأثير على التماسك داخل الناتو» وأضاف «بايدنْ ذي بدء، أستراليا شريك، ولكنها ليست جزءا من منظمة حلف شمال الأطلسي». هناك العديد من الاتفاقيات بين الدول يمكن أن يكون لها تأثير على الناتو من الناحية السياسية» وتابع باور عقب مؤتمر للقادة العسكريين في حلف شمال الأطلسي «لكن في الوقت الحالي لا أرى أنه سيكون لذلك تأثير على التعاون العسكري داخل الناتو».

يبدو أن الأزمة وقد أوشكت على الحل بعد المكالمة الهاتفية التي تمت يوم 23 أيلول/سبتمبر الجاري بين الرئيسين جو بايدن وإيمانويل ماكرون، والتي تحدثا فيها عن إعادة إرساء الثقة التي تعرضت لاختبار بين باريس وواشنطن، وقد أقر الرئيس بايدن بأن «المشاورات المفتوحة بين الحلفاء» كان من شأنها تفادي هذه التوترات. كما نجد أن رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون قد دعا من واشنطن باريس إلى تمالك نفسها، وقال «أعطوني استراحة» مؤكدا أن الشراكة «ليست حصرية ولا تحاول إقصاء أي كان». لكن هل يعني ذلك أن خيوط الثقة بين فرنسا ومن خلفها الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة لن تتعرض لهزات مقبلة؟ معطيات الأوضاع لا تقول ذلك.

Volume 33 - Issue 10397 Sunday 26 September 2021

ما هي خيارات الأوروبيين أمام التحالفات الأمريكية الجديدة وهل ستنجح باريس في تغيير اتجاه البوصلة الأوروبية؟

انتوني بلينكن في لقاء جوزيف بوريل

برلين – «القدس العربي»: علاء جمعة

أزمة تخلي أستراليا عن صفقة الغواصات الفرنسية التقليدية واستبدالها بأخرى أمريكية نووية الدفع، أحدثت صدى عالميا من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، وتوشك أن تعيد بناء تحالفات واستراتيجيات جديدة، وتأتي هذه الخطوة بعد إعلان الرئيس الأمريكي بايدن في 15 أيلول/سبتمبر عن تحالف اوكوس الدفاعي الذي يضم استراليا وأمريكا وبريطانيا، والتعهد بتنشيط حلف جديد مع الهند.

فسخ أستراليا لعقد شراء 12 غواصة فرنسية أدى بالفعل إلى زلزال أعاد تسليط الضوء على طبيعة العلاقة بين واشنطن وحلفائها عامة، وخاصة غير الأنغلوسكسونيين منهم. وكان العقد ينص على شراء أستراليا من فرنسا 12 غواصة تعمل بالدفع التقليدي (غير نووي) مقابل 50 مليار دولار أسترالي (31 مليار يورو) وقت التوقيع، أو 90 مليار دولار مع الأخذ في الاعتبار التضخم خلال فترة البرنامج وتجاوزات التكاليف. وكان هذا أضخم عقد حول معدات دفاعية توقّعه أستراليا وكذلك مجموعة صناعية فرنسية.

فرنسا المجروحة والتي تخشى على صورتها أمام العالم، خاصة في ما يخص صناعة الأسلحة سارعت إلى الإعلان على ان إلغاء هذه الصفقة لا يعني تضرر الصناعات الدفاعية فيها، بيد أن هذا القرار أعاد الخلافات الأوروبية الأمريكية والتي ظهرت جليا في عهد بايدن إلى الواجهة. هذه الخلافات التي عبر عنها وزير الخارجية الفرنسي لودريان: «إذا لم يشعر الأوروبيون أنه من أجل البقاء في التاريخ عليهم أن يتحدوا ويدافعوا معًا عن مصالحهم الخاصة، فسيكون مصيرهم مختلفًا تمامًا». ويبدو أن المواجهة الأوروبية الأمريكية ستكون أكثر احتداما مع اقتراب تولي فرنسا رئاسة الاتحاد الأوروبي في النصف الأول من 2022. ودعا الوزير الفرنسي أوروبا لتجهيز نفسها بـ«بوصلة استراتيجية» مختلفة تكون تحت مسؤولية فرنسا في إشارة إلى الرئاسة الفرنسية للاتحاد الأوروبي في الأول من كانون الثاني/يناير بعيدا عن سياسة الولايات المتحدة.

خيبة أمل أوروبية

التحالف الجديد الذي أعلن عنه الرئيس الأمريكي بايدن والذي شمل الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا، جاء في وقت تطالب فيه عدة دول أوروبية بالخروج من بوتقة الولايات المتحدة العسكرية، والاعتماد أكثر على مكوناتها وأهدافها، لا تكون بعده في حاجة للمظلة الأمريكية، وهذا ما يزعج واشنطن، وجعلها توجه لباريس ما وصفته الأخيرة «طعنة في الظهر». إذ قال وزير الاقتصاد الفرنسي برونو لومير، إن «حادثة الغواصات وما حصل في أفغانستان، تظهران أنه لم يعد بإمكاننا الاعتماد على الولايات المتحدة، لضمان حمايتنا الاستراتيجية». وقال لومير: «عندما يتم اتخاذ مثل هذا القرار القاسي، أعتقد أنه يترك آثارا دائمة. لم يكن لدي أوهام بشأن التطورات الاستراتيجية للولايات المتحدة، فهم يعتقدون أن حلفاءهم يجب أن يكونوا مطيعين».

من جهته تعهد الاتحاد الأوروبي بتقديم الدعم لفرنسا في النزاع بشأن صفقة بيع غواصات فرنسية لأستراليا، بعد أن ألغتها كانبيرا عقب التوصل إلى شراكة جديدة مع الولايات المتحدة وبريطانيا. وقال الممثل الأعلى للاتحاد للشؤون الخارجية والأمنية جوزيب بوريل إن وزراء خارجية الاتحاد ناقشوا الأمر خلال اجتماع على هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك واعتبروا الوضع «مخيبا للآمال للغاية». كما انتقد وزير الخارجية الألماني هايكو ماس بوضوح التحالف الأمني الجديد بين الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وبريطانيا في منطقة المحيطين الهندي والهادئ. وقال ماس في مستهل الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك: «ما تم تقريره هناك والطريقة التي تم بها اتخاذ هذا القرار مُربك. الأمر ليس مخيبا للتوقعات فقط بالنسبة لفرنسا». وأكدت وزيرة الدفاع الألمانية، أنيغريت كرامب–كارنباور، اعتزامها تقديم مقترح لتسريع وتيرة تنفيذ المهام العسكرية تحت مظلة الاتحاد الأوروبي. وتنص المادة 44 على أن مجلس الاتحاد الأوروبي بإمكانه تكليف مجموعة من الدول الأعضاء بتنفيذ مهمة ما في حال كانت هذه الدول راغبة فيها وكانت لديها القدرات اللازمة لمثل هذه المهمة. ورأت الوزيرة الألمانية أن على الأوروبيين أن تكون لديهم القدرة على التصرف بشكل ذي مصداقية إذا أرادوا أن يأخذهم العالم على محمل الجد، ولفتت إلى أن من الممكن أن تكون هناك «مواقف يكون لدينا فيها وضع مصالح مختلف ويمكن أن يكون هذا أيضا داخل حلف شمال الأطلسي (ناتو)».

بايدن والابتعاد عن المحور الأوروبي

بالرغم من السخط الفرنسي وخيبة الأمل الأوروبية، يواصل الرئيس الأمريكي عقد تحالفات جديدة في المنطقة خارج إطار الناتو. ويعتزم بايدن الذي يسعى لتشكيل تحالفات في مواجهة نفوذ الصين، إحياء هذه الصيغة الدبلوماسية المسمّاة «كواد» أو «الحوار الأمني الرباعي». بعد الإعلان عن تشكيل تحالف عسكري كبير في منطقة المحيطين الهندي والهادئ.

لا شكّ أن باريس التي فوجئت بإعلان تشكيل تحالف عسكري بين الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا، ستتابع عن كثب مواقف بايدن ومودي، في وقت تعتمد فرنسا كثيراً على الهند كشريكة في المنطقة.

بيد أن الإدارة الأمريكية تعتقد أنها تخوض معركة مصيرية في مواجهة صعود الصين، الذي تجاوز ناتجها الداخلي الإجمالي المعادل للقدرة الشرائية نظيره الأمريكي. وبحسب صندوق النقد الدولي، فإن الناتج الداخلي الإجمالي المعادل للقدرة الشرائية في الصين يبلغ نحو 24 ترليون دولار مقابل 20 ترليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية.

ما يعني أن الصين أصبحت أكبر اقتصاد عالمي، إذا أخذنا بهذا المعيار، متفوقة بنحو 4 آلاف مليار دولار عن الولايات المتحدة، ما يهدد الأخيرة بإزاحتها من عرش الهيمنة العالمية، الذي انفردت به منذ انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991. وانهزام الولايات المتحدة في أفغانستان أمام حركة طالبان التي استنزفتها تريليونات الدولارات خلال 20 سنة، وانسحابها الفوضوي منها، لا يهدد فقط مكانتها العالمية، بل يهز ثقة حلفائها الأوروبيين، الذين لم تستشرهم عند اتخاذها قرار الانسحاب. خطط المواجهة الأمريكية، أوجدت واقعا سياسيا جديدا، فواشنطن باتت على علم أنها بحاجة إلى عقد تحالفات جديدة، بعيدا عن حلفائها التقليديين، في حال أرادت تحجيم الصين، في حين بات الأوروبيون أكثر تمسكا بسياسة أكثر استقلالا عن الولايات المتحدة، وهو ما سيضع الاتفاقات العسكرية على المحك، لا سيما حلف الشمال الأطلسي «الناتو».

أزمة الغواصات قد تقسم الغرب إلى أنكلوسكسوني وبزعامة واشنطن وأوروبي بزعامة باريس

مدريد–«القدس العربي»: حسين مجدوبي

تسبب الرئيس الأمريكي السابق الجمهوري دونالد ترامب في اصطدامات سياسية كثيرة وسط منظومة الغرب بقراراته التي نتج عنها شرخ كبير في العلاقات بين أوروبا والولايات المتحدة، وكان هناك رهان كبير على إرساء تفاهم صلب مع قدوم الرئيس الديمقراطي جو بايدن، لكن الأخير فاقم الشرخ أضعافا إلى مستوى الحديث عن منعطف تاريخي في منظومة الغرب هذه بسبب «أزمة الغواصات».

واعتبر الأوروبيون الرئيس السابق ترامب سياسيا خطيرا على وحدة الغرب في وقت تتعاظم فيه قوة الصين العسكرية والاقتصادية وفوة نفوذ روسيا في الخريطة الدولية، لاسيما بعدما طرح مخطط تولي أوروبا الدفاع عن نفسها إذا لم تقم بالرفع من ميزانية الدفاع العسكري إلى 2 في المئة وهدد بالانزواء الأمريكي مثلما كانت عليه قبل الحرب العالمية الأولى. وبعد رحيله وقدوم الرئيس الديمقراطي جو بايدن، وبينما كان الأوروبيون ينوون تعزيز التحالف الغربي لاستمرار الغرب قيادة العالم عسكريا واقتصاديا يأتي قرار الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا بتأسيس حلف «اوكوس» البحري الثلاثي خلال الأسبوع الماضي بدون باقي الشركاء الغربيين ثم حرمان فرنسا من صفقة الغواصات مع أستراليا والتي تبلغ قيمتها عشرات الملايير من الدولارات. وفي القواميس السياسي والعسكري للولايات المتحدة يوجد مفهومان أساسيان حول طبيعة ونوعية التعاون مع الآخرين، هناك الحليف التاريخي وهناك الشريك الرئيسي. وهذان المفهومان يتحكمان كثيرا في القرارات التي تتخذها واشنطن في علاقاتها الدولية وخاصة العسكرية. وتنتمي إلى فئة الحليف التاريخي الدول الأنكلوسكسونية وهي بريطانيا ونيوزيلندا وكندا وأستراليا التي تشترك في الكثير من المقومات، بينما تعتبر دول أخرى شريكة وبدرجات متفاوتة. ومن ضمن الأمثلة، لا يمكن أن تشارك واشنطن برلين القرارات نفسها التي تتشارك فيها مع لندن، ذلك أن ألمانيا ليست بالحليف التاريخي بل هي المسؤولة عن الحرب العالمية الأولى والثانية، وعندما خاضت واشنطن حروبها الأولى في القرن العشرين والأكثر دموية كانت ضد ألمانيا بالضبط. كما لا يمكن لواشنطن وضع باريس في مرتبة لندن في حين تقود فرنسا سياسات أحيانا متعارضة مع المصالح الأمريكية منذ عهد الرئيس شارل دوغول بل حتى مع الرئيس الفرنسي الأكثر ميلا للأمريكيين وهو نيكولا ساركوزي.

ومن ضمن الأحداث التاريخية التي ترجمت رؤية أو تصور واشنطن حول الحليف والشريك هو التصور الذي تحكم في إقامتها لأكبر شبكة للتجسس في التاريخ ومعروفة باسم «إيشلون» أو باسم «أوكوسا» وهي الأحرف اللاتينية الأولى للدول الخمس الأنكلوسكسونية وتستمر في العمل حتى يومنا هذا.

كان هدف إيشلون هو التجسس على الاتحاد السوفييتي إبان الحرب الباردة ومحاصرته. لكن عمليات التجسس شمل لاحقا كذلك الدول الشريكة في أوروبا بدون استثناء وكانت فرنسا الهدف الرئيسي بسبب سعيها إلى سياسة أوروبية مستقلة وبسبب صفقات الأسلحة التي توقعها. وتجسست واشنطن على صفقات السلاح الفرنسية وحرمتها من الكثير منها حتى انفجرت الأوضاع بسبب فقدان باريس صفقة صواريخ مهمة مع البرازيل نهاية الثمانينات لصالح الولايات المتحدة ليظهر أن الأمر يتعلق بتجسس واشنطن على صفقات باريس وتقدم عروضا أحسن منها للزبناء، وبالتالي تخسر باريس وتربح واشنطن. وكانت صفقة البرازيل فضيحة كبيرة هيمنت على العلاقات الأطلسية وتراجع تأثيرها لأنها تزامنت مع تفكك الاتحاد السوفييتي وبدء تشكيل عالم جديد. وما وقع في صفقة البرازيل تكرر في صفقات أخرى وآخرها صفقة «الغواصات مع أستراليا» الأسبوع الماضي، حيث وقعت فرنسا سنة 2016 أكبر صفقة عسكرية في التاريخ مع هذا البلد، ثم فقدتها بسبب التدخل الأمريكي، حيث فازت الشركات الأمريكية والبريطانية بالصفقة بمبرر أن «التحالف البحري اوكوس» يتطلب تناسقا في نوعية السلاح. وكان تصريح وزير خارجية فرنسا جان إيف لودريان على فقدان الصفقة وتهميش فرنسا في الحلف البحري الجديد بليغا عندما قال «فرنسا تعرضت لطعنة في الظهر».

فرنسا شريك غير وفي

ولا يرى الإستبلشمنت الأمريكي (الدولة العميقة صانعة القرار) بعين الارتياح مواقف فرنسا الاستراتيجية التي دائما ترغب في التميز في الساحة الدولية على حساب المصالح العميقة للغرب. وتبدي واشنطن قلقا من تصاعد هيمنة الصين وتسعى إلى تعزيز تحالف ضدها يضم الغرب ودولا أخرى، لكن فرنسا على رأس مجموعة من الدول الأوروبية وخاصة المانيا وإيطاليا تسعى إلى حوار مع الصين وروسيا. وخلال السنوات الأخيرة وقع اصطدام كبير مع واشنطن في ملفين، الأول وهو معارضة باريس الاعتماد على الغاز الأمريكي بديلا للروسي، إذ ترى أن صفقات الغاز مع روسيا قد تقلل من التوتر، في حين ترى واشنطن أنه لا يمكن نهائيا منح أفضلية في الطاقة لدولة عدو. وكانت باريس في هذا تؤيد رؤية برلين التي ترى الغاز الروسي لا غنى عنه. وإذا كانت واشنطن تريد محاصرة النفوذ الصيني، تدعو باريس إلى حوار مع العملاق الآسيوي بعيدا عن إحداث صراع جديد يدخل العالم في حرب باردة.

وترى واشنطن في سعي فرنسا للسيادة الأوروبية، بمعنى استقلالية القرار السياسي والعسكري عن الولايات المتحدة، بمثابة خيانة نسبية تستوجب التقليل من الاعتماد على فرنسا مستقبلا والتركيز على الحلف الأنكلوسكسوني. وكان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد وصف الحلف الأطلسي «بالمريض السريري» الذي لا يستطيع الحركة. وبعد أسابيع قليلة من تولي الرئيس بادين السلطة في البيت الأبيض، صرح ماكرون في اجتماع مع «أتلنتيك كونسيل» أن «هدف فرنسا إبان رئاستي كان هو إرساء سيادة أوروبية حقيقية». وترى واشنطن أن السيادة الأوروبية تعني تقسيم القرار الغربي.

فرنسا نحو زعامة غرب آخر

اعتاد المحللون والمؤرخون التعاطي مع الغرب كوحدة متجانسة علما أن هذه الوحدة حدثت فقط إبان الحرب الباردة، ففي الماضي كان الغرب فريسة حروب تعد الأكثر وحشية في التاريخ مثل الحرب العالمية الثانية. ويهيمن غياب الثقة ثم المنافسة وسط صفوف الغرب. فمن جهة، هناك معسكر فرنسا وألمانيا المؤمن بأوروبا قوية، ومن جهة أخرى المعسكر الأنكلوسكسوني الواثق في ريادة العالم. وفي أعقاب «أزمة الغواصات» علاوة على بريكست، مغادرة بريطانيا الاتحاد الأوروبي، تجد فرنسا الفرصة الذهبية لترجمة حلمها ببناء أوروبي موحد قد يشمل عددا من الدول فقط ذات التوجه الأوروبي القوي وهي ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا واسبانيا والبرتغال لأن باقي الدول وخاصة أوروبا الشرقية تميل إلى واشنطن. وبهذا سيصبح الغرب منقسما إلى قسمين، الجناح الأنكلوسكسوني بقيادة واشنطن، والجناح الأوروبي بقيادة باريس.

وتذهب مراكز التفكير الاستراتيجي إلى وعي بكين وموسكو بأهمية الخلافات وسط الغرب، ولهذا يحاول البلدان استغلالها من خلال سياسة متصلبة ضد الولايات المتحدة ولينة تجاه الاتحاد الأوروبي، وهو ما سيزيد من تفاقم الشرخ وسط الغرب الذي يعتبر حاليا منقسما إلى قسمين، غرب أنكلوسكسوني بزعامة واشنطن وهو متماسك تاريخيا وقوي وغرب أوروبي بزعامة باريس التي تسعى إلى تعزيزه وتقويته، وإن كان المسار ليس سهلا.

«المسكنات الأمريكية» لغضب فرنسا لا تُبدِّد خلاف الاستراتيجيات لـ«منطقة المحيطَين»

رلى موفّق

يتركز الصراع في الزمن الآتي على منطقة المحيطين الهندي والهادئ التي تحوّلت إلى مركز ثقل العالم من ناحية الجغرافيا الاقتصادية والسياسية. هاجس أمريكا يكمن في كيفية الحفاظ على تفوّقها الاستراتيجي في منطقة المحيطين في وجه الصين الصاعدة إلى قيادة العالم. شكّل التحالف الدفاعي بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا الذي بات يُعرف بـ«أوكوس» والذي يُتيح لكانبيرا الحصول على تقنيات عسكرية متقدمة، رسالة مزدوجة إلى الخصوم والحلفاء في آسيا، بأن واشنطن ماضية في طريق المواجهة ضد الصين في منطقة المحيطين، وأن مواجهة تمدد النفوذ الصيني تُشكل أولوية في الاستراتيجية الأمريكية، التي تتجاوز طبيعة الساكن في البيت الأبيض وما إذا كان جمهورياً أو ديمقراطياً.

أطاحت المعاهدة بصفقة أبرمتها أستراليا عام 2016 مع باريس لشراء غواصات فرنسية الصنع ذات محركات تقليدية تعمل بالديزل والكهرباء لمصلحة صفقة أخرى أمريكية تعمل بالدفع النووي. غضبت فرنسا، فهي لم تخسر فقط عقداً تجارياً ضخماً، ربما الأكبر في تاريخها، بل تلقت ضربة سياسية، بنجاح واشنطن ولندن في جذب أستراليا إلى خيارهما الاستراتيجي، بعدما راهنت باريس على أن صفقة الغواصات الأسترالية تعكس انخراط كانبيرا في صف خيارها الاستراتيجي حيال منطقة المحيطين. خروج أستراليا سيُضعف موقع فرنسا والقارة العجوز في هذا الجزء من العالم، حيث اعتبر الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي للشؤون الخارجية والسياسة الأمنية جوزيب بوريل أن «مستقبل الاتحاد ومنطقة المحيطين متشابك».

إعلان التحالف الدفاعي الثلاثي قرأته فرنسا على أنه عملية تهميش وإضعاف لها في تلك البقعة التي تتنافس الصين والولايات المتحدة على سيادتها. وهي قراءة لا تُوارب الحقيقة في ظل اختلاف المقاربتين الأمريكية والفرنسية لمنطقة المحيطين الهندي والهادئ. المقاربة الأمريكية لمواجهة صعود الصين و«مشروع الحزام والطريق» يقومان على مبادرة «المحيط الهندي الهادئ الحر والمفتوح» في زمن دونالد ترامب، وهدفها تشكيل أحلاف في وجه بكين، ويندرج في صلبها التحالف الدفاعي الثلاثي الجديد، فيما تستند الاستراتيجية الفرنسية – الأوروبية على مبدأ أن تكون المنطقة حرّة ومفتوحة للجميع، واعتماد سياسة المنافسة في احتواء الصين من دون الذهاب إلى تشكيل أحلاف في وجهها، يمكن أن يُعرّض تجارة أوروبا الأكبر مع دول تلك المنطقة للخطر.

حاولت أصوات أوروبية حليفة لواشنطن القول إن موقف أوروبا تجاه التهديد الصيني ما زال غير واضح، وهذا ما دفع أستراليا إلى الحضن الأمريكي – البريطاني. ويذهب محللون استراتيجيون ى الاعتقاد بأن تفاقم المخاطر في المستقبل سينحو بدول أوروبية، ولا سيما تلك التي كانت سابقاً ضمن المعسكر الشرقي، إلى الالتحاق بالحلف الناشئ. فرغم أن باريس نجحت في جعل الاتحاد الأوروبي يصطف إلى جانبها في أزمة الغواصات على أنها قضية أوروبية لا فرنسية، من منطلق أن السياسة التي تعتمدها واشنطن حيال الحلفاء ما عاد ممكناً الوثوق بها لضمان حمايتهم الاستراتيجية ومصالحهم، إلا أنها لن تستطيع التأثير بشكل كبير على حلفاء واشنطن الخلص ضمن الاتحاد والذين انبروا في الدفاع عن خطوة الرئيس الأمريكي وعن قرار أستراليا، ودعوة باريس إلى الهدوء.

لا شك أن حلفاء أمريكا لم يفيقوا بعد من صدمة الانسحاب الأمريكي المُفاجئ من أفغانستان، وغير المنسّق معهم، حتى حلّ كالصاعقة نبأ تشكيل تحالف «أوكوس» الذي صيغ بسرية تامة وإلغاء صفقة الغواصات. هي أزمة وُصفت بأنها «أزمة ثقة». بايدن ضرب بعرض الحائط شعاره «عودة أمريكا» وتبنّى شعار ترامب «أمريكا أولاً» لكنه بعد الهجمة الفرنسية واصطفاف الاتحاد إلى جانب باريس، يعد بأن يعود مجدداً شريكاً موثوقاً به من حلفائه الذين أسيئت معاملتهم خلال عهد سلفه. وجرى إعلان مشترك بعد مكالمة أجراها مع إيمانويل ماكرون عن «التزامات» لإعادة إرساء الثقة بعد الأزمة الدبلوماسية بين البلدين التي اعتُبرت الأخطر منذ العام 2003 يوم رفضت باريس الحرب الأمريكية–البريطانية على العراق.

وجاء في البيان المشترك أن الرئيسين سيلتقيان «في أوروبا نهاية شهر تشرين الأول/أكتوبر لإطلاق عملية تشاور معمّق تهدف إلى تأمين الظروف التي تضمن الثقة واقتراح تدابير ملموسة لتحقيق الأهداف المشتركة» وقد بدأت التحضيرات لها بين وزير خارجية البلدين جان إيف لودريان وأنتوني بلينكن الذي قال إن بلاده تدرك أن المصالحة مع فرنسا بعد أزمة الغواصات ستستغرق وقتاً وتتطلب عملاً دؤوباً من جانب واشنطن. وكشف بلينكن أن الولايات المتحدة تعد «استراتيجية معدّلة» لمنطقة المحيطين الهندي والهادئ لتكون أكثر تناغماً مع التحالفات القديمة لبلاده عبر المحيط الأطلسي، وستكون على دراية باستراتيجية الاتحاد الأوروبي لمنطقة المحيطين التي لعبت فرنسا دوراً في تطويرها، متحدثاً عن أن هناك العديد من الطرق التي يمكن من خلالها القيام بتعميق التعاون هناك».

ليس ثمّة قلق على الأبواب من أن تدير فرنسا ومعها أوروبا الظهر إلى الولايات المتحدة كشريك حتمي، حتى ولو أثارت «أزمة الثقة» نقاشاً داخل فرنسا وفي أروقة بروكسل حول الحاجة إلى الإسراع نحو سيادة أوروبية أكبر في مجال الدفاع من أجل تحرير نفسها من المظلة الأمريكية، لكن «الغطرسة» في التعامل مع الحلفاء باتت تتطلّب قدراً من الحياء في الشكل وإن كان أحداً لا يقتنع بأن أمريكا ستغيّر حرفاً في كل ما من شأنه أن يؤمّن مصالحها أولاً.

تحالف اوكوس: تلاشي وهم عودة أمريكا للقيادة وصدع في تضامن الغرب ضد الصين

إبراهيم درويش

كان لقاء قادة كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا على هامش قمة الدول السبع في 12 حزيران/يونيو هادئا بدرجة أن الجمل الأربع في البيان المشترك حول أهمية وتعميق التعاون في منطقة إندو– باسيفيك بدت هامشا في عودة التعاون الغربي بعد خروج دونالد ترامب من البيت الأبيض. والأهم من كل هذا هو اللقاء الثنائي الذي جمع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مع الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن وقبل حفلة الشواء في خليج كاريبيس بكورنوول مكان عقد القمة. وأخبر بايدن الصحافيين وإلى جانبه ماكرون «عادت أمريكا» ليعلق الرئيس الفرنسي «القيادة هي شراكة».

في ذلك الوقت لم تر باريس في الاجتماع الكثير من الضرر، ولكن حسها بالخيانة الأسبوع الماضي جاء بسبب اكتشافها أن بايدن وبوريس جونسون وسكوت موريسون منحوا زخما جديدا لتحالف استراتيجي يمكن أن يعيد تشكيل الأمن في آسيا ومواجهة الصعود العسكري الصيني. وأنهى التحالف الجديد الصفقة العسكرية الفرنسية بقيمة 36 مليار دولار لبناء 12 غواصة تعمل على البنزين لأستراليا ووقف طموحات ماكرون في منطقة إندو–باسيفيك. وفي رد فعل فرنسا الغاضب على ما اكتشفته استدعت سفيريها في واشنطن وكانبيرا ودفعت لتأجيل اجتماع تجاري أمريكي– أوروبي. وأدى التحالف لأكبر انقسام بين الحلفاء الغربيين منذ الغزو الأمريكي للعراق في 2003.

وبعد محادثة يوم الثلاثاء اعترف بايدن على ما يبدو أن فرنسا لم تعامل بشكل جيد. ووافق على لقاء الرئيس الفرنسي في أوروبا الشهر المقبل لكي يعيد ضبط العلاقة معه. لكن الخلاف لن ينهي الشكوك العميقة في أوروبا بشأن مصداقية أمريكا وسط تحول في السياسة الخارجية الأمريكية باتجاه آسيا.

فالتحالف الذي أطلق عليه «اوكوس» هو بمثابة إشارات عن استبعاد أوروبا من القيادة العالمية، كما تقول ماري جوردين، الزميلة الزائرة في المجلس الأطلنطي، كما نقلت عنها صحيفة «فايننشال تايمز» (2021/9/24) مضيفة أن القرار والخلاف العابر للأطلنطي أثار سؤالا حول أهمية «الحلفاء الأوروبيين» للولايات المتحدة فيما يتعلق بالتنافس مع روسيا والصين.

وفي قراءة لتطور الأحداث والغضب الفرنسي ومحاولات جونسون دعوة فرنسا لفهم الأمر، قال الأستراليون إن فرنسا تجاهلت إشارات عن مشاكل في الصفقة بما فيها زيارة بيير– اريك بوميليه، مدير «نافال غروب» إلى أديليد وسط أخبار عن أمر من موريسون لمراجعة صفقة «باراكودا» التي وقعت في 2016 وحاول بوميليه تحريك الصفقة بناء على «التصميم المفصل» والحصول على الدفعة الكبرى من الكلفة، لكنه عاد خاوي الوفاض إلى باريس. وكان لدى موريسون شكوكه حول بطء المشروع وعدم خلقه فرص عمل للأستراليين ونقل التكنولوجيا.

وكشف في كانون الثاني/يناير 2020 أن المدقق العام كشف عن حث لجنة الخبراء العسكريين الحكومة في 2018 على البحث عن بديل للغواصات الفرنسية. وواصلت الصحافة الأسترالية نشر تقارير صورت فيها سخط الحكومة. وفي كل مرة حاولت فيها باريس الاستعلام عما رأتها حملة تشهير كانت تلقى تطمينات من الحكومة الأسترالية، وذلك حسبما قال مسؤول فرنسي شارك في المحادثات. وكان الموقف الفرنسي هو أن التأخير وزيادة التكاليف أمر متوقع في صفقة ضخمة كهذه. لكن الفرنسيين بمن فيهم رئيس نافال غروب لم يكونوا على علم بالخطة الأسترالية البديلة، في وقت لم يفهم فيه الفرنسيون ملامح القلق الأسترالي من زيادة النشاط العسكري في الباسيفيك. وتوصلت كانبيرا إلى نتيجة وهي أن الغواصات التي تعمل على البنزين ليست كافية لمواجهة الخطر الصيني. ولدى الفرنسيين قوة دفع نووية، وسألوا أستراليا في حزيران/يونيو إن كانت تريد التحول نحو الطاقة النووية. لكن طاقة الدفع النووية الأمريكية تظل «جوهرة التاج في العسكرية الأمريكية» لأنها تسمح للغواصة بالتخفي وتجنب الكشف.

التآمر

وبعيدا عن مشاكل التكنولوجيا فقد قررت حكومة موريسون بناء تحالف أوسع مع الولايات المتحدة التي لم تكن لتشرك التكنولوجيا في ظل إدارة ترامب. وجاء وصول بايدن إلى البيت الأبيض في بداية 2021 فرصة لتوسيع التحالف. وشكل موريسون حكومة مصغرة ترأسها لمناقشة صفقة جديدة مع الولايات المتحدة تلعب فيها بريطانيا دورا. أما وزير الخارجية الفرنسي جان ايف لودريان تجاهل الدور البريطاني في تحالف اوكوس واصفا إياه بـ «العجلة الخامسة للعربة» إلا أن الحكومة الأسترالية رأت في بريطانيا التي تتشرك في التكنولوجيا النووية مع أمريكا منذ منتصف القرن الماضي وسيطا قد يساعدها على تأمين صفقة مع أمريكا. وكانت الأخبار عن بحث الأستراليين عن غواصات نووية بدلا من التقليدية «قفزة كبيرة» حسب مسؤول دفاعي بريطاني. وبعد نقل المقترح البريطاني– الأسترالي إلى واشنطن بدأ ممثلون عن الدول الثلاث بمناقشته. وعندما تعلق الأمر بإخبار فرنسا، فقد اعتقدت واشنطن أن هذا من وظيفة كانبيرا. لكن المسؤولين الأستراليين قالوا إن تحذير فرنسا لم يكن في مصلحتهم، فبقاء الصفقة الفرنسية سيزيد من الضغوط على بايدن والموافقة على صفقة مربحة. وفي غضون ذلك بدأت باريس بإظهار قلقها وطلبت مساعدة من أمريكا. وعبر كل من لودريان ووزيرة الدفاع فلورنس بارلي ومستشار ماكرون للشؤون الدبلوماسي إيمانويل بونيه عن قلقهم من الصفقة إلى نظرائهم الأمريكيين. وكان الرد صامتا أو أنهم لا يعرفون. وفي 10 أيلول/سبتمبر طلب لودريان وبارلي التحدث مع نظيريهما الأمريكيين أنتوني بلينكن ولويد أوستن، ولم تحدث أي مكالمة إلا بعد الإعلان عن تحالف اوكوس في 15 أيلول/سبتمبر. وأكد مستشار الأمن القومي لبايدن، جيك سوليفان التحالف للسفير الفرنسي في واشنطن فيليب إيتين والذي طلب مقابلة طارئة في البيت الأبيض. ووصف لودريان التحالف بأنه «طعنة في الظهر». وفي الوقت الذي قال فيه المسؤولون البريطانيين أنهم فكروا بمنافع الصفقة إلا أن بعض الدبلوماسيين البريطانيين رأوا أن جونسون أساء تقدير تداعيات التحالف على العلاقة البريطانية–الأوروبية وعلى المدى البعيد. وقال السفير البريطاني السابق في فرنسا بيتر ريكيت «استفاق عدد من الناس لحقيقة أنهم (جونسون وفريقه) تسببوا بضرر كبير على العلاقات مع فرنسا» و «لا يمكنك حلها على المدى القصير، وهي واحدة من المناسبات التي سيتذكرها الفرنسيون».

وبعد لقاء جونسون في البيت الأبيض دعا جونسون فرنسا أن «تعطية استراحة» (تحل عن ظهره بالعامية). وفي حفلة عشاء بالسفارة الأسترالية تمت مناقشة الأزمة مع فرنسا بشكل مكثف لكن الجو كان احتفاليا، حيث شمل الطعام زهور الكوسا الحشية بجبن الماعز ولحم البقر «واغيو» الياباني المعروف المحشو بعصيدة دقيق الذرة. ووقع موريسون على قائمة طعام جونسون ورد الأخير بالمثل.

عجرفة موريسون

وسط الابتسامات والغطرسة من جونسون وموريسون فإن معاملة حليف أوروبي كفرنسا لن تخدم مصالح البلدين، فاستراليا ليست بعيدة عن فرنسا التي تملك جزرا في منطقة الباسيفيك ويهمها الخطر الصيني كما يهم كانبيرا. أما بريطانيا فقد خطت خطوة أخرى نحو توتير العلاقة مع الجيران الأوروبيين الذين تحتاج إليهم، وليس أدل على هذا من أزمة نقل الوقود إلى محطاته وانتشار الطوابير، فبريطانيا تحتاج إلى 100.000 سائق شاحنة والكثيرين منهم عادوا إلى أوروبا بعد البريكسيت. وفي هذا السياق حذر رئيس الوزراء الأسترالي السابق كيفن راد بمقال في «الغارديان» (2021/9/24) من الضرر الذي تسبب به موريسون على العلاقة الطويلة والدائمة مع الجمهورية الفرنسية. وقال إن رد الفرنسيين مفهوم، فلو حدث مثل هذا لأستراليا لشعر مسؤوليها بالخيانة من صديق. وتساءل عن سبب سرية موريسون وعدم إخباره الفرنسيين عن لقاء كورنويل وتركهم يعرفون عن الأمر من الإعلام. كما وتساءل عن قدرة دولة مثل استراليا ليس لديها تاريخ في الطاقة النووية على صيانة غواصات تعمل على الطاقة النووية، مشيرا إلى ان فرنسا تقوم بتصنيع هذا النوع من الغواصات منذ عقود. وكان من الأولى لو طلب من الفرنسيين طرح عطاء جديد أو سمح لهم بمواصلة بناء هيكل الغواصات وللأمريكيين تزويدها بطاقة الدفع النووية. لكن رئيس الوزراء لم يكن مهتما بهذا أو بالعبء الذي سيضعه على دافع الضريبة الأسترالي، علاوة على مليارات الدولارات التي ستطالب بها الشركة الفرنسية كتعويض. وقال إن العلاقات الأسترالية–الفرنسية لم تصل إلى هذا المستوى من التدهور حتى عندما قدمت كانبيرا دعوى قضائية ضد باريس بسبب الاختبارات النووية في الباسيفيك. ونفس الأمر يقال عن العلاقات الأمريكية–الفرنسية، فلم يحدث أن استدعت باريس سفيريها منذ إعلان الجمهورية الأمريكية، بل ولم يحدث هذا في ذروة الخلاف حول غزو العراق. ويعتقد راد أن موريسون أراد أن يقدم إنجازا للداخل بسبب تراجع شعبيته في الاستطلاعات نتيجة تعامله مع وباء كورونا وتوفير اللقاحات والحجر الصحي. ولم يهتم بالصدع الذي أحدثه للعلاقات الأمريكية والبريطانية مع فرنسا وتقويضه التضامن الغربي ضد صعود الصين. وقوة متوسطة مثل أستراليا ليست بمستوى مواجهة تأثير فرنسا ذات الحضور في مجموعة الدول السبع والعشرين والعضو الدائم في مجلس الأمن والعضو الرئيسي في الناتو وصاحبة القرار المهم مع ألمانيا في الاتحاد الأوروبي. فلو كانت أستراليا تعتقد أن الصين هي في الحقيقة تهديد، فعليها أن تحضر أسلحة فعالة. ورأى أن التحالف الثلاثي كان يهدف إغضاب واستفزاز الصين وإهانة فرنسا وهو ما حدث. ويعتقد الكاتب أن التصريحات الفخمة التي تطلق من أجل التأثير السياسي مثل التحالفات المفاجئة والإزدراء لها عواقب. فالمصالح الغربية التي ولدت أثناء الحرب الباردة رفضت منح الناتو فرصة لإعادة تعريفها في فترة التسعينات بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. وكان هذا السبب الذي جعل بريطانيا تتورط في أفغانستان والعراق وبذريعة حماية الولايات المتحدة من الإرهاب الجديد. وحذر جينكينز من أن الخطاب المتشدد والدق على الصدور تعاليا هو ما غذى الحرب العالمية الأولى في البداية. ولا يوجد هناك أي سبب يدفع بريطانيا لتبني موقف عدواني في منطقة الباسيفيك، وكل هذا حنين غامض لما بعد الامبريالية. ولو كانت الولايات المتحدة مجنونة بالقدر الذي يجعلها تعود للحرب في جنوب–شرق آسيا من أجل تايوان، فهذا لا علاقة له ببريطانيا كما كانت فيتنام. والتعامل مع صعود الصين لا يتم عبر فتح حرب باردة معها، فهذه حماقة، وبالنسبة لبريطانيا تحديدا فهي سخافة ما بعدها من سخافة. وفي ظل فشل الدبلوماسية الغربية في التعامل مع روسيا مرحلة ما بعد الشيوعية وتعاملها الماساوي مع العالم الإسلامي مأساويا فلن تنجح مع الصين. وفي أفغانستان أجبرت أغلى الجيوش في العالم على الرحيل من خلال الأيدي الممسكة بزناد إي كي– 47. ومضى نصف قرن على سحب هارولد ويلسون بريطانيا من «شرق السويس» ويبدو أن جونسون يتحرق للعودة ليثبت أنه قادر على توجيه لكمات أكبر من وزنه ووضع بريطانيا على المسرح العالمي في مرحلة ما بعد البريكسيت.

باريس لن تنسى

ورأت سيلفي كوفمان، مديرة التحرير في صحيفة «لوموند» بمقال نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» (2022/9/22) إن الشراكة الجديدة التي أعلن عنها في الأسبوع الماضي بين الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا أحدث صدمة لدى الفرنسيين وأغضبتهم، ليس هذا بسبب خسارتهم الصفقة مع أستراليا، بل لأن الفرنسيين تركوا في الظلام بشأن التحالف الجديد وشعروا بالخداع من حلفائهم المقربين الذين تفاوضوا من وراء ظهورهم. وتقول الكاتبة إن الخلاف لا ينحصر فقط في صفقة تجارية ولكن بالجرح الذي أصاب الكرامة واعتداد الشعب الغالي بنفسه. فالقنبلة الدبلوماسية الوقحة كشفت عن القواعد غير المكتوبة للتنافس بين القوى العظمى لا يمكن لفرنسا أن تلعبها طالما لم يكن وراءها ثقل الاتحاد الأوروبي. وعلقت أن الحلف الجديد هو صورة عن الجيوسياسة في القرن الحادي والعشرين وترتيب التحالفات القديمة لكي تناسب الوقائع الجديدة. وتعتبر فرنسا نفسها «قوة دائمة» في منطقة إندو–باسيفيك، التي تعد منطقة تنافس حيوية بين الولايات المتحدة والصين، وذلك لأنها تملك عددا من الجزر وتحتفظ بأربع قواعد بحرية هناك. ووطرت استراتيجيتها للمنطقة في عام 2018 وتدفع منذ ذلك الحين الاتحاد الأوروبي لتطوير مشروع مماثل.

حوار

وزير الصحة الأردني الدكتور فراس الهواري: أنا طبيب وفني ولست سياسيا

حاوره: بسام البدارين

لا يجد وزير الصحة الأردني الدكتور فراس الهواري ما يمنعه من الحرص على «تعزيز مالية وميزانية» وزارة الصحة عبر التواصل مع الزملاء في مجلس الوزراء لاحقا وإن كان يعتبر كيفية الإنفاق والرشد فيه وإدارة الميزانية هي العناصر المهمة لمواجهة التحديات واحتواء المشكلات بعد المعركة مع فيروس كورونا.

قناعة الهواري راسخة بأن جميع المستويات في الدولة والقرار تدعم «القطاع الصحي» وتعتبره أولوية وطنية وهو ما سمعته «القدس العربي» أيضا ومرات عدة من رئيس الوزراء شخصيا الدكتور بشر الخصاونة.

يعرف الوزير الهواري وهو ثالث وزراء الصحة في مرحلة كورونا وبعدها، بأن جهود طاقمه يدعمها بقوة واهتمام جلالة الملك، ومؤسسة القصر الملكي، وان صحة المواطن الأردني وتطوير خدمات الصحة هي أولوية عند الملك وولي العهد وجميع المؤسسات السيادية في المملكة.

ويلاحظ بوضوح على هامش وقفة حوارية أعقبت زيارة لـ«القدس العربي» ثم دردشات حول عدة ملفات تخص القطاع بأن «الحق يقال ..فالاهتمام الملكي والطروحات المرجعية قدمت مساهمة فعالة واختراقات لصالح الحفاظ على صحة المواطن الأردني، وأيضا– وهذا مهم– لصالح دعوة المجتمع الدولي والإقليم للتعاون على نطاق إنساني وسياسي وكوني» وحتى عندما تعلق الأمر بتوجيهات رئيس الوزراء كانت البوصلة واضحة الملامح بعنوان «تطوير المنظومة الصحية».

يلفت الوزير الهواري نظر الجميع بصراحته في المتابعة والتقييم والقول الجريء.

مؤخرا وفي اجتماع في القصر الملكي نقل عن الهواري إشارته إلى ان تعزيز قدرات الوزارة ماليا مرحب به لكن الإشكال الأساسي ليس في الإطار المالي حصريا بل في السياق الإداري، وفي ما يأتي نص الحوار.

○ الإشكال الأساسي ليس في الإطار المالي بل في السياق الإداري، ما هو المقصود بذلك؟

● بصراحة كان لقيادتنا ودورها الدولي الأثر الإيجابي دوما في الإصغاء لوجهة نظر الأردن وخبرته وتقييماته في مرحلة ما بعد الفيروس. هذا وضع يمكننا دوما نحن المسؤولين الاستفادة من أرضيته خلافا لإن العديد من الدول والبرامج العالمية المهتمة بالأردن يمكنها ان تمول العديد من البرامج والنشاطات إذا قمنا نحن كأردنيين بـ«عرض احتياجاتنا وقصتنا جيدا».

دعوني أقولها بوضوح أكثر لقد اكتشفت بعد تسلمي المسؤولية عدم وجود مشكلة مالية مجردة من الناحية العملية وان ثمة مشكلات في الإدارة على الأرجح.

والعديد من المؤسسات الدولية المهتمة في الأردن يمكن ان تمول العديد من البرامج والنشاطات سواء تعلق الأمر بإقامة منشآت أو تجهيزها أو حتى برامج تأهيل وتدريب وهو ما سنحاول فعله في المرحلة اللاحقة على الأقل لأن المؤسسات الدولية المانحة في مثل هذه الحالات أولا تقدر دور الأردن والقيادة الأردنية وفي مختلف القضايا الإنسانية العالمية أو في الإقليم وفي المنطقة.

وثانيا لا تقدم دعما ماليا مباشرا للرواتب وبالتالي في حال تدبير الرواتب بشكل خاص يمكن التصرف مع هذه المؤسسات أو عبر برامج خاصة لإعادة إدارة التمويل والمخصصات المالية بشكل منتج وأرجو إزاء ذلك أن لا يقال لي بأن المسألة هنا لا تخصنا كإداريين.

○ كيف انعكست «المكانة السياسية» لبلادكم على الملف الصحي وتحديدا الفيروسي؟

● يعلم الجميع أنني طبيب ورجل فني ولا علاقة لي بالاعتبارات السياسية، لكن حتى نتحدث كأطباء لابد من إبلاغ الجميع بأنني عندما عينت وزيرا للصحة كانت ثمة مشكلة معقدة لها علاقة باللقاحات لفيروس كورونا. وبكل صراحة أقولها لو لا جلالة الملك الذي تحول هذا الموضوع إلى شغله الشاغل ومبادرات سمو ولي العهد، لما حفلت بنا الشركات الكبرى وبعض الدول الصديقة.

نحن في موقع من حيث عدد السكان والطبيعة مماثل للإخوة في تونس حيث نسبة التلقيح قبل حصول الأزمة الأخيرة لا تزيد عن أربعة ونصف في المئة من السكان والمقيمين، ولاحظوا ماذا حدث في دول أخرى شقيقة.

وبالتالي الدور الكبير لجلالة الملك ومكانته الدولية واستغلاله هو وسمو ولي العهد لهذه المكانة حصريا في اتجاه تدوير اللقاحات للشعب الأردني.

○ لماذا حصلت أزمة اللقاح في الماضي بتقديركم وعلى أي أساس تحدثتم قبل أسابيع عن الموجة الثالثة؟

● لا أريد الخوض بموقف وعمل وبرامج عمل ومحاولات من سبقوني من الزملاء فلهم كل الاحترام، ولكن كانت ثمة أزمة لها علاقة بتوفير اللقاحات والآن عولجت هذه الأزمة ونحن في وضع أفضل.

واجبي التحدث بصراحة وبناء على الأسس والأرقام والبينات العلمية والمهنية. ومن هنا قلت بعد التفاوض والاتصال والتشاور مع منظمة الصحة العالمية باننا دخلنا في الموجة الثالثة وقد دخلنا وعبرنا بأمان والحد الأدنى من الكلف.

وحديثي أنطلق فيه من دراسات علمية وأرقام وحيثيات وقد ذكرت وقتها بأن ارتفاع الإصابات إلى 2500 بالحد الأعلى أمر يمكن التعامل معه إذا كنا نتحدث عن الموجة الثالثة وتداعياتها.

نتمنى دوما ان لا ترتفع الأرقام أكثر من ذلك وبالتالي نحن قبل وقت قصير كنا في الموجة الثالثة ونحاول الاستعداد لها والجاهزية كبيرة.

لكن الجديد ان لدينا خبرة الآن في القطاع الصحي العام في التعامل والاشتباك مع التفاصيل ولدينا إمكانات فنية ومهنية وبشرية ولوجستية أفضل. لدينا أربع مستشفيات ميدانية ولدينا خبرة خاصة في التعامل مع فيروس كورونا هذه كلها أوراق رابحة ونأمل ان يستمر شعبنا بالالتزام بسبل الوقاية حتى لا نتجاوز سقف الإصابات ونعود لسيناريو أصعب.

وزارة الكورونا

عندما تسلم الوزير هواري مهمته راجع ملف «المستشفيات المستأجرة» وفكر بداية بإلغاء عقودها، لكن بعد التأمل تراجع عن القرار لإن الهدف الأنبل فنيا هو توفير ضمانات لها علاقة بان يجد كل مصاب أردني بكورونا لا سمح الله مكانا أو سريرا في مستشفى للتفاعل معه «لا أريد الدخول في سيناريوهات عدم وجود أسرة لمرضى كورونا الذين يحتاجون لدخول المستشفيات».

في مقاربات الهواري «الرقمية» عشية عبور عتبة الحلقة الأولى من الموجة الثالثة «نسب الإصابات» في المملكة «تحت السيطرة» والأهم ان تبقى تحت السيطرة حتى إذا ارتفعت الإصابات لا سمح الله لاحقا وأن لا يتعرض النظام الصحي لهزات أو اختبارات وهو هدف لا يتحقق بدون مشاركة فعالة من الشعب الأردني الطيب سواء على صعيد الإقبال على برامج التلقيح أو الوقاية.

يلاحظ طاقم الهواري بأن نسبة التلقيح وصلت إلى 100 ألف لقاح يوميا و«الوزارة تتوسع في هذا الاتجاه» في قرينة لها علاقة بـ«مكاسب تراكم الخبرة» ولدى الوزارة خطط تشاور مع بقية الدول الشقيقة وجميع المهنيين والعلماء وعلى تشاور أيضا الزملاء في منظمة الصحة العالمية.

○ الانطباع العام بأن وزارة الصحة تحولت إلى وزارة الـ«كورونا» وهو يتردد في باب السلبية؟

● عندما تسلمت واجبي كان أطباء الامتياز يعملون بلا أجر لمدة عام وهذا وضع قلنا مبكرا ان نحو 125 طبيبا شابا سنويا من حقهم الحصول على أجر بدلا من تأخير مستحقاتهم لمدة عام.

نقر بوجود أزمة اسمها أطباء الاختصاص في القطاع العام ونتعاون الآن مع جميع الجهات لمعالجتها وخطتنا على بنادين.

أولا: وقف الظلم على فئة الأطباء تحت مسمى «مؤهل –اختصاص» فهؤلاء يتقاعدون بصفة طبيب عام ولا بد من تشجيعهم وتحفيز خبراتهم مقابل العمل لفترة في دوائر وأقسام الاختصاص في المحافظات.

ثانيا: الربط العضوي الفعال والتشاركي مع الجامعات وكليات الطب سيقدم مساهمة كبيرة في هذا الاتجاه وقد وقعت اتفاقية بين الجامعة الهاشمية ومستشفى الزرقاء وعلى الطاولة مثلها بين العلوم التطبيقية ومستشفى السلط وبعدها سننتقل إلى جامعة اليرموك ومستشفى بسمة.

هذه الجامعات مليئة بالخبرات وبعلماء الطب الاختصاصي ومقابل الإندماج وتدريب أطبائنا المقيمين سنقدم عبر تلك المستشفيات التدريب المناسب لطلبة كليات الطب.

توقعي ان هذه الآلية ستساهم في تخليصنا من صداع النقص الحاد في أطباء الاختصاص إضافة إلى انها ستطور خدمات القطاع الطبي العام. فالجامعات موجودة وشرف لنا ان نتعاون معها ولا ننسى بنفس الوقت برنامج المنح والتدريب مع المؤسسات والدول الصديقة والشقيقة والابتعاث في مجال الاختصاص.

نحن نفضل العمل بصمت عن التحدث فقط عن المشكلات.

طبعا لدينا اليوم وهو فضل لجميع الزملاء في كادر الوزارة خبرات أكثر في الاشتباك مع الفيروس.

في مستشفى المفرق زادت الوزارة 30 سريرا وقريبا جدا باتت على مسافة قصيرة من وضع التأمين الشامل لنحو 25 في المئة من الأردنيين.

○ ثمة إنطباع آخر بان خطط وزارة الصحة تتجاهل ملفات وقضايا أخرى في غاية الأهمية مثل «أسعار الدواء» التي يشتكي منها الجميع؟

● نعلم أننا يجب ان نفتح بالتعاون مع المؤسسات الاستثمارية المختصة وبعيدا عن بالكادر وقريبا جدا سيتقلص عدد المواطنين الذين تحولهم وزارة الصحة لعلاج الأورام في مراكز أخرى. وأجريت فعلا برعاية الوزير مؤخرا أول عملية «قسطرة» ويفترض ان يعقبها أول عملية «زراعة قلب مفتوح» ثم جراحات الصدرية في القسم الذي كان مقفلا أيضا وهي إجراءات ستظهر نتائجها قريبا ومنها خلافا لتقديم الخدمة للناس وتطوير آليات العمل في المستشفى المشار إليه «تخفيض فاتورة تحويل المرضى» للقطاع الخاص على حساب الوزارة.

يرفع الوزير الهواري شعارا مثيرا عندما يتعلق الأمر بالتحدث عن ما كان يحصل في الماضي مع زملاء له كوزراء صحة وهو «الظروف معقدة وما يحتاجه العمل الإداري كثير من الجهد والإنتاجية والمبادرة وقليل من التشكيك أو التلاوم» الهواري ليس معنيا إلا بتقدير واحترام جهد جميع زملاء المهنة الذين سبقوه.

وفيما يخص المركز الوطني للأوبئة والأمراض السارية هو مشروع وطني كبير ولا تستطيع الحكومة تعيين أمين عام له قبل تعيين رئيس خلفا له والمركز يحظى بالعناية والرعاية.

وتم الآن تجهيز قسم إدارة المختبرات والصيانة اللازمة وفكرة الهواري وهي أيضا فكرة التكليف الملكي السامي ان يتحول هذا المركز قريبا انشاء الله إلى صرح علمي يجمع العلماء الشباب والباحثين في الاختصاصات وليس إلى مجرد إدارة منسية.

طبيب فقط

الوزير الهواري أصلا طبيب إنعاش متخصص وعمل مع مرضى السرطان 17 عاما ولا يعتبر نفسه مهتما بأي صالون سياسي أو ما يقال فيه عنه أو عن غيره، فهو لا ينتمي لتلك النوادي ولا يهتم بما يقال فيها ويعتبر نفسه مكلفا بمهمة وينوي الاستمرار بالتركيز عليها فقط.

ولا يخفي تقديره العلمي بعدم وجود «لجنة وباء» بعدد ضخم جدا من العلماء الأفاضل خلافا لأن أعضاء لجنة الوباء الأمريكية مثلا لا حصرا لا أحد يعرفهم.

في كل حال عندما حضر لمكتبه وجد ان عدد الأعضاء يصل لـ28 عضوا مما أدى لسيناريو تخفيض العدد خصوصا من موظفي الوزارة بينما العدد النموذجي هو 7 أو 9 وينتهي بعدد فردي لأغراض التصويت.

في رأي الهواري اللجنة الوطنية المحلية تتخذ «قرارات وتوصيات» صحيح انها غير ملزمة لوزير الصحة لكن من الصعب على أي وزير ان يتجاهلها ولإن العدد كبير، تقرر تقليصه إلى 15 عضوا وغالبية من تم إلغاء عضويتهم من موظفي الوزارة ووجهت بصورة أفقية لجميع الأعضاء رسالة شكر.

لا يجد الهواري ما يمنع قوله «بعض الزملاء الأفاضل أساتذتي وهم أفضل مني».

○ ما هي الحكمة من تقليص عدد أعضاء اللجنة؟

● تقليص العدد له سبب فمن الصعب على الوزير وعلى اللجنة التي اترأسها في الواقع ان نعمل ضمن أي خطة علمية إذا كانت الخلافات بين القامات العلمية داخل اللجنة ستخرج إلى خارجها عبر الإعلان أو الإعلام. هذا وضع مربك ويبدو انه لا يعجب بعض الزملاء الأفاضل للأسف فكل ما طالبت به ان يلتزم جميع اللجنة الأفاضل بعد الخلاف بالقرار الجماعي التي يتخذ داخل اللجنة لأن التشويش لدى الرأي العام كبير جدا وما أفهمه وعايشته شخصيا من أعمال اللجان في كل الدول من هذا النوع هو ان الجميع يلتزم بما تقرر في الاجتماع ولا يتحدث عبر الإعلام عن ما يختلف عليه.

في لحظة وعندما يتعلق الأمر بما حصل مع «لجنة الوباء» تصل مناقشات «القدس العربي» مع الوزير الهواري إلى حد «أقسم بإلله أن المسألة لا علاقة لها برغبة وزير بالسيطرة بل بالتنظيم» لكنه يضيف: لست أصلا في موقع يؤهلني للتدخل في قامات علمية كبيرة من هذا الصنف لكن الأرقام والحقائق العلمية هي التي تحكم وينبغي لها.

○ حسنا ما الذي حصل في حادثة مستشفى الغاردنز؟

● يبدو أنني بعد ما سمعت بانقطاع كهرباء تحرك الطبيب في داخلي بعد الساعة العاشرة بقليل وتحركت بدافع طبي وإنساني وليس سياسيا. دخلت المستشفى وكانت الكهرباء غير مقطوعة وتبين حصول وفاة بسبب جلطة رئوية قبل انقطاع الكهرباء بأكثر من عشرين دقيقة على الأقل فقد كانت حالة الوفاة لحظتها ضمن البروتوكول وفي ثلاجة المستشفى وسألت الممرضات عن إنقطاع الكهرباء فنفين حصول مشكلة كهرباء في غرفة الانعاش. وللعلم أنا طبيب غرفة انعاش وأعلم بصورة تفصيلية ما الذي يحصل ولا يمكن تضليلي.

لاحقا تحدثت لمواطنين «غاضبين» وسمعت أحدهم لا صلة له بعائلة المتوفي يهدد بإحضار الحراك والتزمت بالتحقيق الفني وبتحمل مسؤولية التقصير إن حصل مع ان المشفى مستأجر للوزارة وليس في ملاكها فيما سيحقق القضاء بالموقف برمته وحضر إعلاميون ونواب وحصلت عدة إدعاءات وحضر للموقع معالي الزميل وزير الداخلية وتم استيعاب الموقف بين المواطنين والجميع يعلم بقية تفاصيل التحقيقات وقد لاحظت تجمهرا لأشخاص لا علاقة لهم بالمسألة ويبدو ان تقديري كان خاطئا وقتها بمغادرة الموقع بسرعة.

حريات

إشكالية النص والتطبيق: تفاؤل حذر في مصر بإطلاق الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

لم تمر أيام على إطلاق الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي الاستراتيجية الوطنية لحقوق الإنسان، حتى أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن تعليق تسليم 130 مليون دولار من المعونة العسكرية الأمريكية، حتى تتخذ القاهرة خطوات محددة تتعلق بحقوق الإنسان.

وقال مسؤول في الخارجية إن أبرز الشروط التي وضعتها إدارة بايدن للإفراج عن باقي المعونة، يتعلق بإنهاء القضية 173 الخاصة بمحاكمة نشطاء منظمات المجتمع المدني وإسقاط الاتهامات عنهم، وإخلاء سبيل 16 شخصا حددتهم الولايات المتحدة في اجتماعات مع الحكومة المصرية في حزيران/يونيو الماضي، من دون تحديد هوية هؤلاء الأشخاص.

وتواجه السلطة، انتقادات حقوقية واسعة من منظمات محلية ودولية، بشأن ملف أوضاع حقوق الإنسان في البلاد، تتناول احتجاز آلاف النشطاء السياسيين، وإغلاق كامل للمجال العام.

مزيد من السجون

تصريحات الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، التي أدلى بها بعد أيام من إطلاق الاستراتيجية، زادت من مخاوف المعارضة، حول وجود نية لإجراء إصلاحات حقيقية في ملف حقوق الإنسان.

السيسي، أعلن أنه سيتم افتتاح أكبر مجمع سجون في مصر خلال أسابيع، ويضم ثمانية سجون في منطقة وادي النطرون.

وأضاف، خلال تصريحات تلفزيونية مع برنامج «التاسعة» على القناة الأولى الحكومية، مساء الأربعاء: «نحن ننفذ نسخة أمريكية كاملة، حتى لو إنسان أذنب لن نعاقبه مرتين، سنعاقبه مرة واحدة بقضاء عقوبة في السجن».

وتابع: «السجون في المجمع سيقضي عقوبته بشكل آدمي وإنساني، وحركة وإعاشة ورعاية صحية ورعاية إنسانية وثقافية وإصلاحية».

وأكمل: «القضاء سيكون هناك، ولن يكون هناك نقل بسيارة ترحيلات، عملية الإصلاح تتضمن إنشاء منظومة متكاملة».

ويأتي إطلاق الاستراتيجية في وقت يتحدث فيه معارضون على رأسهم محمد أنور السادات، منسق لجنة الحوار الدولي، ورئيس حزب الإصلاح والتنمية، عن انفراجة نسبية يشهدها ملف حقوق الإنسان في مصر، بعد سنوات عانى فيها المصريون من إغلاق تام للمجال العام وحملات اعتقال طالت نشطاء سياسيين وصحافيين وأكاديميين.

وتعد الاستراتيجية «خريطة طريق وطنية طموحة في مجال حقوق الإنسان وأداة هامة للتطوير الذاتي في هذا المجال». ويمتد الأفق الزمني لتنفيذها حتى ايلول/سبتمبر 2026.

وصدرت الاستراتيجية بعد أكثر من 20 شهرا من اجتماعات للجنة الدائمة العليا لحقوق الإنسان، مع جهات مختلفة من الدولة والبرلمان ومؤسسات المجتمع المدني. وهي اللجنة التي تأسست في تشرين الثاني/نوفمبر 2018 بقرار من رئيس الوزراء لإدارة ملف حقوق الإنسان وحدها بدلًا من اللجنة الرئيسية لحقوق الإنسان بوزارة العدل، وكان على رأس اختصاصات اللجنة الدائمة وضع الاستراتيجية وخطط تنفيذها.

مرتكزات ومسارات

حددت الوثيقة المرتكزات التي قامت عليها من: الضمانات الدستورية في مجال حماية وتعزيز حقوق الإنسان. والالتزامات والاتفاقات الدولية والإقليمية بهذا الصدد، واستراتيجية التنمية المستدامة 2030.

وأشارت إلى التحديات التي تواجه الدولة في هذا الصدد، محددةً إياها في أربع نقاط هي: الحاجة إلى تعزيز ثقافة حقوق الإنسان وتعزيز المشاركة في الشأن العام، والصعوبات التي تواجه التنمية الاقتصادية، والإرهاب والاضطراب الإقليمي.

أما فيما يتعلق بمسارات التنفيذ فقد حددتها الوثيقة في ثلاثة مسارات: الأول متعلق بالتطوير التشريعي، ثم التطوير المؤسسي. فمسار التثقيف وبناء القدرات في مجال حقوق الإنسان.

وفي نقطة التطوير التشريعي قالت الاستراتيجية إنه «لا تزال هناك حاجة إلى استكمال البناء على هذا الزخم التشريعي؛ لتعزيز الاتساق بين القوانين الوطنية، والمبادئ والضمانات الواردة في الدستور، والاتفاقيات الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان، سواء من خلال إدخال تعديلات على بعض التشريعات القائمة أو استحداث تشريعات جديدة».

وفي مسار التطوير المؤسسي فقد أوضحت الوثيقة أن إنشاء اللجنة العليا الدائمة جاء كتعبير عن إرادة سياسية من الدولة لتفعيل الإطارين الدستوري والتشريعي وتعزيز تنفيذ الالتزامات الدولية والإقليمية ووضع خطة عمل لبناء القدرات الوطنية في مجال حقوق الإنسان، والتنسيق مع الوحدات والإدارات المختصة بحقوق الإنسان التي تم إنشاؤها في كافة الوزارات والمحافظات والجهات ذات الصلة، إضافة إلى المجلس القومي لحقوق الإنسان باعتباره جهة مستقلة، والإدارة العامة لحقوق الإنسان التي أنشأتها النيابة العامة عام 2017.

أربعة محاور

حددت الاستراتيجية محاورها الأربعة في: الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وحقوق الإنسان للمرأة والطفل وذوي الإعاقة والشباب وكبار السن، والتثقيف وبناء القدرات في مجال حقوق الإنسان.

تناول محور الحقوق المدنية والسياسية ثماني حقوق وهي: الحق في الحياة والسلامة الجسدية، الحق في الحرية الشخصية، الحق في التقاضي، معاملة السجناء وغيرهم من المحتجزين، حرية التعبير، حرية التجمع السلمي، حرية التنظيم، حرية الدين والمعتقد والحق في الخصوصية.

وفي محور الحق في الحياة والسلامة الجسدية، أشارت الاستراتيجية إلى نقاط القوة والفرص في هذا الحق، من خلال الضمانات الدستورية من حيث حرمة الجسد وتجريم الاعتداء عليها وتعذيبها والامتناع عن تقديم العلاج وإجراء التجارب الطبية بالتراضي الموثق، إلى جانب القوانين التي تكفله وتعززه كقوانين العقوبات، تنظيم زرع الأعضاء البشرية، ومكافحة الإتجار بالبشر.

الحبس الاحتياطي

الحبس الاحتياطي جاء على رأس التحديات في هذا الشأن إذ قالت الاستراتيجية إن هناك حاجة إلى «وضع الإطار اللازم لضوابط ومبررات ومدد الحبس الاحتياطي الواردة في القوانين الوطنية وعدم تضمين قانون الإجراءات الجنائية بدائل متطورة تكنولوجيًا للحبس الاحتياطي والحاجة إلى وضع نظام قانوني مغاير لمبررات الحبس الاحتياطي إذا كان المتهم طفلا جاوز خمسة عشر عامًا بما يشدد من الشروط الواجب توافرها للحبس وتعميم مشروع النظر عن بعد في أوامر الحبس الاحتياطي الذي يتيح للقاضي الاتصال مباشرة بالمتهم المحبوس احتياطيًا بحضور محاميه، عبر دائرة تلفزيونية مغلقة ومؤمنة، بما يمكن المتهم من إبداء كل أوجه دفاعه عند النظر في أمر إخلاء سبيله أو استمرار حبسه، دون الانتقال إلى المحكمة».

وهنا قالت الوثيقة إن النتائج المستهدفة تسعى إلى «تعزيز الضمانات ذات الصلة بضوابط ومبررات ومدد الحبس الاحتياطي الواردة في القوانين الوطنية» من دون أن توضح ماهية تلك الضمانات أو إمكانية مراجعة قانون الإجراءات الجنائية الذي يشمل هذه المادة، بعدما تحولت إلى عقوبة سالبة للحرية يتم استخدامها بشكل ممنهج.

وفي آذار/مارس الماضي، أصدرت 31 دولة بينها الولايات المتحدة، بيانا تدعو فيه مصر إلى رفع القيود عن الحريات والتوقف عن «اللجوء إلى قوانين مكافحة الإرهاب لتكميم أفواه المعارضين والمدافعين عن حقوق الإنسان والصحافيين وإبقاء المنتقدين في الحبس الاحتياطي إلى أجل غير مسمى».

وتقدر الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان أعداد السجناء والمحتجزين بنحو 120 ألف سجين ومحبوس احتياطي ومحتجز، فيما تقول منظمات أخرى إن في مصر 60 ألف محتجز، وهي التقارير التي لا تعترف بها الحكومة المصرية وتؤكد أنه لا يوجد معتقلون سياسيون في السجون.

وتواجه أوضاع السجناء والمحتجزين في مصر، انتقادات تتعلق بسوء المعاملة وصلت حد الإهمال الطبي الذي أسفر عن وفاة العشرات خلال السنوات الماضية، ودفعت بعضهم لمحاولة الانتحار.

ويشهد سجن العقرب، سيء السمعة، حسب «الشبكة المصرية لحقوق الإنسان» إضراب العشرات عن الطعام احتجاجا على سوء المعاملة، إضافة إلى محاولة 15 معتقلا إشعال النيران في أنفسهم.

والشهر الماضي، حاول الناشط السياسي عبد الرحمن طارق الشهير بـ«موكا» الانتحار في محبسه في سجن طرة تحقيق، وتم نقله إلى مستشفى السجن، لتكون تلك المحاولة هي الثانية خلال أيام قليلة، بعد محاولة المدون محمد «أكسجين» الانتحار أيضا داخل محبسه.

كما هدد الناشط علاء عبد الفتاح الأسبوعي الماضي، بالانتحار بسبب ظروف حبسه.

كما تنتقد منظمات حقوقية، سياسة تدوير سجناء الرأي، التي تنتهجها السلطات في مصر، لاستمرار احتجاز النشطاء السياسيين، بعد مضي عامين على حبسهم وهي المدة القانونية القصوى للحبس الاحتياطي طبقا لقانون الإجراءات الجنائية، من خلال ضمهم لقضايا جديدة .

ورغم حديث الاستراتيجية عن الحق في التجمع السلمي، غير أن قانون التظاهر، الذي صدر عام 2013 يشل قدرة القوى السياسية على تنظيم أي احتجاجات،

فالمتهم يعتز بمواقفه والشهود عليه رجال الأمن ولا مجال للعبث بالأدلة والتأثير على الشهود.

ومن بين الخطوات التي يتبناها حزب التحالف الشعبي، بحسب الزاهد، مراجعة الأوضاع الخاصة بالتدابير الاحترازية ووضع المعارضين السلميين على قوائم الإرهاب، وإخلاء سبيل المتهمين على ذمة هذه القضايا وإسقاط تهم مشاركة جماعة إرهابية أهدافها وحفظ هذه القضايا وإتاحة حق التعبير للأحزاب ومنظمات المجتمع المدني في أجهزة الاعلام المملوكة للدولة، ورفع الحظر عن المواقع المحجوبة وتأكيد دور أجهزة الاعلام في حرية تداول الآراء والمعلومات بحيادية ومهنية ونزاهة.

وأكد الزاهد على ضرورة العمل المستمر على تحقيق استقلال القضاء وتعزيز فرص التنافسية في النظام السياسي بالتخلي عن نظام القوائم المطلقة وتوفير المناخ المناسب لتمثيل القوى المجتمعية المختلفة في كل أشكال التمثيل النيابي والنقابي وعدم تدخل الدولة لصالح أي طرف.

كما طالب الزاهد، بتحقيق تكامل الحقوق وترابط الحقوق والواجبات بالانحياز لمبدأ الإتاحة في الخدمات وحقوق المشاركة وترابط قضايا العيش والحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية في حزمة توجهات استراتيجية تجسد المطالب التي عبر عنها الشعب في ثورة يناير 2011 وانتصرت لها ديباجة الدستور.

الحزب المصري الديمقراطي الاجتماعي رفع هو الآخر خمسة مطالب رأى ضرورة البدء بها في إطار التوجه نحو معالجة الأخطاء في ملف حقوق الإنسان.

الخطوة الأولى بحسب بيان الحزب تمثلت في الإفراج عن السجناء السياسيين المحبوسين احتياطياً أو المحكوم عليهم بسبب نشاطهم السياسي السلمي وإنهاء الحبس الاحتياطي المطول ومفتوح المدة ووقف تدوير السجناء السياسيين كمتهمين في عدة قضايا لإبقائهم في السجون.

كما طالب الحزب برفع حالة الطوارئ المفروضة منذ 2017 بالمخالفة للدستور وبالذات بعد تراجع خطر الإرهاب على نحو ملحوظ وإنهاء الملاحقة الجنائية للمدافعين عن حقوق الإنسان وإغلاق القضية 173 لسنة 2011 ضد منظمات المجتمع المدني، ورفع الحجب عن مواقع الإنترنت والصحف الرقمية المحجوبة بالمخالفة للقانون وبدون حكم قضائي.

الحزب الذي ثمن في بيانه أي اهتمام من قبل الحكومة بهذا الملف انتقد إسناد وضع الاستراتيجية الوطنية للجنة من وزارة الخارجية، ما أكد الانطباع بأن الأمر المطلوب هو مخاطبة الدوائر الغربية التي وجهت انتقادات للحكومة المصرية في الفترة الأخيرة بسبب أوضاع حقوق الإنسان في مصر.

وتحدث الحزب عن أن الأفضل كان تشكيل لجنة من المجلس القومي لحقوق الإنسان والجمعيات الأهلية العاملة في هذا المجال والشخصيات الحقوقية المعروفة على الصعيدين القومي والدولي.

وتابع: الاستراتيجية ترتكز على الضمانات الواردة في دستور مصر في مجال حماية وتعزيز واحترام حقوق الإنسان. وعلى الالتزامات الدولية والإقليمية لمصر الواردة في الاتفاقيات والعقود والمواثيق التي وقعت عليها مصر بشكل أساسي، حيث حددت أربعة محاور تعمل الدولة على تطويرها خلال السنوات من 2021 إلى 2026. الأول الحقوق المدنية والسياسية، والثاني محور الحقوق الاقتصادية والثقافية، والمحور الثالث حقوق المرأة والطفل والأشخاص ذوى الإعاقة والشباب وكبار السن، والمحور الرابع التثقيف وبناء القدرات في مجال حقوق الإنسان.

وأضاف، أن كل محور منها ينطوي على مجموعة من النقاط التي تعكس نصوص الدستور والاتفاقيات والعهود التي وقعت عليها مصر، وكلها تحمل غايات سامية وأهدافاً نبيلة وهي مبادئ وتوجهات لا خلاف عليها. ولكن المشكلة ليست ولم تكن أبداً في الصياغات النبيلة والوعود الرائعة، بل كانت ولا تزال في تطبيق تلك النصوص والالتزام بها.

وزاد الحزب: خلافنا مع الحكومة والنظام يتعلق أولا بالحريات الديمقراطية وما يتضمنه من عدة أمور أهمها التضييق في مجال الحريات السياسية من دون مقتضى، والقبض على المعارضين السياسيين وحبسهم لمدد طويلة دون اتهامات جدية، ودون مبرر، والخلاف الثاني يتعلق بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، وعدم التزامها بالإنفاق بالنسب المقررة دستوريا للتعليم والصحة.

ونظم مركز «القاهرة لدراسات حقوق الإنسان» ندوة بعنوان «أي أفق لاستراتيجية الحكومة المصرية لحقوق الإنسان؟» تناول فيها أوضاع حقوق الإنسان في مصر، مع إعلان الولايات المتحدة الأمريكية تخفيض حجم المساعدات العسكرية المقررة سنويا، بسبب الاعتراض الأمريكي على محاكمة بعض النشطاء والمدافعين عن حقوق الإنسان، وتحديدا المتهمين في قضية التمويل الأجنبي المعروفة إعلاميا بالقضية 173.

حجب المساعدات الأمريكية

مديرة برنامج الشرق الأوسط، بمؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، ميشيل دن، قالت إن «الحكومة أدركت مدى تأثير وارتباط الأداء الحقوقي بعلاقتها الدولية، لذا اتخذت إجراءات مؤخرا تعكس وجهة نظر مختلفة تجاه ذلك الملف فيما يتعلق بسياستها الخارجية».

وتناولت الباحثة الأمريكية في كلمتها الكثير من النقاط على الأداء الحقوقي التي تحتاج مصر إلى معالجتها في أقرب وقت ممكن، أبرزها مساحة الرأي وعدم ملاحقة منتقدي الحكومة، وتطبيق ما جاء على لسان الرئيس نفسه بخصوص حرية المعتقد، مدللة على ذلك بالاتهامات التي يواجهها نشطاء أقباط لحديثهم عن أوضاعهم في مصر، في إشارة إلى الباحث باتريك جورج الذي أوشك على إتمام عامين في السجن باتهام بنشر الأخبار الكاذبة.

أما رئيس حزب الإصلاح والتنمية، والمنسق العام لمجموعة «الحوار الدولي» محمد أنور السادات، فقد قال في كلمته في الندوة: «ليست الانتقادات الخارجية وحدها ما تستدعي لإطلاق استراتيجية وطنية لحقوق الإنسان، فمصر الآن أصبحت في وضع مستقر واستعادت عافيتها ورأت أنه من الضروري والملح، ليس لنتيجة ضغوط من الخارج، ولكن لشعبها الذي ينادي منذ سنوات سواء سياسيين وحقوقيين، بأنه لا بد من فتح المجال العالم في السياسة والإعلام وحرية التعبير».

وأضاف: «لن ننتظر مدة الاستراتيجية 5 سنوات، بل سيتم سنويا رصد ماذا تحقق في مجالات التشريع والقوانين المتعطلة والإجراءات الجنائية والعقوبات، والقوانين المتعلقة بمفوضية عدم التمييز، والتي تعتبر مجموعة من القوانين العاجلة».

وزاد: «لدى المجتمع المدني فرصة والتشكيك فيها سابق لأوانه لأنه لم يتم اختبار الاستراتيجية بعد».

وفيما يخص المعونات، قال إنه «لا يتفق مع من يطالبون باستقطاع جزء من المعونات كنوع من أنواع الضغط فتلك تعطي رسالة يستغلها البعض ضد العلاقات الاستراتيجية بين الدول».

وأصدر المستشار علي مختار الرئيس بمحكمة استئناف القاهرة قاضي التحقيق المنتدب في القضية رقم 173 لسنة 2011 المعروفة بالتمويل الأجنبي أمرا بألا وجه لإقامة الدعوى الجنائية ضد 4 كيانات جديدة، لعدم كفاية الأدلة.

والقرار الأخير هو واحد من سلسلة قرارات أصدرها قاضي التحقيقات في القضية خلال الشهور الماضية، بألا وجه لإقامة الدعوى بحق 71 كيانا حقوقيا، وهو يراه كثيرون بأنه مؤشر قوي على وجود اتجاه لتفكيك هذه القضية المثيرة للجدل.

وتضمن القرار الأخير مركز أندلس لدراسات التسامح ومناهضة العنف ومركز دار المستقبل الجديد للدراسات الحقوقية والقانونية وجمعية التنمية الإنسانية بالمنصورة والمركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

وتضمن القرار رفع أسماء من تضمنهم الأمر من قوائم الممنوعين من السفر وترقب الوصول وقوائم المنع من التصرف في أموالهم سائلة كانت أو منقولة بدون المساس بأي وقائع أخرى قد تكون محلا للتحقيق سواء بالقضية الحالية أو غيرها من القضايا.

وأوضح المستشار علي مختار أنه بصدور هذا القرار يكون عدد المنظمات والجمعيات والكيانات التي صدر لها أمر بألا وجه لإقامة الدعوى الجنائية بشأنها 71 كيانا كان قد اتهم فيها ما يقرب من 200 شخص منذ أن تولى التحقيق في هذه القضية.

أما مدير مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، بهي الدين حسن، فوضع 6 ملامح للسياق الذي صدرت فيه الوثيقة، من بينها تزايد قلق أصوات من المستويات الدنيا داخل نظام الحكم في مصر على من التفاقم الحاد في الأحوال المعيشية، ومن ناحية أخرى انعدام وجود وسائط سياسية تستطيع امتصاص أو الحيلولة دون حدوث صدام عفوي كبير في أي لحظة أو التنبؤ بعواقب مثل هذا الصادم المحتمل على استقرار نظام الحكم الحالي.

التضييق على الأكاديميين

وتطرق بهي إلى التقارير التي تنتقد الأوضاع السياسية والحقوقية في مصر، والحملات الشرسة التي يتعرض لها المدافعون عن حقوق الإنسان، وتعرض أكاديميين أجانب لمشاكل كبرى حتى أن إحدى المؤسسات الكبرى أصدرت تحذيرا أكاديميا بخطورة العمل الأكاديمي الميداني من داخل مصر، فالأمم المتحدة نفسها لا تتمتع بإمكانيه إرسال مقررين وحين أرسلت المقررة الخاصة بها بالحق في السكن تعرض من التقى بها من المصريين للتهديد والملاحقة الأمنية.

وفي سياق صدور الاستراتيجية، أشار حسن إلى أن «من أشرف على إعدادها وإصدارها هو وزير الخارجية ومعاونوه وهي الوزارة المختصة بالعلاقات مع كافة دول العالم إلا مع مصر، فهذا ليس شأنها» مرجحا أن «تكون مهمة الوثيقة إحدى أدوات إدارة العلاقات العامة مع المجتمع الدولي وتهدئة خواطره».

وعن تقييمه للاستراتيجية، أشار إلى أن «المشكلة الأساسية التي أكدت عليها الوثيقة والتي جاءت في 71 صفحة بتكرارها 30 مرة بأن التقصير من جانب وعي المجتمع المدني والمواطنين والأحزاب السياسية والمنظمات» قائلا: «نأمل أن تشكل الاستراتيجية خريطة طريق ولكنها تقوم بالتضليل أكثر».

كتب

الشاعرة التونسية سامية ساسي في «لا تلتفت لنراها»: انشداد الكتابة إلى النسوي والوجودي والجسدي

عادل ضرغام

تحاول الكتابة الشعرية – وخاصة قصيدة النثر– أن تقدم أنماطا كتابية مغايرة في بنيتها اللغوية، وطريقة تمددها وتشكلها، وفي توجهاتها الإبداعية المعرفية، فهي لا تركن إلى نمط كتابي وحيد، ولا تقف عند جانب معرفي إدراكي فردي، بل تقدم هذه المناحي المعرفية في حالة اشتباك وتماه وتداخل، بحيث يصعب الفصل بينها فصلا تاما، ويصبح تناول واحد منها انفتاحا على المناحي الأخرى، ومساءلة لطريقة تجليها على هذا الشكل الخاص المعقد والمركب. في ديوان سامية ساسي «لا تلتفت لنراها» اختيار لمنحى إبداعي مملوء بإشكالاته الوجودية الخاصة، فهناك محاولة لضبط الذات متورطة في وحدتها وعالمها الداخلي الموحش، وفي عدم قدرتها على التواصل مع هذا العالم المحيط، فتتجلى وكأنها ذات تتراكم بداخلها أسئلة مشدودة لفعل الكتابة، وللنسوي والوجودي والجسدي، وللأعراف بارتهاناتها الحادة المؤسسة في لحظة واحدة، ويغدو الفصل بينها فصلا نظريا يرتبط بالتناول والتركيز على جانب من هذه الجوانب. في نصوص الديوان هناك محاولة لردم الهوة بين الواقعي والخيالي، بين ما نؤسسه ونراقبه في نموه وتلاشيه، وما نلمسه بحواسنا واقعا ونفرق منه. فالنص الشعري يمارس نوعا من التحرير في الواقع ليصبح خيالا ملموسا، ويمارس التحوير ذاته مع المؤسس الخيالي ليصبح واقعا نعاينه ونلمسه، ويجعله منفتحا ومؤثرا في طبيعة الإدراك والمقاربة. ففي نصوص الديوان هناك إقامة أو إصرار على الإقامة الممتدة في مساحة الفطري والبسيط والتلقائي دون وصفة سابقة التجهيز للكتابة، فمع الفطري هناك تجل تعبيري لا يحدد – ولا يحدّ – بالنظري المحسوب بدقة.

الكتابة وأسئلتها

سؤال الكتابة في هذا الديوان لا يتأسس وفق صور مجهرية أو جزئية أو ملحقات مأخوذة من نصوص لشعراء سابقين كبار ظهر دوران لافت لنصوصهم لدى شعراء قصيدة النثر في العالم العربي مثل ريتسوس وآخرين، بل يتأسس عن قصدية في نصوص كاملة من جانب أول، ومن جانب آخر لا يأتي مشدودا لمنحى جمالي في التناول أو المقاربة، وإنما يتجلى مرتبطا بالحياة ومنطلقها الخاص الذي لا يصمد أمام المراجعة والتفكير. فالمغايرة التي تسدلها الكتابة لا تضرب في فراغ في انشدادها إلى مثالية الفني والشعري، ولكنها مدنسة وملوثة بدم الحياة وتعقيداتها وإشكالياتها، ولهذا فسؤال الكتابة في الديوان يأتي مشدودا للعلاقة بالآخر الذكوري، وبوضع الأنثى بشكل عام. فالكتابة الشعرية في الديوان – لنزوعها الفطري الحر الكاشف عن القدرة والفاعلية – أشبه بخفة الطائر في ملامسة الماء، ففي نص (لأنني لا أغير البئر) تتكشف الكتابة عن كونها سعيا للري، ورحيلا أبديا لا يركن للإقامة أو الثبات أو التجذر والثقل، ولا يخلو من منارات، ولا يخلو من اتكاء إلى معرفة سابقة لآخرين، ولكن التوجه الكتابي الباحث عن التفرد لا يقنع بالوصفات أو الإرشادات التي يقدمها أصحاب المعرفة، ويظل مصرّا على نهجه في أن تظل الكتابة حرة منفلتة من التقعيد والتنظير والثبات، لأن حركتها وانفلاتها يكفلان لها التجلي المغاير في كل مرة. وفي إطار ذلك تتأسس مجموعة من التقابلات في النص الشعري (فم قديم كقبر)، فثمة اشتغال في هذا النص على المشابهة بين الكتابة وإنتاج الحرير. وفي ظل هذا الفهم وطبيعة إسدال التشابه والتناظر يصبح إنتاج الحرير بحثا عن المنفعة، فللحصول على إنتاج الحرير يجب قتل الخادرة قبل أن تتحول إلى فراشة وتمزيق خيوط الحرير أثناء خروجها من الشرنقة، وفي النص الشعري تأتي الجارة – حيث تشير إلى قطاع كبير من النساء – كاشفة عن النمط المستقر الذي تبدو فيه المرأة مسيجة خانعة، وتبدو الكتابة الإبداعية مخذولة غير قادرة على النفاذ: (سأربي ديدانا ببيتي/ ليس الأمر مقرفا إلى هذا الحد/ لكتابة قصيدة على الحائط الأبيض الذي أمامي/ على أن أسرق الشمس يوميا من جارتي/ التي تستعرض زرابيها الحريرية كل صباح). الفن في عمومه – وخاصة الشعر – بحث عن آفاق أكثر رحابة، وفي بحثه عن هذه الآفاق لا يمكن أن ينحاز من جانب أول، ومن جانب آخر لا يأتي مشدودا لمنحى جمالي في التناول أو المقاربة، وإنما يتجلى مرتبطا بالحياة ومنطلقها الخاص الذي لا يصمد أمام المراجعة والتفكير. فالمغايرة التي تسدلها الكتابة لا تضرب في فراغ في انشدادها إلى مثالية الفني والشعري، ولكنها مدنسة وملوثة بدم الحياة وتعقيداتها وإشكالياتها، ولهذا فسؤال الكتابة في الديوان يأتي مشدودا للعلاقة بالآخر الذكوري، وبوضع الأنثى بشكل عام. فالكتابة الشعرية في الديوان – لنزوعها الفطري الحر الكاشف عن القدرة والفاعلية – أشبه بخفة الطائر في ملامسة الماء، ففي نص (لأنني لا أغير البئر) تتكشف الكتابة عن كونها سعيا للري، ورحيلا أبديا لا يركن للإقامة أو الثبات أو التجذر والثقل، ولا يخلو من منارات، ولا يخلو من اتكاء إلى معرفة سابقة لآخرين، ولكن التوجه الكتابي الباحث عن التفرد لا يقنع بالوصفات أو الإرشادات التي يقدمها أصحاب المعرفة، ويظل مصرّا على نهجه في أن تظل الكتابة حرة منفلتة من التقعيد والتنظير والثبات، لأن حركتها وانفلاتها يكفلان لها التجلي المغاير في كل مرة. وفي إطار ذلك تتأسس مجموعة من التقابلات في النص الشعري (فم قديم كقبر)، فثمة اشتغال في هذا النص على المشابهة بين الكتابة وإنتاج الحرير. وفي ظل هذا الفهم وطبيعة إسدال التشابه والتناظر يصبح إنتاج الحرير بحثا عن المنفعة، فللحصول على إنتاج الحرير يجب قتل الخادرة قبل أن تتحول إلى فراشة وتمزيق خيوط الحرير أثناء خروجها من الشرنقة، وفي النص الشعري تأتي الجارة – حيث تشير إلى قطاع كبير من النساء – كاشفة عن النمط المستقر الذي تبدو فيه المرأة مسيجة خانعة، وتبدو الكتابة الإبداعية مخذولة غير قادرة على النفاذ: (سأربي ديدانا ببيتي/ ليس الأمر مقرفا إلى هذا الحد/ لكتابة قصيدة على الحائط الأبيض الذي أمامي/ على أن أسرق الشمس يوميا من جارتي/ التي تستعرض زرابيها الحريرية كل صباح). الفن في عمومه – وخاصة الشعر – بحث عن آفاق أكثر رحابة، وفي بحثه عن هذه الآفاق لا يمكن أن يتخلص من سياقاته الجمعية والفردية، فحال الوحدة وعدم القدرة على التواصل مع السياق يطلان فاعلين بقوة. فالشعر– الشعر الحقيقي– خروج وانحراف ومساءلة دائمة للمستقر، ويتساوق مع ذلك مقاربة الحياة بالمنطق ذاته. فالحياة – وفق منطق نص شاحنة البيرة– خروج تطوّقه اللعنات بسبب مقايضة السكون بالحركة، والانـزواء بالظهور، ويلح النص الشعري على نمط هذه الحياة في قوله: (أحب أن تطوقني اللعنات/ واستغدار الشاي في المقاهي/ وحجارة الأطفال والصفائح في خصلات شعري/ أحب الشهوة القارسة على شفاه العاطلين/ بين أسنانـي). الشعر لدى سامية ساسي حفر في مكان ثابت، حركة من الثبات، فهذه الحركة لا تأتي من الانتقال من موضوع إلى موضوع، وإنما بالمقاربة وإعادة المقاربة للموضوع ذاته وفق نزوعات مختلفة، فيشعر المتلقي بالحركة. ولكن بنية النصوص تشعرك بنمطية ما، فدائما هناك بداية لافتة تدفع المتلقي إلى التساؤل والاستغراب، وغالبا تأتي خاتمة النص وثيقة الصلة بهذه البداية. تتجلى النصوص بداية من لحظة الذروة لتؤسس انغلاتها من العادي، ولكنها بالتدريج تبدأ في التفسير أو محاولة التقريب والكشف عن تلك البدايات الخاصة اللافتة. ففي نص (مبتورة الأطراف) يبدأ النص بهذا السطر الشعري (عارضة أزياء بيد واحدة)، وكأنه يقدم وصفا موضوعيا، ولكن الصوت الذاتي من خلال ضمير المتكلم يطل فاعلا لإسدال مساحة من التوحد بين الموضوعي والذاتي، في قولها: (أنا عارضة أزياء/ مبتورة الأطراف كصفصافة/ يمكنني أن أقطع يدي/ لأجل شاعر بيد واحدة/ أراد في نهاية العرض أن يصفق). ويتجلى النمط ذاته في قصائد كثيرة مثل (فم قديم كقبر)، فالسطر الشعري (سأربي ديدانا في بيتي) يمثل البداية المخلخلة للمنطق العقلي الذي يتجاوزه الشعر ويتعاظم عليه، ولكن النص الشعري لطبيعته لا يترك الأمر مستغلقا على الفهم، ولكنه يلمح إلماحات، ويقدم إشارات فنية بالتدريج لكي يتم الكشف عن دلالات الرموز. لا يخفى في النص أثر الإشارات لسرد يوجين يونسكو، وخاصة مسرحيته «المغنية الصلعاء». ويتجلى الأثر ذاته في نص تعلمه الرقص)، للإشارة إلى عدم المعرفة بين الرجل والمرأة بالرغم ما بينهما من حياة مشتركة، فكل واحد منهما يعيش في غرفة منفصلة، ويمارسان الرقص على صيحة جاك بريل وأغنيته الشهيرة (لا تتركني وحدي) التي تحولت إلى أغنية ونشيد للعشاق على مرّ الأزمنة. فالصورة المقدمة في النص عبثية، لأن الأغنية – وإن لم يشر إليها النص بشكل صريح – تصنع عالما كاشفا عن الانسجام والتلاحم، ولكن بنية النص تقضي إلى التنافر من البداية (هذا البيت يتسع لشاعرين فقط/ هو لا يتكلم/ هي لا تقول شيئا)، وإلى التحلل والتلاشي في نهاية النص (وقبل أن يدعس قدمه بحذائه/ تعدّ له قصائد عن حبة ملح/ تأكل جثتين/ في بيت يسع شاعرا واحدا– لا يتعلم الرقص).

لم يكن التوجه إلى المنحى النسوي في قصائد الديوان بشكل مباشر، فللديوان مناخ قد تكون أكثر عمقا ترتبط بإشكاليات الكتابة والفن، ومن ثم يأتي المنحى النسوي – على أهميته – مظهرا لتوجه أشمل بالرغم من أن كلا منهما يؤثر في الآخر، ويجعله يتجلى بشكل مختلف يكشف عن توحدهما. فإذا كانت الكتابة الشعرية في هذا الديوان حفرا أو نقشا خاصا يبتكر آلياته، ويحوّر في رموزه وعكاكيزه الإبداعية حتى تصبح ملاءمة لإيقاع الروح المعذبة التي يتشكل عذابها من خلال الإصغاء والانتماء للكتابة والحب فإن الحفر أو النقش يأخذ أشكالا مختلفة. ففي قصيدة (بشوكة في حلقها وتغنّي)، سوف تتعاظم الشوكة على التحديد المـادي، وتصبح إشـارة لكل الأعـراف والتقاليد والمحـددات الثقافية والاجتماعية. يكشف عن هذا التأويل الإشـارة إلى النسوة ذوات الألسنة القصيرة اللواتي ينسجمن مع المؤسس والمقرر، في مقابل الذات الشاعرة التي (تتقدم في السن ويطول لسانها)، وتتكامل صورتها في همس النسوة أسفل نافذتها (من يسكت امرأة حرة/ أربعون عاما، بشوكة في حلقها وتغني). وكذلك يتجاوز الغناء الفعل البسيط المعهود ليلتحم بالشعر والكتابة، فتصبح الكتابة فعلا من أفعال المقاومة لكل مؤسس ومقرر، وخرقا لكل الأعراف التي لا تستقيم مع المنطق. جزء كبير من نصوص الديوان يتشكل في مساحة الأعراف بين الواقعي والخيالي، أو المتخيل النموذجي والمتحقق الواقعي، ولهذا نجد أن هناك توجها من التوجهات العديدة في مقاربة النسوي يرتبط بتغيير أو تشويه الواقعي بالخيال حتى يتساوق مع المتخيل. ففي نصها الشعري (بلا وجه للشبه) يمكن أن يتمّ التفكيك من خلال المشابهة والمقابلة في آن، فكل قسيم أو طرف يحاول أن يغير في طبيعة الآخر بالتدريج حتى يقترب من النموذج المثالي بذهنه. فالقسيم الأنثوي – الصوت السارد في النص الشعري – انطلاقا من المعرفة والإدراك القائمين على التجريب، يتحرك للإشارة إلى المشابهة أو المماثلة المرتقبة من الآخر. وفي نمط آخر نجد الذات الشاعرة تلجأ إلى اليومي لمقاربة تشظيها الذاتي في ظل عالم قابض لا يستجيب بسهولة لسلطة المتخيل، ففي نص (اسفنجة) نلمح وجودا لليومي، ولكن هذا اليومي لا يشابه اليومي في نصوص شعراء التفعيلة، فاليومي هنا رحلة داخلية تُرصد من الثبات، وليس من تعداد الظواهر المحيطة كما يمكن أن نرى لدى شعراء التفعيلة، فالذات الشاعرة تظهر – في معظم نصوص الديوان – من خلال الاستناد إلى محركين أساسين، ربما كان لهما التأثير الأكبر في ذلك التجلي الإنساني، الفن والحياة، أو الشعر والحب، حيث يتوازيان معا في تشكيل هوية حياتية وشعرية، وحال يومية ممتدة (الشعر ثقب في جسدي/ الحب ثقب آخر/ وأنا أسمن كإسفنجة)، فاليومي هنا وثيق الصلة بالداخل، وما يتجمع لديها من إشكاليات ورهانات وثقوب، والذات في رحلتها اليومية لرتق هـذه الثقوب تستعين بمضغ العلكة والدخان، وتأمل دوائره التي تتمدد وتتضخم كنساء بوتيرو.

سامية ساسي: «لا تلتفت لنراها»
ديار للنشر والتوزيع، تونس 2019
90 صفحة.

ستيف ريتشاردز في «رؤساء حكومات بريطانيا»: زعماء قادوا شعبهم نحو سياسات خارجية خاطئة

سمير ناصيف

ما هي المقومات والميزات المطلوبة لدى أي سياسي لقيادة بلد ضخم وفاعل في العالم لعب أو يلعب دوراً تاريخياً بارزاً وينتسب إلى الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن التي تمتلك حق النقض «الفيتو»؟

هذا سؤال يحاول ستيف ريتشاردز، الصحافي الإذاعي والتلفزيوني في هيئة الإذاعة البريطانية «بي. بي.سي» والكاتب في صحف بريطانية مثل «غارديان» و«اندبندنت» وغيرها، الإجابة عليه بالنسبة إلى الدولة البريطانية في كتاب بعنوان «رؤساء حكومات بريطانيا، تأملات حول قيادة بريطانيا من هارولد ويلسون إلى بوريس جونسون» علماً أنه قابل معظم هؤلاء القادة شخصياً في لقاءات مباشرة معهم في وسائل الإعلام التي عمل فيها.

يؤكد ريتشاردز في هذا الكتاب ان الصفة الرئيسية المطلوبة من قائد لبلد كبريطانيا هي القدرة على إقناع الشعب وقيادات الأحزاب البارزة (وخصوصاً نواب الحزب الحاكم) بانه القائد الأمثل المُسلك بزمام الأمور في فترات الأزمات الصعبة وأنه ليس متردداً أو ضعيفاً في مثل تلك الحالات.

مثل هذه القدرة في العادة، حسب قول المؤلف، تُكتسب عبر احتلال مناصب وزارية أو قيادية في المعارضة قبل الانتقال إلى رئاسة الحكومة. ولكن هذا الأمر ليس شرطاً من المستحيل تجاوزه. فالقائد العُمّالي السابق توني بلير وصل إلى رئاسة الحكومة البريطانية عام 1997 بعد 18 عاما من حكم حزبِ المحافظين من دون ان يكون احتلّ منصباً وزاريـاً قبل ذلك، وبقي في منصبه الرئاسي الحكومي عشر سنوات.

غير أنّ ريتشاردز يُقدم في الكتاب تحفظات هامة حول سياسات توني بلير الخارجية وخصوصاً قراره مشاركة بريطانيا في حرب الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن ضدّ العراق في عام 2003.

فيقول في الصفحات (246 إلى 249) من الفصل السادس: «من أهم دوافع بلير لخوض حرب العراق إلى جانب بوش الابن سعيه للتأكيد بأنه كزعيم وقائد عُمالي يساري بامكانه العمل مع رئيس أمريكي يميني من الحزب الجمهوري، كما كان قد فعل سابقاً مع الرئيس الأمريكي الديمقراطي بيل كلينتون في الأزمة الإيرلندية. كما خشي من أن يسبقه زعيم المعارضة المحافظة (آنذاك) ايان دانكان سميث إلى تأييد بوش الابن وأن يسحب من يديه ورقة سياسية هامة». ويضيف: «مشاركة بلير في حرب أمريكا في العراق أتت بشكل رئيسي لأن المبادرة للقيام بالعملية ضّد (الرئيس العراقي) صدام حسين أتت من رئيس الجمهورية الأمريكية وليس من جانب أي قائد عالمي آخر، الأهم بالنسبة لبلير استراتيجياً كان أن يظهر أمام الشعب البريطاني بانه مقرّب من الرئيس الأمريكي ولن يهدّد العلاقة البريطانية–الأمريكية الخاصة، وخصوصا بعدما تأكد بلير بأن بوش وأعوانه في القيادة سينفذون الهجوم على العراق وسيفعلون كلّ ما في وسعهم للعثور على أدلة لتنفيذ مشروعهم، حتى لو لم يحصلوا على قرار من مجلس الأمن في هيئة الأمم المتحدة يعطيهم الضوء الأخضر لذلك».

ويعتبر ريتشاردز انه من الخطأ الاعتقاد بان بلير قرر مشاركة بريطانيا في حرب العراق لكونه يمتلك معتقدات دينية أو أخلاقية ذات طابع صليبي غربي بأنه ينقذ العالم من الشر. فبلير أدرك بعد خطاب بوش الابن حول «محور الشر» في منطقة الشرق الأوسط وربط (الرئيس) صدام حسين به في خطاباته منذ عام 2002 بأن الهجوم الأمريكي أصبح قريبا وانه لا يود ان يبقى خارج اللعبة السياسية وان يتهمه الجمهور الوسطي البريطاني بالتخاذل وعدم الوفاء للحليفة الدائمة لبريطانيا وهي تاريخياً الدولة الأمريكية التي دعمتها في الحربين العالميتين الأولى والثانية وفي مناسبات أخرى.

بيد ان المؤلف يشير أيضا إلى الموقف الشجاع لوزير الخارجية البريطاني الراحل روبن كوك الذي فضل الاستقالة رفضاً لحوض بريطانيا حرباً غير مبرّرة، وحذر كوك بلير (آنذاك) من ان خوضه حرب العراق من دون قرار أممي سيخسره شعبيته، وهكذا كان (ص249).

ويوضح ريتشاردز بأن بلير حاول اقناع بوش الابن بتقديم التزامات أمريكية سياسية بالنسبة للقضية الفلسطينية للتغطية على مشروعه العسكري في العراق، ففعل بوش ذلك بطريقة غامضة وغير حاسمة لمحاولة إبعاد النظر عن ان المفتشين الدوليين لم يؤكدّوا أمر امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل. كما ان بلير فوجئ (ولكنه تجاهل) مظاهرة المليون التي جرت في شوارع لندن في شباط (فبراير) 2003 ضد غزو العراق (ص252 و253).

وبالنسبة للفصل العاشر من الكتاب الذي أضافه الكاتب لاحقاً إلى النسخة الأخيرة الورقية الغلاف للكتاب، فأهم ما ورد فيه ان جونسون، خلافاً للقائد البريطاني الذي يعتبره مثله الأعلى (وينستون تشرتشل) يحاول ان يتجنب الخوض في مواجهات عسكرية دولية منذ تسلمه السلطة، وقبل ذلك في مناصبه الأخرى، ولكن حربه الضروس أتته في المواجهة الشديدة الصعوبة مع فيروس كورونا الخبيث التي ما زال يخوضها، وفي المنازلة الأخرى التي خاضها ضد نصف الشعب البريطاني الذي لم يكن يؤيد الخروج من الاتحاد الأوروبي (مشروع بريكست) والتي رجحت كفته فيها بسبب إجادته إدارة اللعبة السياسية ضد خصميه في حزب المحافظين الرئيسي وحليفه السابق في حزب العمال غوردون براون الذي سلبه القيادة في عام 2007 ولكنه فقدها لاحقا بسبب عدم قدرته على الاقناع برغم معرفته الاقتصادية والمالية الواسعة، حسب الكاتب.

كما استطاع جونسون احتواء قدرات الحزب البريطاني الثالث من حيث السيطرة وهو حزب الليبراليين الديمقراطيين عندما نجح رئيس الحكومة الحالي نجاحاً ساحقاً في الانتخابات الاشتراعية التي جرت في نهاية عام 2019 وقلص عدد نواب ذلك الحزب إلى 11 بعدما كانت زعيمته جو سوينسون يعتقد انها ستحظى بعدد كبير من المقاعد لكونها المؤيدة الأولى لبقاء بريطانيا في الاتحاد الأوروبي. ونجح جونسون من خلال مناوراته واجتماعاته مع قادة أوروبا الآخرين في إفشال مشروعها وإيهام الشعب البريطاني بان ما يفعله هو كان الأفضل لبريطانيا.

ويستنتج الكاتب بان قادة بريطانيا في الفترة الأخيرة برغم قدراتهم على الشعبوية والمناورة يختلفون عن قادة بريطانيا السابقين خلال عقود النصف الثاني من القرن العشرين، أكان ذلك في عمق التزامهم العمل السياسي أو في خبراتهم السياسية والاقتصادية. ويطرح في هذا المجال أسماء بعض القادة البريطانيين السابقين الذين يعتبرهم من الأبرز في قدراتهم القيادية على شاكلة رئيس الوزراء المحافظ السابق ادوارد هيث، الذي ترأس الحكومة في مطلع سبعينيات القرن الماضي وكان عُراباً للانتماء البريطاني إلى أوروبا، ونظيره العمالي الرئيس جيمس كالاهان ووزير دفاعه وخارجيته دينيس هيلي، كالاهان لاتّزانه وقدرته على الانفتاح نحو الخصوم في الأحزاب الأخرى (خصوصا في حزب الليبرالي الديمقراطي) وهيلي لذكائه ووضوح وقوة مواقفه المبدأية وتمسكه بها.

وإضافة إلى هؤلاء تواجد سياسيون وقادة كبار في مختلف الأحزاب على شاكلة هارولد ويلسون وروي جينكينز وتوني بن وشيرلي ويليامز ومايكل هيزلتاين ودوغلاس هيرد بامكان القادة الحاليين الاحتذاء بهم وبمواقفهم وخبراتهم، حسب المؤلف.

ويختتم ريتشاردز كتابه بجملة عميقة ومفيدة جداً بالنسبة لمقاربة الكتاب وهي التالية «أصبحت بريطانيا جمهورية من دون رئيس جمهورية» (يقصد في هيكليتها السياسية). أي انّ قادتها يتصرفون كقادة كاريزماتيّين شعبويين بدلاً من التزام نظام محاسبة القائد على قراراته وخياراته من جانب الشعب ومجلسيّ العموم والشيوخ والأحزاب والمجموعات الأخرى.

Steve Richards: «The Prime Ministers»
Atlantic Books, London 2020
507 pages.

المقال

عبدالباسط سيدا

الانسداد السوري وامكانية الحل

لقد وصلت الأمور في سوريا إلى الطريق المسدود بالنسبة إلى السوريين، سواء أولئك الذين ثاروا على النظام أم من التزم الصمت، أو من وقف إلى جانب سلطة الاستبداد والفساد.

وهذا الاستعصاء تتحمّل مسؤوليته السلطة بالدرجة الأولى؛ ولكن هذا لا يعفي المعارضة من المسؤولية، كما تتحمل المسؤولية أيضاً القوى الإقليمية والدولية التي لم تساعد السوريين كما ينبغي، وكما وعدت.

ولعل التركيز على العوامل الداخلية المحلية التي تسببت في الاستعصاء المعني هنا يكون أكثر جدوى، فذلك قد يساعدنا على تسليط الضوء على العوامل التي تحول دون الوصول إلى حل داخلي واقعي مقبول للخروج من الوضع الكارثي الذي يطحن السوريين بصورة يومية وعلى مختلف المستويات. أكثر من نصف الشعب مهجّر. حوالي مليون قتيل. مئات الآلاف من المعاقين. يوازيهم عدد مماثل من المعتقلين والمغيبين. هذا فضلاً عن الدمار الشامل الذي أصاب المدن والبلدات والمؤسسات الخدمية والبنية التحتية. ويُضاف إلى ذلك ملايين الأطفال الذين حرموا من التعليم المنظّم، ومن الرعاية الصحية الضرورية. وفي السياق ذاته يُشار إلى الوضع المعيشي البائس في جميع المناطق السورية؛ هذا إلى جانب مشكلات اجتماعية بالغة الخطورة، وتفكك النسيج المجتمعي الوطني السوري.

مما لا شك فيه هو أن السلطة، وعلى رأسها بشار الأسد، تتحمل المسؤولية الكبرى عن كل ما أصاب السوريين. لأنها منذ البداية، وحتى قبل الثورة، لم تصغ إلى مطالبهم الخاصة بالإصلاح؛ وإنما التفت حولها، واستخدمت كل أساليب المماطلة والتسويف والخداع والتضليل لتستمرّ في استبدادها وفسادها. هذا على الرغم من إقرارها بمشروعية تلك المطالب، ورفعها للشعارات التي كانت توحي بأن الإصلاح ستكون له الأولوية. ولكن بعد عقد كامل من حكم وارث الجمهورية بموجب هرطقة دستورية، وجد الناس أن القمع هو سيد الموقف، وأن البؤس هو مستقبلهم ومستقبل أبنائهم. فكانت ثورة الشباب من جميع المكونات السورية الذين وجدوا أن الآفاق قد انسدت أمامهم؛ وأن أحزاب المعارضة التقليدية هي أضعف من أن تمارس ضغطاً من أجل تغيير نحو الأفضل، وأن وعود النظام هي للتخدير والتضليل ليس إلا.

ولكن السلطة عوضاً عن أن تتفهم المطلوب، وتسعى من أجل اتخاذ إجراءات فعلية تُشعر المتظاهرين بوجود نية جادة للمعالجة، استخدمت الشعارات والوعود الكاذبة مرة أخرى. وجميعنا ما زال يتذكر «حزمة الإصلاحات» الخلبية التي أعلنت عنها بثينة شعبان وهي في حالة هيستيرية. في حين أن رأس النظام أرسل الجيش إلى درعا، اعتقاداً منه أن إرغام الناس هناك على الصمت عبر القمع سيؤدي إلى ترويع السوريين في سائر أنحاء البلاد. ولكن النتيجة كانت عكسية، فقد عمّت المظاهرات والاحتجاجات غالبية المناطق السورية، واستمرت السلطة في حربها على السوريين، وتمسك السوريون بثورتهم.

وحينما تيقّنت السلطة من عجزها عن مواجهة ثورة السوريين، استنجدت بالنظام الإيراني، كما استنجدت بالميليشيات، ومارست اللعبة التي تتقنها جيداً، وهي لعبة التفريق بين المكونات السورية، وتالبب بعضها ضد بعضها الآخر. كما أطلقت سراح المتشددين الإسلامويين، وركزت على استراتيجية الربط بين الثورة والإرهاب.

فعلى الصعيد الوطني، لم تتمكن هذه المعارضة من طمأنة جميع السوريين، على الرغم من جهود كثيرة بُذلت في هذا المجال في بدايات الثورة. فما نواجهه اليوم يتشخص في اطروحات دينية مذهبية متشددة، وأخرى قومية عنصرية. والطريف أن الجميع يعلن عن حرصه على وحدة سوريا، ولكن من دون أن تكون هناك المساعي المطلوبة من أجل البناء على القواسم المشتركة بين السوريين، وهو الأمر الذي من شأنه المحافظة على وحدة الشعب والوطن.

نحن نعلم جميعاً أن الحدود التي رسمت لسوريا قبل مئة عام كانت بإرادة القوى الدولية التي تمكنت بفعل تفوقها في مختلف الميادين من فرض شروطها، ورعاية مصالحها في منطقتنا عبر تقسيمها إلى دول خاضعة لنفوذها. ولعله من نافل القول أن يُشار هنا إلى أن تلك القوى لم تعط أي أهمية لتطلعات سكان المنطقة، ولم تساعدهم لتأمين امكانيات العيش المشترك بين مختلف المكونات المجتمعية.

وعلى مدى مئة عام، أخفقت النخب السياسية في هذه الكيانات الوليدة من تحويلها إلى أوطان تشعر جميع مواطنيها بالأمان والاطمئنان؛ بل ظلت الصراعات مستمرة بين مختلف أجنحة السلطات التي تعاقبت على دفة الحكم، وغالباً ما كانت تلك الصراعات تحسم بفعل انقلابات عسكرية. وكانت الأيديولوجيات العابرة للحدود هي الأداة التعبوية التي اعتمدتها المجموعات المتصارعة على الحكم، سواء تلك التي كانت في السلطة، أم تلك التي كانت في المعارضة.

مخيمات إدلب: أكثر من نصف الشعب مهجّر

وفي يومنا هذا، لم تعد القوى الدولية المؤثرة على الساحة العالمية هي التي تتدخل في أوضاع هذه الدول فحسب (سوريا والعراق ولبنان على سبيل المثال) وإنما باتت القوى الإقليمية الكبرى هي الأخرى في موقع القادر على التدخل والتأثير المباشر في المفاصل الداخلية لهذه الدول ومجتمعاتها. ويُشار في هذا السياق إلى كل من إيران وتركيا واسرائيل.

إن ما ينقذ السوريين، ويضع حداً لمعاناتهم القاسية المستمرة منذ عقد من الزمن، ويفتح الآفاق أمام الاستقرار والأمان في بلادهم، هو أن تبادر النخب الوطنية السورية في مختلف المجالات من التي تشعر بمسؤوليتها تجاه شعبها ووطنها إلى التواصل والتفاعل خارج نطاق التصنيفات النمطية. وتدخل في حوارات بناءة تبحث عن الحلول لا عن إثارة المشكلات. فالمشكلات التي تعاني منها كثيرة، ولا يمكن حلها إذا ما لجأ كل طرف إلى عقلية المحامين التي تتمحور حول تفنيد حجج الخصم، حتى ولو أدى ذلك إلى التحوير في الحقائق أو تجاهلها.

سوريا بتركيبتها المجتمعية لا تتحمل التعصب الديني أو القومي أو الأيديولوجي. وقد أثبتت التجارب التي كانت، سواء في سوريا نفسها أم في غيرها، أن دول منطقتنا التي تتسم بتعدديتها وتنوعها الديني والمذهبي والقومي، أن كل المحاولات التي استهدفت الربط بين الدولة والهوية القومية أو الدينية أو المذهبية أسفرت عن عدم الاستقرار، وكانت، وما زالت، من أسباب خلق الصراعات العقيمة التي انهكت الطاقات، واستنزفت الموارد، وتسبب في الكوارث التي ما زالت شعوب منطقتنا تدفع ضريتها، وتعاني من تبعاتها المأساوية.

من أهم ما يحتاج إليه السوريون هو التوافق على مبدأ حيادية الدولة التي تحترم سائر الخصوصيات وتعترف بالحقوق المترتبة عليها. دول تطمئن جميع السوريين من دون أي استثناء، وتجعل من سوريا ميداناً للتواصل والتفاعل الحضاريين بين شعوب ودول المنطقة؛ لا ساحة للصراعات والمشاريع التوسعية، وحروب الوكالة.

إمكانيات العيش المشترك بين السوريين هي أقوى بكثير من حسابات بعضهم ممن ارتبطوا بالمشاريع الأجنبية، واستقووا بها على أهل الوطن. ولكن هذه القواسم المشتركة تحتاج إلى التعزيز والترسيخ، وذلك يتم عبر المناهج الدراسية، ووجود الأحزاب الوطنية التي تتبنى برامج وسياسات تركز على السوريين ووطنهم، وتجمع بين سوريين يؤمنون أن خيار الوطن السوري هو خيارهم النهائي. أحزاب لا تبيعهم الأوهام من خلال شعارات عابرة للحدود، وهي الشعارات التي لم تجلب للسوريين سوى الكوارث، وقد استغلتها سلطة الاستبداد والفساد، لتسويغ تسلطها وتجاوزاتها وتحكّمها بمفاصل الدولة والمجتمع السوريين عن طريق الأجهزة القمعية على مدى عقود.

سوريا تمتلك الطاقات الإبداعية، والموارد البشرية والطبيعية ما يمكنها من أن تكون في مصاف الدول المتقدمة لا على الصعيد الإقليمي فحسب، بل على الصعيد العالمي، ولكن ذلك لن يتحقق من دون توافق النخب الوطنية السورية على مشروع وطني سوري طموح، مشروع يرتقي إلى مستوى تطلعات السوريين، ويوقع نهائياً مع عقلية وممارسات الاستبداد والفساد.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

إسلامنا الآسيوي الآخر

منصف الوهايبي

خلصت وأنا أعدّ لهذا المقال، بعد «الحدث الأفغاني الطالباني»، وأقرأ ما تيسّر لي بالفرنسيّة أساسا، ممّا كتب ويكتب عن «الإسلام الآسيوي»؛ إلى أنّنا كثيرا ما نغفل عن «بديهة» وهي أنّ الإسلام بدأ آسيويّا، ولعلّه اليوم يعود آسيويّا. فالغالبية العظمى من المسلمين ليسوا عربا، وإنّما هم آسيويّون. وتضمّ القارة الآن أكثر من 62 في المئة من المسلمين الذين يؤدّون فروضهم الدينيّة بالعربيّة، بدون أن تكون لغة الاستعمال اليومي عندهم. وثمّة أسئلة كثيرة مطروحة بعد «انتصار» حركة طالبان:

أي نمط من الحياة يقوم في ظل نظام طالبان اليوم؟ والحركة لم تقصح بعد عن برنامجها السياسي مفصّلا، وإنّما هي تكتفي بعبارات فضفاضة، مدارها على التعهد بالاحتكام إلى الشريعة حقوقا وواجبات وقواعد ومحظورات. والشريعة نصّ، والنصوص وبخاصّة المجازيّة؛ يمكن أن يجد فيها حتى الشيطان ضالّته. والشيطان كما يقول نيتشه «يلبد في التفاصيل»، وإن كان مواطنه المعماري لودفيغ مياس فان دار روهي (حصل على الجنسيّة الأمريكيّة) يقول في إشارة إلى تمام الأشياء أو كمالها: «إنّما في التفاصيل يستوي الله».

هل سيعيد طالبان إحياء ماضيهم عندما كانوا في السلطة، بين عامي 1996 و1200؟ وكانوا قد حظروا الألعاب والموسيقى والتصوير الفوتوغرافي والتلفزيون. والزموا النساء ارتداء البرقع، وحظروا عليهنّ العمل والدراسة، والسفر والخروج إلى الشارع بدون مرافقة من محرم. كما قاموا بتنفيذ الأحكام في الساحات العامّة (الرجم والشنق وقطع اليد والجلد...).

والأعمق هو كيف يندمج هؤلاء المسلمون في المجتمعات الحديثة، وفي الديمقراطية؟ كيف «يتعايشون» مع الازدهار الاقتصادي والمجتمعي الهائل في البلدان الآسيوية؟ بل لماذا تتعرّض بعض الأقليات المسلمة للاضطهاد في الصين أو الهند أو بورما؟ وهل يجب أن يشعر العالم بالقلق من التهديد الإرهابي في أفغانستان أو الفلبين أو في إندونيسيا؟

لنقل إنّ الإسلام دين آسيوي، شأنه شأن اليهوديّة والمسيحيّة؛ ولكنّ هاتين الديانتين برحتا هذا الفضاء الذي نشأتا به ودرجتا إلى الغرب حيث مركز ثقلهما الجغرافي يمتدّ بين ساحل المحيط الأطلسي لأوروبا وضواحي أمريكا؛ والعالم الجديد كما هو معروف يضمّ يهودا ومسيحيين أكثر من أي مكان آخر.

صحيح أنّ المسلمين توجّهوا غربا في فترة الفتوحات العظمى أو مع العثمانيّين؛ سواء في أوروبا (الأندلس) أو بلاد المغرب وأفريقيا، ولكن من حيث عدد السكّان فإنّ مركز الثقل هو الشرق: شبه القارة الهندية بما يقرب من أربعمائة مليون مسلم (يتوزّعون بالتساوي تقريبا بين باكستان والهند وبنغلاديش)، وشرق آسيا ربما أقل بقليل من ثلاثة مئة مليون (ما يقرب من الثلثين في إندونيسيا، وبضعة عشرات الملايين في الصين، وحوالي خمسة عشر مليونا في ماليزيا، وبضعة ملايين في الفلبين وكذلك في تايلاند وبورما). وهذا العدد هو أكثر من عدد المسلمين في الفضاء الإيراني والتركي والقوقازي والعربي والأفريقي والأوروبي.

ومع ذلك، فقد جرى التهوين من شأن الإسلام الآسيوي فترة طويلة، سواء في مصر (جامعة الأزهر) أو في شبه الجزيرة العربيّة (المؤسّسة الدينيّة في مكّة) لأسباب شتّى لعلّ من أبرزها: المسافة الجغرافيّة وضعف إتقان اللغة العربيّة لغة القرآن، بالرغم من انتشار أبجديّتها؛ بل حتى الشكّ في صحّة العقيدة عند كثير من الآسيويّين. إنّما نستثني قلّة من الباحثين الغربيين عنوا بالإسلام الآسيوي، منذ بدايات القرن الماضي؛ المنتشر في شعوب لها تراث عظيم من المعتقدات والعبادات والشعائر الزرادشتيّة والهلنستيّة والكونفوشيوسيّة والمسيحيّة أيضا. وهذه مسألة لم تحظ من قبل بدراسة وافية، كما كتب هاملتون جب. وهو يذكر في هذا السياق أنّ هذه الديانات القديمة كانت لا تقاسم الإسلام مجموع تصوّراته ورؤاه، أو «الأفكار الإسلاميّة والعربيّة» بعبارته، مثل بعض شعائر الخصب القديمة عند الشعوب الزراعيّة. بل إنّ السير توماس أرنولد، وهو عالم لم يكن يخفي احترامه للإسلام، يذكر أنّ فئات من المسلمين في الهند الغربيّة، من العمّال والبنّائين والجنّائين والقصّابين، يتردّدون على مزارات الآلهة الهنديّة علنا، وقلّما يؤدّون فروضهم الدينيّة، ما عدا الختان. بل يرتدون الملابس التي يرتديها مواطنوهم الهنود من الطبقة الماثلة، والزيّ هناك ذو رمز ديني عقدي. بل منهم من يعتقد في بعض الآلهة الهنديّة مثل «ستفاي» التي تدوّن طالع الطفل، و«ماريماي» [المنيّة]، و«مهاسوبا» [ربّة الحقل]. ويذكر أنّ من المسلمين في البنغال، من يشارك الهندوس في عبادة الشمس، ويقدّم لها قرابين الخمر كما يفعلون. ويلتقي أحيانا هندوس البنغال ومسلموها في مزار واحد، ويقدّمون الدعوات لمعبود واحد؛ وإن تسمّى باسمين مختلفين، فالهندوس يسمّونه «ساتيا نارين»، ومسلمو البنغال يسمّونه الشيخ ساتيا. ولم تهدأ الأخلاط والمنازعات الكلاميّة بين العرب الأصليّين والمهاجرين وتلك الشعوب، إلاّ بعد قرون حيث «تداخلت معتقدات الفريقين ونزعاتهم تداخلا كاملا». وغنيّ عن القول التذكير بأنّ الفتوحات في آسيا الوسطى والهند وأندونيسيا وإفريقيا، أدخلت في الإسلام شعوبا لها موروثاتها الدينيّة والحضاريّة المختلفة حدّ التباين عن تلك التي كانت شائعة في مراكز الحضارة القديمة في آسيا الغربيّة ومصر.

ولكنّ الثورة التي نهض بها الإسلام، وهي الإعلاء من فكرة الله وتنزيهها، وتجريدها من عوالقها الطبيعيّة؛ لم تثمر تماما في بعض هذه البلدان في السموّ بالأفق الديني على مجال الأشياء المنظورة والأرضيّة والذاتيّة.

إذن لعلّ الأقرب إلى الحقّ أنّ طلبان حركة أصولية تبشّر بالعودة إلى ما تعتبره جذور الدين أو حقيقته؛ وهي التي تأخذ بالتفسير الحرفي للنصّ. ويمكن اعتبارهم من هذا الجانب «محافظين غلاة»، أي أنّهم ليسوا على صلتهم الوثيقة بـ«القاعدة» جهاديّين أو «إرهابيّين» بالمعنى الدقيق الحصري للكلمة. وإنّما هم «جماعة قوميّة» هدفها السيطرة على أراضيهم، وليس نشر الدعوة خارج أفغانستان.

وهم من هذا الجانب، صورة أخرى للإسلام الآسيوي؛ فهم يختلفون عن «القاعدة» و«تنظيم الدولة الإسلاميّة»، أو عن «الإسلام الجهادي» الذي تتمثّله مقالات سيّد قطب في أنّ طبيعة الإسلام لا يدركها؛ «إلاّ من يدرك معها حتميّة الانطلاق للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان... من يدرك طبيعة هذا الدين، وطبيعة منهجه لا يتصوّره قابعا داخل حدود إقليميّة لا يحرّكه إلاّ خوف الاعتداء»؛ فـ«الجهاد هو الشأن الدائم لا أكان الحالة العارضة. وهو ضرورة للدعوة سواء أكان الوطن الإسلامي آمنا أم مهدّدا» ولا مسوّغ لذلك في تقديره سوى أنّ المعركة بين المؤمنين (دار الإسلام) والمجتمعات الجاهليّة (دار الحرب بما فيها وطنه مصر) «هي في صميمها معركة عقيدة، وليست شيئا آخر على الإطلاق». وهذه ليست صورة طالبان «الإسلاميّة القوميّة» التي تختلف أيضا عن نمط آخر من الإسلام الآسيوي هو «الإسلام الصوفي» المتسامح «المنتشر» في الهند أو جاوة. وحتى وقت قريب، كان ارتداء الحجاب غير معروف تقريبًا في شرق آسيا، والنساء الجاويات يخرجن بحرّية، ويمارسن جميع المهن، بما في ذلك الأنشطة التجاريّة دون مشاركة الزوج أو تحكّمه فيهنّ. وصحيح أن الكحول والمخدّرات وأشكال الجنس «غير السويّة» لم تكن شائعة في أكثر هذه المناطق من آسيا التي انتشر فيها الإسلام.

لذلك يمكن أن نعتبر الخطاب حول الإسلام الآسيوي غير واضح المعالم، وبعضه قد لا يكون أكثر من طلاء أو مظهر برّاق لإسلام متسامح مثل الإسلام الصوفي؛ فهو «هشّ» بالرغم من أنّ اجتذاب الناس إلى الإسلام كان حتى عهد غير بعيد يتمّ على أيدي أصحاب الطرق الصوفيّة أساسا. بل هو إسلام لا يرى فيه المسلمون الذين يرجّحون الاتّجاه الكلامي العقلي سوى صدى للخرافات أو لنوع من «الإحيائيّة» ذات الجذور الهندوسيّة كما هو الشأن في الهند وسومطرة وجاوة؛ أو الأسطوريّ الذي يفلت بحكم قاعه «الحلمي» الطوباويّ» من سطوة التاريخ، ويمتلك قدرة على أن يبني لنفسه حضورا كلّيًا. أو زمنا خاصًا يندّ عن أيّ ضبط أو قياس. وكأنّ الصراع بين الإسلام الراديكالي والإسلام الصوفي صورة باطنة من صراع بين «الإله الذكر» و«الإله الأمّ»؛ أو صورة من استعارة أبويّة واستعارة أموميّة. والاستعارة بنية تداخل بالمطابقة، تمّحي فيها الحدود والماهيات والفواصل بين الأشياء؛ فلا غرابة أن تحلّ «الأمّ» في «الأب»، وأن يكون هذا تلك؛ وأن تمتزج في الإسلام الآسيوي الصوفي المعتقدات الإسلاميّة، بالمعتقدات التي شاعت في هذه البيئة قبل الإسلام؛ بل بالسحر والشعوذة، وإن تزيّت بلَبوس إسلامي في الظاهر.

لقد قيل الكثير بعد ١١ سبتمبر من أنه يحسن بالغربيّين عدم الخلط بين الإسلام والحركة الإسلامية، والأغلبية الساحقة المتسامحة من المسلمين والأقلّية من الإسلامويّين المتشدّدين أو الجهاديّين على اختلافهم. وفي هذا مقدار من الصواب والخطأ أو سوء التقدير. ومع أن لا أحد يرجم بالغيب، فإنّ مستقبل الإسلام السياسي قد يكون في «الإسلام الآسيوي» المتنوّع.

كاتب من تونس

بريطانيا

جنوب افريقيا

الهند

اليونان

النمسا

المانيا

تركيا

شباب العالم يحتجون على التغير المناخي

بدأ فتيان وفتيات من أنحاء العالم في الخروج إلى الشوارع الجمعة للمطالبة باجراء سريع لوقف التغير المناخي المدمر، في أكبر احتجاج لهم منذ بدء جائحة كورونا.

ويمتد الاحتجاج لخمسة أسابيع قبل قمة الأمم المتحدة للتغير المناخي التي تهدف لاتخاذ إجراء أكبر من جانب زعماء العالم للحد من انبعاث الغازات المسببة لظاهرة الاحتباس الحراري.

وانطلقت المظاهرات في آسيا ومن المزمع القيام باحتجاجات في أكثر من 1500 موقع وفقا لحركة «فرايدايز فور فيوتشر» أو «أيام جمعة من أجل المستقبل».

وحذر تقرير عن العلوم المناخية صدر عن الأمم المتحدة من أن النشاط البشري يتسبب في اختلالات مناخية منذ عقود، لكنه أشار إلى أن اتخاذ إجراء سريع وواسع النطاق يمكن أن يوقف بعض الآثار المدمرة.

أداب وفنون

على خلفية «تاجر البندقية» و«يهودي مالطة»: أسلاف شكسبير ومارلو

عبدالواحد لؤلؤة

أحسب أن اسم شكسبير لا يغيب عن أذهان المهتمين بالآداب الأجنبية. ولكن اسم كريستوفر مارلو قد لا يكون معروفاً لغالبية المتأدّبين. فقد وُلد الأديبان في السنة نفسها، 1564 وكانا من الأسماء اللامعة في نهايات القرن السادس عشر، عصر الملكة اليزابيث الأولى. وإذ تمتَّع شكسبير بحياة سعيدة نسبياً وناجحة بفزارة الإنتاج المسرحي والشعري، حتى قرَّر الارتياح من العمل والعودة إلى مدينته ستراتفورد–أون–أيفون، واشترى لتقاعُده أكبر بيت في المدينة بمبلغ كان يُعد كبيراً جداً في زمانه وهو 60 جنيها، أي ما يدفعه امرؤ هذه الأيام لقاء عشاء لاثنين في مطعم شهير!

بعد أن تقاعد شكسبير عام 1613 توفّي بعد ذلك بثلاث سنوات، أي عام 1616. لكن كريستوفر مارلو قُتل في وسط المدينة في مشاجرة عام 1593 ولم يكمل عامه التاسع والعشرين.

كتب شكسبير 38 مسرحية، ربما كانت اثنتان منها بالاشتراك مع كاتب آخر. وقد تُرجم أغلب هذه المسرحيات إلى عدد من اللغات العالمية ومنها العربية. أما مسرحيات كريستوفر مارلو فقد كانت أربع مسرحيات معروفة للمتخصّصين في الأدب الانكليزي. ولا أعرف إن كان بعضها قد تُرجم إلى العربية، ولكن في عام2013 طلبت مني وزارة الإعلام في الكويت ترجمة مسرحية «مأساة الدكتور فاوستس» وقد صدرت ترجمتي بالعدد 368 تشرين الثاني/نوفمبر 2013.

كتب كريستوفر مارلو مسرحيةً بعنوان «يهودي مالطه» ونشرت عام 1589 ولكنها لم تظهر على المسرح إلاّ بعد وفاة مارلو بأحدى عشرة سنة. تدور المسرحية حول تاجر يهودي في جزيرة مالطه الواقعة تحت سيطرة الأتراك، أي العثمانيين المسلمين، ويحكمها مسيحي من أهل الجزيرة. لكن التاجر اليهودي باراباس يكره ذلك الحاكم لمحض أنه مسيحي. وتدور أحداث المسرحية حول انعكاس الكراهية إلى التاجر اليهودي الجشع بسبب رفضه التبرع بأمواله مثل اليهود الآخرين في الجزيرة الذين اضطروا للتبرع للمساعدة في دفع الجزية المفروضة على الجزيرة من جانب المُسيطر العثماني. وفي هذا غمز لقناة المسلمين. طلب حاكم الجزيرة من جميع التجار اليهود تقديم نصف ممتلكاتهم للمساعدة في دفع الجزية وإلاّ عليهم أن يتحوّلوا إلى المسيحية. لكن باراباس رفض فحُكم عليه بمصادرة جميع أمواله ومصادرة بيته وتحويله إلى دير للرهبان. فأوعز اليهودي الجشع إلى ابنته الوحيدة أبيكيل أن تدّعي أنها انقلبت إلى المسيحية وقرّرت دخول الدير لتكون راهبة. وكان باراباس قد خبّأ أمواله تحت أسّس داره الكبيرة في موضع لا يعرفه سوى ابنته. وعندما دخلت الإبنة المُتَرَهبنة إلى بيتهم/ الدير بدأت بقذف أكياس المال من النافذة إلى أبيها الواقف في الليل تحت النافذة ليتسلم أكياس المال ويذهب ليُخبّئها في مكان آخر. وتستمر المسرحية في أحداث من العنف المتبادل بين الشخصيات. وفي هذه الأثناء أرسل باراباس طعاماً إلى الدير بمناسبة ذكرى دينية، لكن الطعام كان مسموماً مما أدّى إلى موت جميع سُكّان الدير المسيحيين. ولم يتوقف هذا البطل الجشع عن حياكة الأعمال الانتقامية للمسيحيين في الجزيرة ولوّقد المسؤولين الأتراك المسلمين الذين دعاهم إلى مأدبة كبيرة وضع تحتها قدوراً كبيرة من الزيت المغلي، وما لبث أن خسف بالضيوف الأرضية الزائفة فسقطوا جميعا في الزيت المغلي وماتوا شرَّ ميتة، لكن باراباس لقي نفس الميتة في ختام المسرحية.

شكسبير

وفي عام 1596 أي بعد سبع سنوات من نشر «يهودي مالطه» نشر شكسبير مسرحية بعنوان «تاجر البندقية». ولا أدري لماذا اختار المترجم العربي كلمة «البندقية» وهي تحريف التسمية الألمانية «بنيدك» للاسم الإيطالي الأصلي «فينيسيا». ومثل مسرحية مارلو تعبّر مسرحية شكسبير عن كراهية اليهود في بريطانيا في القرن السادس عشر، وهو عصر الملكة اليزابيث الأولى. ولكن الفرق بين المسرحيتين كبير من حيث معالجة كراهية اليهود. فإذ تحفل مسرحية مارلو بالعُنف والحِيَل والرغبة الشرسة بالإيذاء، مع غياب موضوع الحب، وهو الموضوع الأثير في المسرحيات، نجد مسرحية شكسبير تدور في إطار الحب والصداقة والرغبة في مساعدة من به حاجة للمساعدة. بطل مسرحية شكسبير هو أنتونيو التاجر الثري صاحب السفن التي تحمل البضائع من الشرق، والذي يساعد من يستدين منه مالاً ولا يطلب ما يطلبه المرابي اليهودي الجشع شايلوك مثال القسوة وكراهية المسيحيين من حوله. وفي مسرحية شكسبير حُبٌّ وحِيَل المُحبّين التي تؤدي إلى سعادة الجميع. ومثل باراباس «يهودي مالطه» نجد شايلوك يهودي البندقية له إبنة وحيدة يستدعي تصرفها إعجابنا، ونفرح لنجاحها ومكافأتها بزوج يُحبّها، وأموال تستخلصها الدولة من أموال أبيها لتسعد البنت بها في حياتها الزوجية.

لم تكن كراهية اليهود في بريطانيا القرن السادس عشر وليدة ذلك القرن نفسه، بل كان لها تاريخ طويل يمتد في عدد من البلاد الأوروبية وبأشكال مختلفة. لكن تلك الكراهية كانت ذات طابع ديني في الأساس، يفيد بأن اليهود هم الذين قتلوا المسيح، لذلك يجب الاقتصاص منهم بأي طريقة ممكنة. ثم تطورت تلك الكراهية لتتخذ طابعاً سياسياً، أو أن السياسة استغلّت مسألة الكراهية الدينية لبلوغ مآرب أخرى. والثابت تاريخياً أن الحروب الصليبية اتخذت من كراهية اليهود قتلة المسيح وسيلةً للتوسع والسيطرة على بلد المسيحية وما جاورها من البلاد الإسلامية. وبيدأهذا في القرن الحادي عشر، ونجد أصداء واسعة له في الحملة الصليبية التي قادها البابا إنوسنت الثالث البري»، من باريس عام 1209 نزولاً إلى الجنوب الفرنسي للقضاء على حضارة بروفونس الوثنية، والسبب الحقيقي نتيجة تلك الحملة هروب شعراء التروبادور إلى صقليا والجنوب الإيطالي حيث ازدهر شعر الحب الدنيوي وامتدّ أثره إلى أوروبا جميعا وصولاً إلى شكسبير ومن تبعه في كتابة شعر الحب.

وبالعودة إلى التاريخ القديم نجد أول مظهر لكراهية اليهود يتمثل في ما يدعى السبي البابلي، عندما قام ملوك آشور وبابل عام 721 قبل الميلاد و 597 و 586ق.م. بغزو بلاد الشام ومنها فلسطين التاريخية. وفي كل مرة كان اليهود يؤخذون أسرى إلى خارج فلسطين لتخليص أهل البلاد منهم. ونعرف أن فلسطين كان فيها أقوام من الفينيقيين والمصريين والعرب والأحباش، واليهود، فلماذا اختار القائد الآشوري–البابلي أن يأخذ أسراه من اليهود دون غيرهم من الأقوام؟ فقد كان الرومان أول من أباد اليهود في فلسطين عام 135 للميلاد. ويخبرنا التاريخ عن اضطهاد اليهود في عدد من البلاد الأوروبية في القرون الأولى للمسيحية. وأشهر الأمثلة على ذلك مذبحة اليهود في رايلاند بألمانيا عام 1090م، ثم طرد جميع اليهود من بريطانيا عام 1290. وفي عام 1348 تم في ستراسبورغ جمع 900 يهودي وحرقهم جميعاً. وقبل ذلك في بريطانيا عام 1190 تم جمع اليهود في منطقة يورك وحوصروا في قلعة كبيرة حيث تم حرقهم جميعاً وهم أحياء. وفي عصر الإصلاح الديني بقيادة لوثر وصفوا بأنهم «الجنس المرفوض الملعون». والأمثلة على ذلك كثيرة حتى نصل إلى مفهوم «يودنهاس» الألماني الذي يفيد «كراهية اليهود» الذي تطوّر لاحقاً إلى نزولاً إلى الجنوب الفرنسي للقضاء على حضارة بروفونس الوثنية، والسبب الحقيقي نتيجة تلك الحملة هروب شعراء التروبادور إلى صقليا والجنوب الإيطالي حيث ازدهر شعر الحب الدنيوي وامتدّ أثره إلى أوروبا جميعا وصولاً إلى شكسبير ومن تبعه في كتابة شعر الحب.

وبالعودة إلى التاريخ القديم نجد أول مظهر لكراهية اليهود يتمثل في ما يدعى السبي البابلي، عندما قام ملوك آشور وبابل عام 721 قبل الميلاد و 597 و 586ق.م. بغزو بلاد الشام ومنها فلسطين التاريخية. وفي كل مرة كان اليهود يؤخذون أسرى إلى خارج فلسطين لتخليص أهل البلاد منهم. ونعرف أن فلسطين كان فيها أقوام من الفينيقيين والمصريين والعرب والأحباش، واليهود، فلماذا اختار القائد الآشوري–البابلي أن يأخذ أسراه من اليهود دون غيرهم من الأقوام؟ فقد كان الرومان أول من أباد اليهود في فلسطين عام 135 للميلاد. ويخبرنا التاريخ عن اضطهاد اليهود في عدد من البلاد الأوروبية وبأشكال مختلفة. لكن تلك الكراهية كانت ذات طابع ديني في الأساس،

كريستوفر مارلو

مسرح المُضطَهَدين: انزياح مفهوم العلاقة الأرسطية بين الممثل والمتلقي

مروان ياسين الدليمي

في تجربة العرض المسرحي تنزاح لغة الحوار بين طرفي العلاقة، الممثل والمتلقي إلى منطقة حيوية من الاشتغال الفني، لطالما تاق المسرحيون الاقتراب صوب حوافها قاصدين الخروج من دراماتورجيا المسرح الأرسطي الذي موضع هذه العلاقة في بنية معمارية ثابتة انتهت فيها إلى التمترس داخل منطقتين يفصل بينهما جدار وهمي، لكن غالبية تلك التجارب لم تصل في ثمار نتائجها إلى ما توصل إليه المسرحي البرازيلي اوغستو بوال (1931– 2009) من تأطير تقني جديد، آخذا بها إلى ناحية إنتاج منظومة مفاهيمية جديدة ارتفعت بالعلاقة ما بين الممثل والمتلقي إلى لحظة خلق وابتكار، تهشمت فيها المفردات المتداولة الخارجة من المنهجية الأرسطية.

عام 1971 ظهر كتاب بعنوان «مسرح المقهورين» للمخرج بوال وجاء الإصدار الجديد بجملة أفكار ورؤى فنية، كانت حصيلة تجارب ذاتية خاضها في البرازيل، استمرت طيلة أكثر من عقدين من الزمان في المسرح البرازيلي، وبهذا السياق يشير الموقع الإلكتروني للهيئة الدولية للمسرح، المنظمة الدولية للفنون الادائية إلى ان ما بين عامي 1956 و1971 كان أوغستو بوال مديرا لمسرح تيترو أرينا في ساو باولو، حيث أنشأت مسرحياته ثورة جمالية كاستجابة للنموذج المستورد من أوروبا والذي كان لا يزال سائداً في البرازيل في ذلك الوقت. وكان الهدف الرئيسي من مسرح أرينا تطوير المسرح الشعبي. وقد تألفت المجموعة في البداية من مسرحيات جديدة كتبها مؤلفون برازيليون شباب وقد أخرج بوال منها أكثر من اثني عشر مسرحية، ولكن سرعان ما توسع المسرح ليعرض الكلاسيكيات العالمية الكبرى لموليير وغوغول وإيل روزانت وماكيافيلي ولوبي دي فيغا وبريخت وفي نهاية المطاف، توصل باول إلى اكتشاف أشكال جديدة مثل مسرح المجلة التي يظهر فيها الممثل/ المتفرج، والذي أنتج بالتالي مسرح المقهورين.

لاشك في ان المسرح في أمريكا اللاتينية يستدعي أنماطا وآليات من الخطاب المسرحي تبتعد به عمّا تنتجه المسارح الحديثة في أوروبا وأمريكا الشمالية خاصة في ما يتعلق بعروضها التي تتوغل في مناطق بعيدة عن الاستراتيجيات الإخراجية المنضوية تحت الأطر المرجعية التقليدية، نظرا لطبيعة الصراعات السياسية والطبقية المحتدمة التي عادة ما تشهدها أغلب بلدان أمريكا اللاتينة، والمراقب لأوضاعها، سيجد الكثير مما تعانيه هذه البلدان من مشكلات، تلتقي مع ما تكابده المجتمعات في آسيا وأفريقيا في أوجه عديدة وفي مقدمتها مجتمعاتنا العربية، مثل قضايا الدكتاتورية وقمع الحريات وغياب الديمقراطية والسجون السرية لمعتقلي الرأي إضافة إلى شيوع البطالة والفقر والتباين الطبقي الحاد والفساد والمال السياسي، وبناء على ذلك وجد المسرحيون في البرازيل مثل بقية بلدان أمريكا اللاتينة أنفسهم أمام أسئلة لم تكن مطروحة في فضاء المسرح الغربي، لذا حاولوا مثل غيرهم من المسرحيين في آسيا وأفريقيا العمل بناء على ما يرسله الواقع المحلي من شغرات.

من هنا كانت استجابة اوغستو بوال في المسرح الذي بدأ ينشده، ونظرا لان الدوافع إلى تغيير بنية العرض وشكله كان منطلقها محفزات واقعية أعاد طرح إشكالية العلاقة بين العرض والجمهور، في محاولة منه لتفكيك التقاطع القائم بينهما. فالمسألة من وجهة نظره إضافة إلى انها تتعلق بتحديد إطار جديد لوظيفة الفنان المسرحي في الحياة، فإنها بالنسبة له إعادة تشكيل هوية من يقف على خشبة المسرح في شقيّها الاجتماعي والتقني، ومن هذه المعادلة التي مثّلت خلاصة تجربته المسرحية حاول التأكيد على ضرورة إعادة النظر في الوظيفة التقليدية التي ينهض بها كلٌ من الممثل والمتلقي في العرض المسرحي، ساعيا في بحثه إلى إلغاء أي حدود تفصل بينهما، فمن الممكن من وجهة نظره ان يصبح المتلقي ممثلا مشاركا في العرض ولديه من الخيارات ما تمنحه فرصة الصعود على خشبة المسرح والتعبير عن أفكاره وقناعاته، مبتعدا عن نمطية العلاقة التي أطّرها تاريخ المسرح.

يمكن اعتبار مسرح «المضطهدين» واحدا من أبرز المتغيرات في مسرح ما بعد الحداثة، لانه تمكن من ان يُحدث قطيعة مفاهيمية في رؤية العناصر الرئيسة التي يتشكل منها العرض المسرحي، متجاوزا بذلك إرثا فنيا كرسه تاريخ المسرح منذ ان عرفه اليونان قبل الميلاد بعشرات السنين، ومضيفا بذلك صياغة جديدة لبنية العرض من حيث العلاقة مع المتلقي إلى التجارب الطليعية التي سبق ان أنتجتها عروض الحداثة في النصف الأول من القرن العشرين.

المتلقي الممثل

يعد الممثل أبرز العلامات التي اتكأ عليها بوال في إعادة تشكيل التجربة المسرحية، وعندما نذكر كلمة الممثل فإننا نعني المتلقي أيضا، إذ لم يعد ممكنا الفصل بينهما لان العرض المسرحي لن يتحقق إذا لم تحدث عملية مشاركة فعلية في إنتاج محتوى العرض من قبلهما، خاصة وان العلاقة الجديدة بينهما قد نسفت المعايير التقليدية التي كانت مفروضة عليهما، والتي تقتضي آلياتها ان يتواجد كل واحد منهما في إطار مقنن من الحضور والفاعلية، يتيح الحركة لكل واحد منهما في مساحة منغلقة على نفسها ولا تسمح بنية هذه العلاقة بملامسة حدود أي منهما إلا باستثناءات مرسومة بخطوط حادة، وما طرحه بوال في مسرحه من تقنيات في ترسيم جديد لهذه العلاقة تبدو بغاية الجرأة والثورية إذا ما قورنت بتجارب طليعية اشتغلت على الموضوع بما في ذلك ما قدمه برتولد بريخت في مسرحه.

الممثل/المتلقي في مسرح المضطهدين يتحمل المسؤولية الكبرى في صنع الشكل النهائي للعرض، كما تشير إلى ذلك أفكار بوال حيث أراد له أن يلعب الدور الرئيسي في قلب المعادلة وإحداث التغيير في العلاقة ما بين الجمهور والخشبة، فأمسى الممثل هنا مُحفزاً على التفكير وإيقاظ هاجس التحاور عند المتلقي، عبر عدد من الآليات الفنية التي وفرها بقصد إحداث مشاركة فاعلة بما سيتمخض عنه العرض من نتائج، ولعل أبرزها تلك الانعطافة الحادة التي أحدثها في شكل العلاقة بين المتلقي والعرض، وذلك بدعوة المتلقي من قبل الممثل الجوكر الذي يقود التجربة بكليتها إلى الصعود والوقوف على خشبة المسرح، ليتخلى بذلك عن دوره كمتلقي وتقمص شخصية الممثل مانحا إياه فرصة إعادة تركيب المشهد المسرحي وفق الرؤية التي يرتأيها للمشكلة المطروحة.

تجربة عراقية

في العراق لم نشاهد تجربة مسرحية تحاول ان تستدعي نموذج مسرح المضطهدين، الذي دعا إليه بوال، حتى عام 2011 عندما تم الإعلان عن تأسيس فرقة مسرح «المنبر الحر» في قضاء قره قوش التابع لمدينة الموصل، حيث قدمت الفرقة عرضها الأول آنذاك بعنوان «ياسلام يابأبو سلام» تأليف وإخراج عامر ايوب، وبهذا العرض حاول أعضاء الفرقة ان يتمثّلوا بتجربتهم المتواضعة المفاهيم الفنية التي جاء بها بوال في دعوته لمسرح المضطهدين ولأول مرة أتيحت لنا الفرصة في ان نتلمس دور الممثل «الجوكر» الذي يشكل عنصرا أساسياً في قيادة هذه التجربة المسرحية وفي إيقاظ نمط جديد من العلاقة ما بين الجمهور المسرحي والممثلين. فالجوكر في مسرح المضطهدين يلعب أدواراً متعددة تتوزع ما بين الممثل والمدرب والمُحاور والمُسير للعرض. وفي عام 2012 قدمت الفرقة عرضها الثاني الموسوم «سَجِّلها خوش فكرة» تأليف وإخراج عامر ايوب ايضا، وبعد الانتهاء من العرض تقدم الجوكر إلى الجمهور مُفتتحا حوارا متبادلا بينهما تمحور حول الانطباعات التي كونها عن العرض ورؤيته لطبيعة المعالجة التي طُرحت مُفسحا المجال لمن يرغب للصعود على خشبة المسرح وإعادة تمثيل بعض المشاهد الأساسية وفقاً لرؤيته ومعالجته للموضوع المطروح وهناك عرض آخر بعنوان «ورطة» تم تقديمه وفق مفهوم مسرح المضطهدين في مدينة الناصرية جنوب العراق والعرض كان مُعدًا عن نص مسرحية «الفيل يامك الزمان» للكاتب السوري سعد الله ونوس.

بين بريخت وبوال

لاشك في ان هناك اشكالا مسرحية أخرى سبقت بوال في سعيها إلى تفعيل دور المتلقي وتغيير أيقونية حضوره، وإخراجه من سلبية حالة التلقي التي توقط فيه مشاعر الخوف والشفقة والتي كرسها المسرح الأرسطي، ولعل أكثر تلك الأشكال سطوعاً تجربة «المسرح الملحمي» الذي نظّر له الكاتب والمخرج المسرحي الالماني برتولد برخت (1898 – 1956) عندما منح الممثل المسرحي فرصة ان يتخلى عن حالة الاندماج العاطفي التام مع الشخصية التي يتقمصها وليتبادل «الممثل والشخصية» التناوب على الظهور والاختفاء من أجل كسر حاجز الوهم، أو «الجدار الرابع» الذي يفصل بين العرض والمتلقين الجالسين في الصالة.

إن أفكار بوال المسرحية أحدثت تغييرا في موجّهات العرض لناحية ترسيخ سلطة الممثل والمتلقي، كانت تنهل منطلقاتها من الفكر الماركسي، كما هو الحال لدى بريخت من بعد ان انتعش تأثير هذا الفكر بشكل كبير في النصف الثاني من القرن العشرين.

من غير الممكن تجاهل المتغيرات التي شهدها العالم الغربي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، على مستوى الانتعاش الاقتصادي والخدمات الاجتماعية والصحية التي باتت تقدمها الدول والحكومات، لانها كانت سببا رئيسا في ان يتراجع المنهج الأرسطي في العرض المسرحي إلى الخلف أمام الأشكال المسرحية التي تتقاطع معه، ولم تعُد بنية العرض التقليدية تملك ذاك البريق الذي طالما لازمها حتى نهاية النصف الثاني من القرن العشرين، لكن العروض ذات البنية الأرسطية لم يفقر بريقها في أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا، لان شعوبها ما زالت ترزح تحت ثقل أوضاع اقتصادية واجتماعية قاسية، رغم تحررها من القوى الاستعمارية التقليدية منذ منتصف خمسينيات القرن العشرين وبقيت أسيرة لسياسات متخلفة لم تستثمر قدرات الإنسان ولم تنصفه في حريته ولقمة عيشه.

هذه البيئة الاجتماعية وفرت ظرفا مناسبا لانتعاش أشكال مسرحية ثورية تتمرد على المعادلة الأرسطية في بناء العرض المسرحي للخروج به إلى فضاء فني يعيد صياغة العلاقة بين الممثل والمتلقي أثناء العرض لا يصبح فيه الاثنان منعزلان عن بعضهما، كما أخرجت هذه الأشكال المسرحية ومنها «مسرح المضطهدين» المتلقي من دائرة الصمت التي عادة ما يركن إليها أثناء عملية التلقي، من غير ان يكون له دور أو رأي بما يجري على الخشبة وبات على الضد من ذلك عنصرا مشاركا في صناعة العرض.

تحقيقات

سوريا بلد غير آمن لعودة اللاجئين والنظام يدفع للهجرة

حسام محمد

تشهد غالبية المحافظات السورية الخاضعة لسيطرة النظام موجة هجرة واسعة النطاق، وإقبالا غير مسبوق على مراكز الهجرة والجوازات لاستخراج جواز سفر ومغادرة البلاد بغض النظر عن الوجهة، فالهدف هو الهروب من الواقع الاقتصادي المتردي والذي يعجز رئيس النظام بشار وحكومته عن تحقيق أي تقدم فيه، وسط انتشار للبطالة والفلتان الأمني، أما حديث وسائل الإعلام الرسمية والرديفة للأسد عن الانتصار، فهو لا يساوي لدى غالبية سكان تلك المناطق أسطوانة غاز يعجزون عن تأمينها، ورغيف خبز فاسد وكهرباء غير موجودة إلا بزيارات خاطفة، ومرتبات شهرية لا تغطي سوى تكاليف أسبوع واحد من الشهر.

كل تلك الأسباب وغيرها، دفعت آلاف السوريين للانتقال من طوابير الخبز والمحروقات إلى تشكيل طابور أمام مباني الهجرة والجوازات في المحافظات السورية بهدف الحصول على جواز سفر ينقذهم من انتصار الأسد المزعوم، إلا أن رغباتهم اصطدمت مجددًا بعجز النظام عن تأمين أو طباعة جوازات سفر جديدة، مما جعل عشرات الآلاف منهم ينتظر لأسابيع طويلة من دون الحصول على جواز سفر.

الهجرة من المحافظات الخاضعة لسيطرة النظام، لا تشمل فقط عامة الشعب، بل تربع التجار والصناعيون على رأس تلك القائمة، في حين أفاد مدير الهجرة والجوازات في محافظة حلب، شمالي سوريا، المقدم ناجي خليل النمر أن 19 ألف شخص هاجروا من مدينة حلب إلى محافظة أربيل العراقية ومصر خلال 60 يوماً فقط.

في حين وصف الفنان السوري الموالي للنظام السوري فراس إبراهيم اكتظاظ مباني الهجرة والجوازات بخلية النحل، وقال عبر حسابه في مواقع التواصل الاجتماعي: «محاولة محمومة وغير مسبوقة لقطاع واسع من شباب سوريا للسفر والهجرة خارج البلد، شيء محزن أن يتم تفريغ البلد بهذا الشكل غير المسبوق من شبابه وطاقاته بسبب ضيق العيش وفقدان الأمل».

وأضاف، «نعم سوريا خسرت كثيراً خلال السنوات العشر الأخيرة، لكن الخسارة الأكبر التي لا يمكن تعويضها هي الخسارة البشرية بين شهيد ومصاب، ولاجئ، وهارب ومهجّر. شيء محزن ومؤلم فعلاً».

أما فارس الشهابي، وهو مسؤول في النظام ويشغل منصب رئيس اتحاد غرف الصناعة السورية، فقال: «من يرفض الاعتراف أننا أمام كارثة هجرة جديدة للعقول والأموال أخطر بكثير مما شهدناه عام 2012 هو شخص منفصل عن الواقع! والسؤال هو أين هي الإجراءات التصحيحية الحاسمة في الملفات الاقتصادية والمعيشية والتي تعيد الأمل وترمم الثقة وتحد من هذه الهجرة؟».

فيما أعلن وزير الداخلية في حكومة النظام، محمد الرحمون، أن إصدار جوازات السفر المتراكمة سينتهي قبل نهاية أيلول/سبتمبر الحالي.

وقال الرحمون، خلال جولة تفقدية أجراها على فرع الهجرة والجوازات في دمشق، إن التأخير في منح وتجديد جوازات السفر يعود إلى أسباب فنية خارجة عن إرادة الوزارة، بحسب ما نقلته صحيفة «الوطن» المقربة من النظام.

يذكر أن إحصائيات دولية، أشارت إلى عدد اللاجئين السوريين حول العالم قد بلغ 6 ملايين و600 ألف لاجئ في عام 2019 وهي أرقام جعلت من اللاجئين الأغلبية العظمى من لاجئي العالم وفق المفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة، وذلك بعد تصدر سوريا لقائمة الدول المصدرة للاجئين.

تصاعد القتال

أوضح التقرير الرابع والعشرون للجنة الأمم المتحدة لتقصي الحقائق في سوريا، الصادر الثلاثاء الماضي، أن تصاعد القتال والعودة إلى العنف مدعاة للقلق، مؤكداً أن البلاد غير صالحة لعودة اللاجئين الآمنة والكريمة.

كما قال رئيس اللجنة، باولو بينيرو، في مؤتمر صحافي في جنيف، مضيفا أن «الحرب على المدنيين السوريين مستمرة، ومن الصعب عليهم إيجاد الأمن أو الملاذ الآمن في هذا البلد الذي مزقته الحرب».

ومع دخول الرئيس الأسد فترة ولايته الرابعة – حيث يسيطر على حوالي 70 في المئة من الأراضي و40 في المئة من سكان ما قبل الحرب – يبدو أنه لا توجد تحركات لتوحيد البلاد أو السعي لتحقيق المصالحة.

بل على العكس تماما، تتواصل بلا هوادة حوادث الاعتقال الانفرادي من قبل القوات الحكومية. واصلت اللجنة توثيق ليس فقط التعذيب والعنف الجنسي أثناء الاحتجاز، ولكن أيضا حالات الوفاة أثناء الاحتجاز والاختفاء القسري.

علاوة على ذلك، خلال الفترة المشمولة بالتقرير، شهد الاقتصاد السوري تدهورا سريعا، مما أدى إلى ارتفاع أسعار الخبز وزيادة ملحوظة في انعدام الأمن الغذائي بنسبة تزيد عن 50 في المئة مقارنة بالعام الماضي.

اعتقال وابتزاز

مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان فضل عبد الغني، فصل خلال تصريحات خاصة بـ «القدس العربي» أهم المخاطر التي يعاني منها أي لاجئ عند عودته إلى سوريا، فقال: «أبرزها عمليات الاعتقال التعسفي التي تنفذها قوات النظام بحق اللاجئين العائدين، والتي غالبًا تتحول إلى عمليات اختفاء قسري».

ولفت إلى أن النظام يعتبر أي لاجئ مبدئيًا هو جهة معادية له حتى يثبت العكس، خاصة إذا كان اللاجئ ينحدر من منطقة خرجت عن سيطرة جيش الأسد أو تلك التي شاركت بالاحتجاجات السلمية في سنوات سابقة، وهو ما يجعل النظام يميز بين اللاجئين السوريين وفق المنطقة التي ينحدرون منها.

وغالبًا يتم الاعتقال ومن ثم التعذيب فالاختفاء القسري، إضافة إلى تعرضهم لحالات الابتزاز المالي، والمبالغ تصل أحيانا إلى 25 ألف دولار أمريكي، علاوة عن عمليات الاعتداءات الجنسية.

كما تعرض اللاجئ السوري إلى سيل من المراسيم التي أصدرها بشار الأسد والتي تهدف إلى السيطرة على أملاك الذين هجرهم جيش النظام قسرًا، كالمرسوم 63 والمرسوم 66 والقانون 10.

اللجوء حق

وأشار فضل عبد الغني، إلى القرار الصادر عن لجنة التحقيق الدولية باعتبار كل سوريا منطقة غير آمنة وليس فقط مناطق سيطرة النظام الذي يُصنف كأكثر جهة مرتكبة للانتهاكات في البلاد.

منوهًا إلى أن القرار الصادر عن اللجنة الأممية يشير بكل وضوح إلى أحقية السوري في الحصول على صفة اللجوء، وليس فقط حصوله على إقامة مؤقتة أو دائمة، وكذلك تسهيل عبور السوريين بين البلدان حتى الوصول إلى دول أكثر أمنا، إضافة إلى ذلك فقد أوصت اللجنة الأممية بضرورة عدم إعادة اللاجئين السوريين إلى سوريا فهو في موضع الخطر على حياته.

مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، أكد وجود موجة هجرة جديدة من مناطق سيطرة النظام، وخاصة من حلب ودمشق وحماة ومحافظات أخرى، مشيرًا إلى سطو أجهزة الأسد الأمنية على أملاك وأموال التجار الذين لم يقفوا بوجه النظام بشكل واضح، مما أدى إلى وجود حالة من عدم الأمان الاقتصادي وهو ما دفع «الطبقة الرمادية أو الصامتة» من الهجرة خارج البلاد بعد دخولها دائرة التهديد.

لعودة اللاجئ بشكل آمن وحرية، يجب ايقاف الانتهاكات، والأخيرة مرتبطة بشكل مباشر بالنظام، وهذه الانتهاكات لا يمكن أن تتوقف طالما يتواجد النظام وأجهزته القمعية، وأي تغيير محدود بأجهزة النظام لا يفي بالغرض مطلقًا، وحتى القوى الأخرى المتهمة بارتكاب انتهاكات، وعودة اللاجئين السوريين

مرهونة بالحل السياسي، ومن دون ذلك ستبقى الأوضاع على ما هي عليه اليوم.

جرائم تطهير

من جرائم النظام بحق الشعب، وفق الباحث عبد الرحمن عبارة، هي جريمة التطهير على أساس ديني وعرقي ومناطقي، والبداية كانت في تهجير أهالي حي بابا عمرو في مدينة حمص، مرورا بتهجير وتدمير الغوطتين بريف دمشق، والكثير من المناطق ذات الغالبية السنية العربية، وليس آخر تلك الجرائم التضيق على من بقي في مناطق النظام حتى يضطروا للهجرة، والضغط عليهم من خلال رفع الأسعار وندرة الخدمات، ناهيك عن الملاحقات الأمنية التي لم تتوقف طوال السنوات العشر الأخيرة.

وقال عبّارة لـ «القدس العربي»: «النظام وعلى لسان رئيسه بشار الأسد لا يخجل من التصريح بتلك الجرائم، تحت عنوان: الشعب المتجانس، والنتيجة تهجير ملايين السوريين، وخصوصا المسلمين العرب، وإفراغ مناطقهم لتحل محلهم عوائل ومناصرو عناصر الميليشيات الإيرانية والعراقية والأفغانية الشيعية».

معتبرًا أن سوريا تتعرض اليوم لأخطر عملية تطهير ديني وعرقي ومناطقي، بأيدٍ إيرانية ومساعدة روسية، وتحت مسمع ومرأى الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي.

فوز الأسد كارثة

رغبة السوريين بالهجرة موجودة بشكل كبير قبل إعلان بشار الأسد عن فوزه بالانتخابات الرئاسية الأخيرة، ودوافع الهجرة مردها إلى الظروف الصعبة التي فرضتها الحرب وتسلط النظام، ولكنها ازدادت بالفعل بعد سيطرة الأسد على المناطق من دون أي تحسن اقتصادي، على العكس، ساءت الأوضاع الاقتصادية بشكل كبير وسط تسلط النظام وأجهزته الفاسدة والتي ازداد فرضها للإتاوات على المواطنين والشركات بطرق شتى في الوقت الذي تزداد الأوضاع سوءاً.

مع فوز الأسد، لم يعد هناك وفق محمد سالم، باحث في مركز الحوار السوري، حتى مجرد ضوء في نهاية النفق لمن كان يصابر ويتأمل نهاية الكابوس، وأدرك الكثيرون أن تحسن الأوضاع في ظل النظام الحالي مجرد وهم باعه النظام للناس طوال سنوات، ومع فوز الأسد، تبخر أي أمل في أي تغيير.

كما استبعد وجود أي أسباب سياسية معينة للهجرة، مشيرًا إلى أن الأسباب الاقتصادية هي الأساس، لكن إيران مثلاً تدفع عموماً للتغيير الديموغرافي في سوريا وقد تسهل مثل هذه العمليات.

ويدل ذلك على درجة البؤس الكبيرة التي وصل إليها الحال في مناطق النظام، بل وسوريا عموماً، يأتي هذا للمفارقة، في الوقت الذي تتحدث فيه بعض الجهات أو الحكومات في البلدان التي استضافت السوريين عن إمكانية عودتهم لسوريا.

الدلالة الأهم في كل ما يحدث، أنه ما لم يحدث تغيير حقيقي في البلد نحو انتقال سياسي ديمقراطي يكفل حرية المواطنين وعودة آمنة للسوريين اللاجئين، فإنه ليس فقط لا يمكن عودة اللاجئين، بل سوف تتجدد أزمات اللجوء من خلال موجات هجرات ولجوء جديدة ومن مناطق النظام خاصة.

الأسد غدر بمواليه

حالة اليائس التي تسيطر على السوريين وفق السياسي درويش خليفة، ما بعد الانتخابات الرئاسية لا مثيل لها، فكل وعود بشار الأسد لأنصاره ذهبت أدراج الرياح ولم ينفذ منها شيء، فلم تتم معالجة الخدمات والتنمية ولا توفير الطحين والوقود للمخابز، وبقيت الرواتب على حالها، لا تتناسب مع حالة الإنفاق والتضخم التي تشهدها سوريا منذ لحظة إعلان الأسد حربه على الشعب.

مشيرًا إلى مغادرة 19 ألف سوري يوميا من مطار دمشق، وجهة معظمهم إلى مصر، ففي البداية، انتظر مناصري النظام وعوده بدحر الإرهاب، أي قتل المناهضين لحكمه، ليعود الأمن ويستتب في البلاد وتعود الحياة لطبيعتها، ولكن كعادته لم يلتزم الأسد بوعوده.

والأكثر تأكيداً أن السوريين في مناطق سيطرة الأسد من غير مناطق الساحل السوري حيث توجد حاضنته الشعبية، ظلوا في منازلهم خشية من تعفيشها (إفراغها من محتوياتها) المصطلح الدارج منذ أن قام الأسد بتدمير المدن والمناطق ومنح شبيحته بيوتاً للمعارضين أو مهجرين.

معتقدا أن نتيجة عجز حكومة النظام على إدارة مناطقها، فإنها لن تقف عائقا أمام هجرة السوريين بغض النظر عن الوجهة، في الوقت الذي تطالب فيه دول جوار سوريا من إعادة السوريين اللاجئين إلى بلدهم.

تضييق جديد

اشترطت وزارة العدل في حكومة النظام السوري، وجود «موافقة أمنية» للسماح بإصدار الوكالات القانونية، مرجعة ذلك إلى عدم استغلال الوكلاء في حالة الغائب والمفقود. وقالت الوزارة، إن إصدار وكالات عن الغائب أو المفقود تزايد بشكل كبير في الآونة الأخيرة بسبب الأحداث التي حصلت في سوريا خلال السنوات العشر الماضية، ما أحدث إشكالات وحالات استغلال من قبل الوكلاء، مؤكدة أن «الموافقة الأمنية» باتت شرطاً لتنظيم الوكالات القانونية، بموجب التعميم رقم «30».

وأشارت إلى أن العديد من الوكالات صدرت سابقاً وتبين فيما بعد أن الشخص المدعى بغيابه أو فقدانه، يعتبر إما ميتاً أو ملاحقاً بجرائم خطيرة، حيث يتم استغلال غيابه والتصرف بأمواله بشكل يضر بمصالحه، وفق قولها.

ميديا

وفاة المشير طنطاوي تُعيد الجدل في مصر حول ثورة يناير وما بعدها

لندن ـ «القدس العربي»:

أشعلت الوفاة المفاجئة للمشير محمد حسين طنطاوي، وهو القائد العام السابق للقوات المسلحة المصرية ووزير الدفاع سابقاً، أشعلت موجة جديدة من الجدل في مصر حول ثورة يناير 2011 وما تلاها من أحداث كبيرة، خاصة الهجمات التي استهدفت المتظاهرين، فيما تزايد الجدل في أعقاب كلمة الرئيس عبد الفتاح السيسي التي قال فيها إن «طنطاوي بريء من كل الدماء التي سُفكت ولا يتحمل مسؤولية شيء منها».

وفارق المشير طنطاوي الحياة الأسبوع الماضي، وتحديداً يوم الثلاثاء 21 أيلول/سبتمبر 2021 عن عُمر ناهز 85 عاما، فيما أعلنت الحكومة المصرية الحداد الرسمي لثلاثة أيام، وقررت تسمية قاعدة «الهايكستب» العسكرية باسمه.

وقال السيسي تعقيباً على وفاة الجنرال إن «طنطاوي كان سببا حقيقيا في حماية مصر من السقوط في مرحلة كانت كل المؤشرات فيها ستؤدي إلى تولي فصيل معين الحكم بالبلاد» في إشارة واضحة إلى جماعة الإخوان المسلمين وإشارة إلى أن الرجل لعب دوراً مهماً في الإطاحة بحكم الجماعة في مصر.

وقال الرئيس السيسي حول الراحل طنطاوي إن «هذا الرجل بريء من أي دم سال في أحداث محمد محمود، وستاد بورسعيد، وماسبيرو، والمجمع، وأي حاجة من تآمر لإسقاط الدولة». وأكمل: «والله العظيم المشير طنطاوي بريء من أي دماء شهدتها مصر خلال فترة المجلس العسكري.. بريء منها، وكل من كان موجودا من المسؤولين بريئين منها بشكل مباشر أو غير مباشر».

وسرعان ما تصدر اسم المشير طنطاوي قوائم الوسوم الأعلى تداولاً والأكثر انتشاراً على شبكات التواصل الاجتماعي في مصر، حيث أعاد اسم المشير الجدل بشأن فترة حكم المجلس العسكري التي تلت الإطاحة بالرئيس المخلوع حسني مبارك، كما أعاد الكثير من المصريين الجدل حول الأحداث التي شهدتها مصر خلال فترة الثورة وما تلاها، عندما كان طنطاوي يقود الجيش وشهدت البلاد العديد من الأحداث الدموية.

ورغم أن الكثير من النشطاء وجه سهام النقد للمشير طنطاوي وحمله المسؤولية عن الكثير من الدماء التي سالت، إلا أن كثيرين آخرين رأوا فيه بطلاً من أبطال القوات المسلحة، وأحد رموز الدولة المصرية، بل ذهب بعضهم إلى القول إن طنطاوي هو الذي أنقذ مصر من الانهيار في أعقاب ثورة يناير 2011.

وكتب المحامي والحقوقي جمال عيد مغرداً على «تويتر»: «وعلى رأي الشعب التونسي مانيش مسامح. المجد لمينا دانيال وعماد عفت، وكل من استشهد دفاعاً عن ثورة يناير، عن الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والعيش والحرية، والعار على كل من كره وحارب وتآمر على ثورة يناير، والكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والعيش والحرية».

وغرد إسلام عرفة: «سيناريو أحداث مصر من يوم 11 فبراير حتى اليوم، هو تأليف وإخراج سيادته والبطولة شارك فيها كل رئيس حكم من بعد الثورة، وكان بيكرهه وبيجنبه المحاسبة، سيناريو نجح من أول استفتاء 19 مارس ويقولك بريء».

أما شادي شاهين فعلق قائلاً: «السيسي ...وبما إن السيسي متأكد إن طنطاوي بريء فأكيد يعرف مين الجاني.. يا ريت بقى يقولنا مين الجاني، وليه ماقالش اسمه في التحقيقات؟ إذن السيسي يتستر على مجرم، أو ربما هو المجرم».

وعلقت الناشطة غادة شهبندر بالقول: «الله يرحم شهداء ماسبيرو. الله يرحم شهداء محمد محمود. الله يرحم شهداء أحداث مجلس الوزراء. الله يرحم شهداء مذبحة بور سعيد. مصر فقدت كثيرا من أولادها.. شباب ما عاشوش عمرهم ولا حققوا أحلامهم».

أما منى الأسود فكتبت تقول: «مشكوووور سيدي الرئيس على التذكير بجرائم المجلس العسكري، في هذه الفترة السوداء من عمر الوطن. اللي كانوا عيال ساعتها بقوا كبار دلوقتي، جيل جديد محتاج يفتكر ويفهم ويعرف الجرائم دي».

وتصدر هاشتاغ #اذكروا_مجازر_موتاكم» موقع توتير في مصر تزامنا مع وفاة المشير طنطاوي الذي يقول المصريون إن عدة مجازر حدثت في عهده وراح ضحيتها المئات من أبناء الشعب.

وكتبت فاتن: «مات ولم يترك خلفه شيئا يحسب له! وإنما ترك أمة بأكملها تدعو عليه» فيما كتبت أخرى: «أغلب الشعب فرح بوفاته مستراح منه».

وتداول مغردون وسم «لن_ننساكم» مع صورة لرقم 74 عدد ضحايا مذبحة بورسعيد التي استهدفت جماهير النادي الأهلي محملين المشير طنطاوي المسؤولية.

في المقابل أثنى كثير من المصريين على طنطاوي، وأبدوا حزنهم لوفاته، وأكدوا أنه كان رجلاً وطنياً قدم الكثير لمصر وللمصريين، وأنقذ البلاد من مخطط لهيمنة الإخوان المسلمين.

وغردت ماجي هشام: «لو علم المصريون المخطط الرهيب الذي كان مرسوماً لمصر وكان الهدف منه انهاء وجود الدولة المصرية أصلا والمخطط الكامل لبتوع ثوار يناير لاشتعلت الرؤوس شيباً». وأضافت: «المشير طنطاوي وقف ضد التوريث أولا وثانيا وقف مع جيش بلده واتفق مع السيسي وقتها بأن مصر أولا هي الأهم وانقاذها واجبنا وقد كان».

أما مارتن فايز فنعى الراحل بتغريدة قال فيها: «فقدت مصر رجلا من أهم وأغلى رجالها وإبنا من أعز أبنائها.. المشير محمد حسين طنطاوي.. خالص العزاء للأسرة».

وكتب يوسف جعفر: «من يقول أن طنطاوي سفك دماً وهو المسؤول عن أحداث بورسعيد وماسبيرو لم يقرأ الكواليس جيداً، وعلى لسان أحد حضور الكواليس حينها: (كان ضد معظم قرارات طنطاوي ولم يكن يتقبله اساسا): إن الارهاب هو من شكل لجاناً وأذاع أن طنطاوي السبب للسقوط بمصر والهوى بهادون رجعة..رحم الله المشير طنطاوي».

وكتبت إحدى الناشطات: «المشير طنطاوي كان مسؤولاً عن مصر من بعد تنحي مبارك إلى تولي مرسي الرئاسة، كانت سنة صعبة أحداثها سوداء: تصعيد شديد للأحداث الطائفية افظعها ماسبيرو، صدامات شعبية أصعبها استاد بورسعيد، يمكن وراء الكواليس كان له دور في حفظ مصر لكن لا أستطيع مدح إدارته للأحداث.. عموما الحمد لله وربنا يرحمه».

وغرد تامر عبد المجيد: «رحم الله المشير طنطاوي، هذا الرجل الهادئ الذي ندين له بعد الله سبحانه وتعالى بفضل عبور بلدنا الغالي إلى بر الأمان في وقت كانت فيه الرياح عاتية والأمواج كالجبال والخونة ومن عاونهم من المغيبين كالسوس ينخر في جسد الوطن».

يشار إلى أن الجيش المصري نعى طنطاوي عبر بيان نشره المتحدث باسمه على مواقع التواصل الاجتماعي جاء فيه: «تنعى القيادة العامة للقوات المسلحة ابنا من أبنائها وقائدا من قادة حرب أكتوبر الجيدة، المشير محمد حسين طنطاوي وزير الدفاع الأسبق والذي وافته المنية صباح اليوم الثلاثاء».

دعوات لمقاطعة شركة إسرائيلية تجسست على الصحافيين العرب

لندن ـ «القدس العربي»:

تواجه الشركة الإسرائيلية الشهيرة «NSO» حملة تطالب بمنعها من المشاركة في معرض دولي من المقرر أن يقام في العاصمة البريطانية لندن، وذلك بعد أن تبين بأنها متورطة في تقديم خدمات وتكنولوجيا التجسس لأنظمة عربية قامت باستخدامها في مراقبة وملاحقة ومضايقة الصحافيين والنشطاء.

وتعتزم الشركة الإسرائيلية التي اشتهرت بعد انكشاف أمر برنامج التجسس «بيغاسوس» الذي تقوم بإنتاجه، تعتزم المشاركة في معرض الأمن الدولي المقرر عقده في لندن يومي 28 و29 أيلول/سبتمبر الجاري، إلا أن مطالبات متصاعدة تدعو إلى منع هذه المشاركة بسبب تورطها في عمليات تجسس على الصحافيين قامت بها أنظمة عربية.

وأصدرت المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا بياناً اطلعت عليه «القدس العربي» ادانت فيه اعتزام شركة «NSO» الإسرائيلية المشاركة في معرض الأمن الدولي المقبل.

وأكدت المنظمة أنه يجب عدم السماح للشركة التي صنعت برنامج «بيغاسوس» بمواصلة عملها بصورة طبيعية بعد ثبوت استخدام البرنامج من قبل الأنظمة الاستبدادية للتجسس على الصحافيين والنشطاء والمعارضين.

وأوضحت المنظمة أن الإعلانات المنشورة على الموقع الرسمي الخاص بمعرض الأمن الدولي اعتمدت على لهجة تُستخدم في عمليات غسل السمعة وتبييض الانتهاكات، حيث جاء فيها: «معرض الأمن الدولي هو الحدث الرئيسي الوحيد الذي يجمع بين الحكومة والصناعة والأوساط الأكاديمية ومجتمع المستخدم النهائي بأكمله المسؤول عن التنظيم والمشتريات معاً بهدف مناقشة التحديات الحالية».

وأضافت المنظمة أن الفعاليات التي سيضمها المعرض تشمل «القمة العالمية لمكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة والخطيرة» بحضور ومشاركة متحدثين من مختلف الأوساط الأكاديمية، وجهات إنفاذ القانون، وشركات الأمن الخاصة.

وبينت المنظمة أن شركة «NSO» من بين المشاركين في المعرض بالرغم من كافة الانتقادات التي وُجهت إليها بعد الكشف عن استخدام برنامج التجسس «Pegasus» التابع لها من قبل الأنظمة الاستبدادية في استهداف النشطاء والمعارضين ومراقبة الصحافيين والسياسيين والمدافعين عن حقوق الإنسان واختراق خصوصياتهم.

وكان تحقيق عالمي صدر في وقت سابق من هذا العام قد كشف عن مدى خطورة البرنامج وتحويله إلى أداة قمع في يد الأنظمة الديكتاتورية خاصة في دول منطقة الشرق الأوسط مثل السعودية والإمارات والبحرين والهند وأذربيجان لاستهداف المعارضين.

وبينت المنظمة أن التحقيق كشف بالأدلة أن عدد ضحايا عمليات التجسس يزيد عن خمسين ألف شخص حول العالم، تم استهدافهم لأغراض سياسية وللتضييق على حرية الرأي والتعبير، وملاحقة المعارضين وأصحاب الرأي سواء من مواطنيهم أو مواطني دول أخرى.

ولفتت المنظمة إلى أن أحد ضحايا عمليات الاختراق التي تمت بواسطة برنامج «Pegasus» هو الناشط الإماراتي أحمد منصور، الذي يواجه الآن عقوبة بالسجن لمدة عشر سنوات في سجون الإمارات، مشيرة إلى أنه على الأرجح تم استهداف منصور عام 2016 من قبل برنامج التجسس، قبل اعتقاله في آذار/مارس 2017.

وبالإضافة إلى ذلك، تم استهداف هاتف التركية خديجة جنكيز، خطيبة الصحافي السعودي جمال خاشقجي بعد قتله داخل السفارة السعودية في إسطنبول، كما تم استهداف جمال خاشقجي نفسه وعدد من أفراد أسرته قبل عملية الاغتيال.

وأكدت المنظمة أن وجود شركة «NSO» في معرض الأمن الدولي، جنباً إلى جنب مع العديد من الشركات الأمنية الأخرى وعدد من الشركات البريطانية الرائدة وتقديمها كشركة محترمة يشير إلى أن المصالح التجارية أهم بكثير من مصالح حقوق الإنسان والقيم والمبادئ الديموقراطية، لا سيما وأن موجة انتقادات واسعة وُجهت إلى الشركة من قبل المدافعين عن حقوق الإنسان الذين طالبوا بوقف التعاون معها.

وطالبت المنظمة المنظمين والمسؤولين عن معرض الأمن الدولي بسحب دعوة شركة «NSO» وإبلاغها صراحة بأنها غير مرغوب فيها بسبب الضرر الهائل الذي أحدثته منتجاتها للمعارضين والمدافعين عن حقوق الإنسان حول العالم، وتأثيرها السلبي على الديموقراطية وتعزيزها حكم الأنظمة الديكتاتورية.

السودان يوقف صحيفتين عن الصدور واستياء في أوساط الصحافيين

لندن ـ «القدس العربي»:

عادت السلطات في السودان إلى ممارسة التضييق على الصحافة التي تعاني أصلاً من أوضاع صعبة، وهو ما أثار موجة استياء في أوساط الصحافيين الذين أعرب بعضهم عن رفضه للإجراءات والعقوبات التي تم إنزالها بحق مؤسسات إعلامية.

وأصدر المجلس القومي للصحافة والمطبوعات في السودان الأسبوع الماضي قراراً بتعليق صحيفتي «الانتباهة» و«الصيحة» لمدة 3 أيام، وهي أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، وذلك «لمخالفتهما الوثيقة الدستورية، وقانون الصحافة والمطبوعات، بنشرهما إعلاناً مثيراً للنعرات». وهذا القرار هو الأول من نوعه منذ الإطاحة بنظام الرئيس عمر البشير في نيسان/إبريل 2019 والذي شهد عهده قرارات إدارية مماثلة، وقرارات أخرى أمنية بتعليق الصحف ومصادرتها.

وقال مجلس الصحافة في بيان له أن الصحيفتين «نشرتا يوم الجمعة (17 أيلول/ سبتمبر) إعلاناً في صفحتيهما الأولى، لجهة غير معروفة وغير مسجلة، باسم (التنسيقية العليا لكيانات شرق السودان) تدعو من خلال الإعلان لإغلاق الطرق القومية».

وأشار المجلس إلى أن «ذلك النشر يخالف نصوص الدستور والقانون الداعية لالتزام وسائل الإعلام بأخلاق المهنة، وعدم إثارة الكراهية، أو النعرات الدينية، أو العرقية، أو الثقافية، أو الدعوة للعنف والحرب». كما أشار المجلس إلى أن «الإعلان المعني خالف نصاً قانونياً يوجب على الصحف التوازن ما بين المادة التحريرية والإعلانية، حيث طغت المادة الإعلانية في النشر المذكور».

وأكد المجلس في بيانه «على أهمية قيام الصحافة بدورها وفقاً للقانون والدستور، وبحرية واستقلالية، مع مراعاة المصلحة العامة، في مجتمع تعددي ديمقراطي».

وانتهى البيان إلى القول: «يؤكد المجلس القومي للصحافة والمطبوعات الصحافية على أن تُمارس الصحافة بحرية واستقلالية وفق الوثيقة الدستورية لسنة 2019 تعديل 2020 وقانون الصحافة والمطبوعات الصحافية لسنة 2009 مع مُراعاة المصلحة العامة، وأن تقوم بدورها في مجتمع تعددي ديمقراطي وفقاً لما يُنظمه القانون».

وبحسب ما رصدت «القدس العربي» فقد أعلن العديد من الصحافيين السودانيين تضامنهم مع الصحيفتين وانتقدوا العقوبات المفروضة بحقهما.

ونقلت «الانتباهة» عن مجموعة من الصحافيين قولهم «إن قرار تعليق الصدور نكوص عن الحريات التي دعت لها الثورة» وبينوا أن الإعلان والذي علقت الصحيفة بسببه يدعو لمظاهرة سلمية للمطالبة بحقوق يراها أصحابها مشروعة وإن الثورة نفسها جاءت بالمظاهرات السلمية والتترس. وقال الصحافيون «إن الحديث عن أزمة الشرق موجود بكثرة عبر مواد تحريرية في كل الصحف اليومية بينما نشرت الانتباهة إعلانا مدفوع القيمة مع العلم ان النشر تم يوم الجمعة الذي لا تكون فيه اعلانات كثيرة مما يفند دعاوى مجلس الصحافة بأن المادة الإعلانية طغت على التحريرية».

وانتقد الصحافيون سلوك المجلس بالتعليق الذي ربما يتطور إلى إيقاف بينما كانوا يتوقعون أن يقف المجلس مع الصحف والصحافيين لأن أمينه العام كان من المنادين بالحريات الصحافية إبان العهد البائد، على حد تعبيرهم.

علوم وتكنولوجيا

«غوغل» تعتزم طرح هاتف جديد قد يخطف الأضواء من «آيفون»

لندن – «القدس العربي»:

كشفت تقارير غربية نقلت عن تسريبات من داخل شركة «غوغل» الأمريكية أن الشركة العملاقة تختبر حالياً هاتفا ذكيا قابلا للطي باسم «باسبورت».

وبحسب التقارير التي اطلعت عليها «القدس العربي» فإن هاتف «غوغل» القابل للطي، سيدعم نظام التشغيل المستقبلي «أندرويد 12».

وحسبما نقل موقع «ذا فيرج» المتخصص بالأخبار التقنية، فإن «باسبورت» سيدعم شاشتين، تتعطل إحداهما عن طي الهاتف.

وأكدت التقارير أن «غوغل» ستطرح هاتفها الجديد خلال العام الحالي، وسيدمج شاشة عرض «أوليد» قياسها 7.6 إنشات.

ولم تذكر التسريبات أي تفاصيل تقنية تتعلق بالهاتف الجديد، إلا أن بعضها تحدث عن دعم الجهاز للاتصال بشبكات الجيل الخامس.

ويتوقع أن ينافس هاتف «غوغل» عددا من الأجهزة المماثلة القابلة للطي والتي تنتجها شركات مثل «سامسونغ» و«هواوي».

وتأتي هذه المعلومات بعد أيام قليلة من طرح شركة «آبل» الأمريكية أحدث نسخها من الهاتف «آيفون» والذي حمل اسم «آيفون 13» ويتضمن جملة من المزايا الجديدة التي لا تتوافر في النسخ السابقة.

ويأتي هاتف «آيفون 13» بخمسة ألوان، وبشاشة أمامية أقوى ومضادة للمياه.

ويعمل هاتف «آيفون 13» ببطارية تدوم ليوم كامل، كما أنه مزود بخواص تأمين أكثر تطورا تشمل خاصية التعرف على الصوت عبر تطبيق «سيري».

كما يدعم هاتف «آيفون 13» حافظة الطاقة المغنطة «ماج سيف» وشبكة الجيل الخامس 5G كما أنه مزود بخرائط ثلاثية الأبعاد، وشريحة A15.

كما يتمتع بسرعة أكبر بنحو 50 في المئة من أقرب منافسيه، وتم طرح هاتف آيفون 13 الجديد بكاميرتين فقط، فيما تم طرح هاتف آيفون 13 برو بثلاث كاميرات خلفية.

كما طرحت شركة «آبل» لاحقاً نظام التشغيل الجديد «آي أو أس 15» العديد من المزايا الجديدة للمستخدمين، لكن ستكون هناك بعض الاختلافات حسب المناطق الزمنية في العالم.

ويدعم نظام التشغيل العديد من طرز هواتف آيفون، التي صدرت على مر السنين، حتى تلك القديمة منها مثل آيفون 6 أس، الذي صدر قبل 6 سنوات.

وتحدثت تقارير إعلامية عن أن التحديثات الجديدة على نظام التشغيل تشمل رفع كفاءة تطبيق «فيس تايم» بصورة تجعله منافسا لتطبيقات تواصل أخرى مثل «زووم».

علاج جديد للصداع باستخدام الموسيقى

لندن – «القدس العربي»:

نجحت تجارب علمية وطبية في التوصل إلى علاج طبيعي للصداع الشديد وبعض آلام الجسم، وذلك بواسطة الموسيقى والأغاني الخاصة التي تمكنت من تفكيك آلام من خضعوا للتجربة، فيما تمت هذه التجارب بتمويل من واحدة من أكبر شركات إنتاج مسكنات الآلام في العالم.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية إنه «تمت كتابة أغنية جديدة يمكن أن تقلل من حدة الصداع المؤلم وتساعد الشخص على التخلص من معاناته، وفقاً لما يؤكد مطوروها».

وتستخدم العناصر الموسيقية والأوركسترالية والصوتية لتوفير إحساس «بالدهشة» وفقاً للدكتورة كلير هولين وهي الباحثة التي قادت الفريق العلمي من جامعة كوليدج في دبلن بإيرلندا.

وتم اختبار هذا العلاج الموسيقي على 286 شخصاً يعانون من آلام حادة نشطة بما في ذلك الصداع وآلام الظهر وآلام العضلات العامة، كما أوضح الفريق، ونجحت الاختبارات حيث تمكنت الموسيقى المبتكرة من تخفيف آلامهم.

وأطلق الباحثون الذين قاموا بتطوير هذا العلاج الموسيقي، أطلقوا عليه اسم «All of Us» أي «جميعنا».

ومن خلال العمل مع الموسيقي أناتول، أراد الباحثون إنشاء شيء من شأنه أن «يساعد الناس على الشعور بالتمكين حتى يتمكنوا من التخلص من آلامهم».

وبتمويل من شركة «نيورفين» العالمية المتخصصة في إنتاج مسكنات الآلام وجد الباحثون أن العلاج الموسيقي الجديد ساعد في تقليل مشاعر شدة الألم وعدم الراحة بطريقة كانت مهمة سريرياً وثابتاً.

وقالوا إنه يعمل من خلال الإلهاء عن الألم وإقناع الدماغ بإفراز جرعة من مادة الدوبامين الكيميائية السعيدة.

وهذا الابتكار الجديد هو جزء من مشروع اسمه «Nurofen Tune Out Pain» والذي يجمع خبراء من عوالم العلوم وإدارة الألم والموسيقى.

والموسيقي أناتول هو عازف بوق مدرب في المعهد الموسيقي وعازف متعدد الآلات، وقد تم اختياره لتأليف الموسيقى العلاجية، بناءً على بحث أجراه الدكتورة هولين.

وأثناء الاختبار، أبلغ المشاركون الذين يعانون من أنواع مختلفة من الألم الحاد مثل الصداع أو آلام الظهر أو آلام الدورة الشهرية عن انخفاض مستويات شدة الألم لديهم أثناء الاستماع إلى الأغنية.

وسمحت أبحاث الدكتورة هولين في الموسيقى والألم لها بتوجيه أناتول لتضمين بعض العناصر المطلوبة للمساعدة بشكل صحيح في صرف الانتباه عن المعاناة.

وشمل ذلك جعل اللحن الموسيقي جذاباً وممتعاً قدر الإمكان حتى لا يركز الناس على آلامهم.

وتم تحقيق ذلك من خلال تطبيق أصوات الآلات والأوركسترا، مثل الأوتار، والبيانو، والأجراس، والعينات الصوتية الصغيرة، لإثارة شعور بالدهشة والتمكين وإلهام القوة العقلية للمساعدة في الانفصال عن الألم.

وعلق أناتول قائلاً: «كان إنشاء الموسيقى التي يقودها العلم تحديًا مثيرًا بالنسبة لي كمنتج موسيقي».

وأضاف: «كل منا مميز لأن كل نغمة ونغمة وصوت مصممة لخلق تأثير معين على المستمع، بناءً على الرؤى التي قدمتها الدكتورة هولين».

وتابع: «الموسيقى والألم شيء نختبره جميعاً، وهذا المشروع يوضح مدى قوة الموسيقى والفائدة المحتملة لرفاهيتنا».

وقالت الدكتورة هولين إن الموسيقى لديها القدرة على إعطاء الناس دفعة كبيرة من الدوبامين في شبكة المكافآت العصبية الخاصة بهم.

وأوضحت أن «هذا اللحن الموسيقي قلل من شدة الألم وعدم الراحة ولتحقيق تأثير بهذا الحجم لمسار غير مألوف تمامًا، يؤكد حقًا إمكانية إنشاء مقطوعات موسيقية محددة للتحكم في الألم».

ويهدف البحث إلى المساعدة في زيادة الفهم العلمي لكيفية استخدام تقنيات إدارة الألم الشاملة، مثل الاستماع إلى الموسيقى، لمساعدة الأشخاص الذين يعانون من الألم الحاد.

وتظهر الأبحاث الإضافية من «نيورفين» أن 15 في المئة فقط من الأشخاص حددوا الموسيقى كطريقة جيدة لتحمل الألم الحاد بشكل أفضل.

وكان هذا عند مقارنته بالطرق التكميلية الأخرى مثل التمارين المنتظمة أو النوم الجيد ليلاً أو تقنيات التنفس.

ومع ذلك، قال 69 في المئة من المستجيبين إنهم مهتمون بأساليب أكثر شمولية لتسكين الآلام لاستخدامها جنبا إلى جنب مع الأدوية التي لا تستلزم وصفة طبية.

ووجد الاستطلاع الذي شمل ألفي شخص أن 71 في المئة يوافقون أيضا على أن الموسيقى لها تأثير إيجابي على صحتهم العامة و74 في المئة يعتقدون أن لديها القدرة على جعلهم يشعرون بمشاعر مختلفة.

وتشمل النتائج الأخرى حقيقة أن الموسيقى الكلاسيكية والبوب هي الأنواع التي كان من المرجح أن يستمع إليها الناس إذا كانوا يعانون من الألم، بنسبة 32 و31 في المئة.

وكانت النساء أكثر عرضة من الرجال للاستماع إلى موسيقى البوب لإدارة الألم، حيث كان الرجال أكثر عرضة من النساء لاختيار موسيقى الروك والكلاسيكية.

وفي إنكلترا، كان هناك انقسام واضح بين الشمال والجنوب في الأذواق الموسيقية لإدارة الألم، حيث كان من المرجح أن يستمع المشاركون من لندن الكبرى والجنوب الشرقي والجنوب الغربي إلى الموسيقى الكلاسيكية، لكن موسيقى البوب كانت الخيار الأول في الشمال الشرقي ويوركشاير.

وتقول جريدة «دايلي ميل» إن الموسيقى العلاجية التي توصل لها هؤلاء الباحثون في ايرلندا أصبحت متاحة على الإنترنت ومتوفرة ومن الممكن شراؤها وتجربتها في علاج الآلام والتخفيف من الصداع.

اختبار خارق يكتشف «الزهايمر» خلال دقيقتين

لندن – «القدس العربي»:

نجح العلماء في ابتكار اختبار طبي له قدرة خارقة، حيث بمقدوره اكتشاف مريض «الزهايمر» وهو في مراحله المبكرة، أي قبل ظهور الأعراض بشكل واضح على المريض، على أن الاختبار يحتاج لدقيقتين فقط من أجل التوصل إلى النتائج، وهو ما يعتبر مدة زمنية قياسية.

وطور العلماء هذه الطريقة الجديدة لقياس نشاط الدماغ بما يسمح باكتشاف مرض الزهايمر في مراحل تطوره المبكرة، بحسب ما أورد موقع «ميديكال إكسبريس» المتخصص بالشؤون الطبية.

وعلى عكس المؤشرات الحيوية المعروفة، فإن الاختبار الجديد، المسمى «Fastball»، لا يتطلب جهداً نشطاً من الشخص قيد الدراسة.

وابتكر علماء جامعة باث الاختبار الذي يستغرق دقيقتين لقياس موجات دماغ الأشخاص استجابة لسلسلة من الصور الوامضة، ويأملون أن يساعد هذا في تقليل سن التشخيص بخمس سنوات.

ووصف العلماء هذا الابتكار بأنه «الكأس المقدسة» لأداة يمكن استخدامها للكشف أيضا عن الأشكال الأقل شيوعا للخرف.

ويزود المشاركون، الذين يتم اختبارهم، بغطاء تخطيط كهربية الدماغ «EEG» لتسجيل نشاط الدماغ عند عرض سلسلة من الصور للأشياء اليومية على شاشة الكمبيوتر. ثم يشاهدون مجموعة من الصور المختلفة، تتخللها بشكل دوري إحدى الصور التي رأوها في البداية. ويتم عرض الصور على الشاشة بمعدل ثلاث صور في الثانية.

وتظهر الصور التي يقع تكرارها على بعد مرور خمس صور. وإذا تذكر المشارك الصورة، فإن قراءات مخطط كهربية الدماغ تُظهر استجابة عصبية مختلفة، ويسجل تغييرات صغيرة في موجات الدماغ.

ومن خلال النظر إلى إشارات تخطيط كهربية الدماغ للنشاط عند تردد محدد (6.0 هرتز) يمكن قياس قوة استجابة ذاكرة الشخص للصور التي سبق رؤيتها.

وتكمن أهمية هذا الاختبار في أنه يقيس الذاكرة بشكل سلبي وموضوعي. لا يقدم الأشخاص أي رد ولا يحتاجون حتى إلى فهم المهمة. إنهم ببساطة يشاهدون سلسلة من الصور وهم يرتدون غطاء مخطط كهربية الدماغ.

وتستغرق المهمة دقيقتين فقط. ولأنها سلبية، فهي مثالية للاستخدام مع الأشخاص ذوي الإعاقة الإدراكية الذين لا يستطيعون إتباع تعليمات المهام المعقدة.

وبحلول الوقت الذي يتم فيه تشخيص إصابة الشخص بمرض الزهايمر، وهو أكثر أشكال الخرف شيوعا، يكون المرض عادة موجودا منذ ما يصل إلى 20 عاماً. ومن الواضح أن التشخيص لا يحدث في وقت مبكر بما فيه الكفاية. ويتم تشخيص مرض الزهايمر باستخدام مجموعة من التقارير الخاصة بتراجع الذاكرة من المريض وعائلته أو مقدمي الرعاية، وغالبا ما تتضمن الاختبارات التي يتم إجراؤها في العيادة. وهذه الاختبارات ليست مثالية لأن قلق المريض يمكن أن يتداخل مع النتيجة. ويتطلب التشخيص أيضا أن يكون الشخص قادرا على التحدث والكتابة، ما يجعله غير فعال بالنسبة للبعض.

ويأمل الفريق أن يوفر اختبارهم الجديد أداة جديدة تتجاوز هذه التحيزات ويمنح الأطباء والعلماء طريقة جديدة لتحديد التغييرات التي تحدث في الذاكرة نتيجة للمرض.

وأظهرت النتائج التي توصل لها الباحثون أن المصابين بمرض الزهايمر يظهرون انخفاضا كبيرا في استجابة الذاكرة مقارنة بالبالغين الأصحاء.

وباستخدام استجابات من مهمة «Fastball» واحدة سلبية، مدتها دقيقتان، يمكننا التمييز بين 20 مريضا بالزهايمر من 20 شخصا من كبار السن الأصحاء إلى دقة تبلغ 86 في المئة. تزيد هذه الدقة إلى 92 في المئة عندما نركز على مجموعة فرعية من الأقطاب الكهربائية في مناطق المعالجة البصرية.

وأشار الفريق إلى أن دراسة طويلة الأمد تجري أيضا باستخدام هذه التقنية الجديدة في الأشخاص الذين يعانون من ضعف إدراكي خفيف.

وتوضح التحليلات المبكرة، التي لم تُنشر بعد، أن «Fastball» يمكن أن يلتقط ضعف الذاكرة المبكر. ويأمل العلماء أن يكون هذا المقياس الموضوعي السلبي للذاكرة قادرا على التنبؤ بأي من هؤلاء الأشخاص سيصاب لاحقا بمرض الزهايمر.

ومن المقرر أن ينشر العلماء تقريرهم الأول عن بيانات هذه الدراسة في أواخر عام 2022.

للتغلب على شح السائقين: سيارة بريطانية عجيبة ذاتية القيادة لتوصيل البضائع

لندن – «القدس العربي»:

استطاع الجيش البريطاني التغلب على أزمة شح السائقين التي تعاني منها البلاد منذ الخروج من الاتحاد الأوروبي والتي تؤثر حالياً على سلاسل الإمدادات التي تعتمد عليها الأسواق ومحلات السوبر ماركت الكبرى، حيث بدأ بتشغيل سيارة صغيرة ذات قدرات عجيبة، لكن أهم ما يميزها أنها ذاتية القيادة ولا تحتاج إلى أي سائق خلف المقود.

وقالت جريدة «دايلي ميل» البريطانية في تقرير اطلعت عليه «القدس العربي» إن سلاح الجو الملكي البريطاني بدأ باختبار سيارته المستقلة لتوصيل الإمدادات حول قاعدة عسكرية في أوكسفوردشاير، على أن هذه السيارة تهدف «لتحرير الأفراد من المهام العادية».

والسيارة العجيبة ذاتية القيادة تسمى «Kar-Go» وهي مركبة توصيل خالية من الانبعاثات وقادرة على السفر بسرعات تصل إلى 60 ميلا في ساعة (90 كلم/ ساعة).

وقالت الصحيفة إن المركبة استطاعت أن تتجول في قاعدة سلاح الجو الملكي في «بريز نورتون» في منطقة أوكسفوردشاير وقدمت الأدوات والمعدات والإمدادات للأفراد كجزء من التجربة.

وعند الوصول إلى وجهتها في القاعدة، يلتقي أفراد سلاح الجو الملكي البريطاني بالمركبة ويتم تحرير فتحة تلقائياً لتمكينهم من أخذ الشحنة.

ويبدو أن السيارة «Kar-Go» غريبة بعض الشيء في المظهر، حيث تبدو مثل فأرة كمبيوتر خضراء عملاقة مع عجلات بارزة، مكتملة بأضواء وامضة وحذاء واسع، بحسب ما تصف «دايلي ميل».

ويعمل الموظفون في القاعدة العسكرية التابعة للجيش البريطاني مع «Academy of Robotics» وهي شركة تكنولوجيا مقرها ساسكس في بريطانيا، في تجربة هذه المركبة وتطويرها.

وفي حالة نجاح التجارب على هذه المركبة قد يقوم سلاح الجو الملكي البريطاني بتوسيع نطاق مركباته المستقلة في وقت ما في المستقبل حتى تتمكن من حمل أحمال أكبر، مثل إطارات طائراتها.

وقال القائد العسكري توني سيستون والمهندس في سلاح الجو الملكي البريطاني: «إن جلب تقنية القيادة الذاتية إلى القاعدة يوفر العديد من المزايا».

ويشير سيستون إلى أنه في نهاية المطاف يمكننا أن نرى أساطيل من المركبات ذاتية القيادة ذات مستويات مختلفة من الحكم الذاتي تقدم الإمدادات وقطع الغيار والأدوات والطعام وأيضاً تقديم خدمات المطارات مثل تزويد الطائرات بالوقود وكسح المدارج وإزالة الجليد.

ويقول القائمون على المشروع إنه «لأسباب أمنية يمكن للأفراد المدربين والمصرح لهم فقط نقل البضائع حول القاعدة الجوية، لكن استخدام المركبات الآمنة المستقلة يمكن أن يوفر وقتهم للتركيز على الأدوار الأساسية التي تم تدريبهم عليها».

ويقول مطورو هذه المركبة إنها أيضاً كهربائية، مما يعني أنها تقلل من انبعاثات غازات الاحتباس الحراري الضارة ويمكن أن تساعد سلاح الجو الملكي البريطاني في تحقيق تعهده السابق بأن يصبح صافي الصفر بحلول عام 2040.

ويعني «الصفر الصافي» أن أي انبعاثات ستوازنها مخططات لتعويض كمية مكافئة من غازات الدفيئة من الغلاف الجوي.

وتنفذ السيارة ذاتية القيادة إجراءات مستقلة وشبه ذاتية مع فريق سلامة يراقب من مركز قيادة متحرك فريد يُعرف باسم أثينا. ومركز قيادة «أثينا» هو وحدة متنقلة آمنة داخل حافلة فاخرة معدلة، ويمكن من خلالها الإشراف على جميع جوانب عمليات المركبة «Kar-Go».

ومن «أثينا» يمكن للفريق التحكم في السيارة عن بُعد إذا لزم الأمر، ومن كرسي قيادة مصمم خصيصاً، مزود بدواسات وعجلة قيادة لتعكس «تجربة قيادة عادية».

وتتميز «Kar-Go» بالقيادة الذاتية من المستوى الرابع، مما يعني أنها قادرة على أداء جميع وظائف القيادة، ولكن في هذه المرحلة قد يحتاج المشغل عن بُعد أو سائق السلامة إلى تولي المسؤولية في بعض الظروف العرضية.

ويقوم سلاح الجو البريطاني الآن بمراجعة النتائج من التجربة للنظر في كيفية توسيع نطاقها بشكل فعال كجزء من التزامهم المستمر «بجلب الابتكار» بحسب ما تقول صحيفة «دايلي ميل».

وقال ويليام ساتشيتي، الرئيس التنفيذي لأكاديمية الروبوتات: «إن نقل البضائع بأمان حول موقع ما يمثل تحديًا كبيرًا لجميع المؤسسات الكبيرة تقريباً».

وعلى الرغم من أننا قمنا بتحسين كل ما نقوم به لنكون قادرين على إجراء تجارب مثل هذه حيث يمكن للتكنولوجيا أن تكمل العمل الأساسي الذي يحدث في المواقع الصناعية الكبيرة، فإن كل موقع له الفروق الدقيقة والتحديات الخاصة به.

وأضاف ساتشيتي: «حقيقة أننا صممنا النظام بأكمله كانت ميزة كبيرة هنا حيث منحنا التحكم الكامل وجعل من الأسهل بكثير تكييفه مع تحديات التكامل المحددة للبيئة التي نعمل فيها».

وقالت إميلي فلين، قائدة المحطة في سلاح الجو الملكي البريطاني: «في الشهر الماضي، رأينا استجابة رائعة من فرقنا، حيث قمنا بتخصيص ساعات إضافية والتخلي عن الإجازة لمساعدة مهام الإنقاذ الأفغانية. وهذا هو نوع العمل الذي يريد طيارونا التركيز عليه وفي مثل هذه المواقف كل دقيقة نوفرها يمكن أن تنقذ حياة».

وبحسب «دايلي ميل» فإن هذه التجربة تعد جزءاً من برنامج مستمر للتخلص من المهام العادية التي تسبب ضغوطاً وإزعاجاً إضافياً لموظفي سلاح الجو، كما تساعد الموظفين المدربين تدريباً عالياً على القيام بالمهام التي انضموا إلى سلاح الجو الملكي البريطاني للقيام بها وعلى أفضل وجه.

اقتصاد

غزة: منع إسرائيل تصدير محصول البلح يكبد المزارعين خسائر مالية فادحة

إسماعيل عبدالهادي

يشهد موسم جني ثمار البلح في قطاع غزة وفرة كبيرة في المحصول لهذا العام، حيث شرع المزارعون وأصحاب الأراضي الزراعية المخصصة لزراعة البلح، بجني ثمار أشجارهم منذ منتصف أيلول/سبتمبر الحالي، وسط تفاؤل بعوائد مالية وفيرة تعوض الخسائر، مع ضخ كميات كبيرة من البلح الأحمر بشكل يومي إلى أسواق غزة.

ويبلغ عدد أشجار النخيل في غزة حوالي 150 ألف شجرة، تنتج سنوياً ما بين 8 إلى 12 ألف طن من البلح، وتعتبر منطقتي دير البلح والمواصي جنوب قطاع غزة، من أشهر المناطق الزراعية المكتظة بأشجار النخيل العالية، حيث توزع المنطقتان الكميات كافة من البلح لجميع مناطق قطاع غزة، فيما تشهد المنطقتان زيارات من قبل المشترين والمتنزهين، لمشاهدة أشجار النخيل المكتنزة بالقطوف بالجميلة.

إلا أن الفرحة بالموسم باتت منقوصة لدى كبار المزارعين، الذين يشتكون من قلة المشترين وعدم قدرتهم على تسويق المنتج، مع ضعف قدرة المواطن الشرائية، جراء الأزمات الاقتصادية والسياسية التي يعاني منها القطاع، كما أن فرض إسرائيل قرار منع تصدير البلح إلى الضفة الغربية، زاد من ضياع الموسم هذا العام وتكبد التجار خسائر كبيرة.

ووفق وزارة الزراعة في غزة، فإن إجمالي المساحات المزروعة بالبلح في القطاع تقدر بما يقارب من 12440 دونماً زراعياً، وتعتبر مدينة دير البلح من أكثر المساحات التي يتم فيها زراعة البلح، ومن ثم تأتي المواصي في خانيونس، ومن ثم بيت حانون شمالاً.

وبينت الوزارة أن الاحتياج الفعلي للغزيين من البلح يقدر بـ10 ألف طن سنوياً، في حين قدر إنتاج الموسم الحالي بقرابة 14 ألف طن، وهو ما يحقق فائضاً في الإنتاج.

وقال مدير عام التسويق والمعابر في وزارة الزراعة تحسين السقا إن مزارعي القطاع يعانون من صعوبة كبيرة في تصريف كميات البلح المتوفرة لديهم، بسبب تراجع الأوضاع الاقتصادية، وتفشي وباء كورونا الذي عرقل حركة المواطن في الأسواق.

وبين السقا لـ«القدس العربي» أن الوزارة أوقفت استيراد البلح الأصفر من الخارج، لإتاحة المجال لتصريف المحصول المحلي، مؤكداً أن آخر كمية من البلح الأصفر، تم استيرادها من الخارج مع بداية انطلاق موسم القطف في غزة.

وأكد على أن الوزارة تواصل الضغط على الاحتلال الإسرائيلي والجهات الفلسطينية المختصة، من أجل السماح بتصدير البلح الأحمر إلى أسواق الضفة الغربية، مشيراً إلى أن هناك وعودا لتصدير الكميات المتكدسة في أسواق غزة نهاية الشهر الحالي، مع انتهاء الأعياد اليهودية في إسرائيل.

وأضاف أن محصول جني البلح يكلف المزارعين مبالغ كبيرة، نظراً لحاجة الموسم لأيدي عاملة، كما أن المزارعين يواجهون في كل عام مشكلة سوسة النخيل، التي تعتبر من المعيقات التي تكلفهم مبالغ لشراء الأدوية للقضاء على هذه السوسة، التي يهدد تركها فساد المحصول بأكمله.

وقال المزارع محمد أبو مرازيق والذي يمتلك خمسة دونمات مزروعة بالبلح، إن الموسم هذا العام ممتاز والمحصول وفير، لكن تبقى مشكلة التسويق الهم الأكبر الذي يواجهنا كمزارعين، فالأسواق المحلية ضعيفة وغير قادرة على استيعاب كل الإنتاج، والتصدير عبر معبر كرم أبو سالم غير مستقر مطلقاً، وفي حال سمح بخروج البلح ستكون الكميات محدودة.

وقال لـ«القدس العربي»: «إن البلح بأنواعه المختلفة يعتبر من الفواكه الشعبية الرخيصة، التي تحظى بإقبال المواطنين وتدخل في منافسة مع مختلف أنواع الفواكه سواء المحلية أو المستوردة، وغالبية المواطنين يفضلون شراءه في قطوف كبيرة، يتم تعليقها داخل المنزل لتناول الناضج منها بصورة يومية».

وبين أن المصانع الخاصة بصناعة العجوة في غزة، تعمل في كل موسم على شراء كميات كبيرة من البلح، حيث يتم تصنيع العجوة وتخزينها لبيعها في شهر رمضان المقبل، كما أن هناك توجها كبيرا من عائلات غزة، التي تهتم هي الأخرى في كل عام بصناعة العجوة وتخزينها، فصناعة العجوة تنقذ التجار قليلاً من الخسائر.

وعن أشهر أنواع البلح، أوضح المزارع أبو مرازيق أن البلح الحياني يعتبر من أفضله، يأتي بعده البرحي ولكنه لا يتوفر بكميات كبيرة في غزة، لأنه يحتاج إلى مناخ حار، فالأجواء بطبيعتها معتدلة في فلسطين، ونادرا ما تكون حارة صيفا.

أما المزارع ناهض حمدان فقد امتنع هذا العام عن ضمان مساحات كبيرة من محصول البلح كما في كل عام، معزياً ذلك إلى الخسائر المالية التي تكبدها العام الماضي، والتي بلغت 23 ألف دولاراً أمريكي بعد أن استأجر 17 دونما، ولكن أزمة كورونا وتداعيات الإغلاق، أوقفت تصريف المحصول ما أثر على فساد كميات كبيرة.

ويقول لـ«القدس العربي»: أن توقف عملية التصدير وقصر فترة قطف ثمار البلح التي لا تتعدى شهراً واحداً، تشكل عائقاً أمام المزارعين الذين يجدون صعوبة في تسويق المنتج، نتيجة ضيق الوقت وفساد كميات كبيرة منه نتيجة صعوبة التخزين في الثلاجات، نظراً لقلة ساعات وصل الكهرباء اليومية».

وأشار إلى أن أسعار البلح هذا العام تشهد انخفاضاً لترغيب الزبائن على الشراء تفادياً للخسائر، لكن رغم ذلك فإقبال المشترين ضعيف جداً، معرباً عن أمله في أن يسمح بتصدير كميات من المنتج لأسواق الضفة الغربية لحماية المزارعين والتجار من الخسائر.

وقال البنك الدولي في بيان أصدره، إن قطاع غزة يعاني من شح كبير في السيولة وهو في انهيار اقتصادي متصاعد، مما يمهد لخطر تلبية الاحتياجات الأساسية للسكان. ويعاني القطاع من أوضاع معيشية واقتصادية سيئة للغاية، نتيجة للحصار الإسرائيلي والإنقسام الفلسطيني، إلى جانب وقف المنح والمساعدات الخارجية الأمريكية لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين أونروا، واعتماد غالبية سكانه على المعونات المقدمة من قبل المؤسسات الإغاثية.

مواطنون يشترون غابات في فرنسا لإنقاذها من الهلاك

في مورفان الريفية في وسط فرنسا، يشتري مواطنون غابات قديمة من السنديان والزان الأوروبي وغيرهما من البلوطيات للحؤول دون القضاء عليها لأغراض زرع أشجار صمغية أكثر درّا للأرباح لكنها «كارثية» للتنوّع الحيوي.

ما من شجرة على التلّة. ففي الغابة القديمة التي جُرّدت من أشجارها، بات تمثال القدّيس مرقس الذي كان المتنزّهون يستظلّون في محيطه وحيدا وسط أكوام من الجذوع المنتشرة على الأرض بانتظار من يلمّها.

وهي «كارثة بيئية وبصرية» على ما يقول ريجي ليندبرغ من جمعية أدريه مورفان التي تنشط ضدّ زرع الشجر الصمغي.

ففي قطعة الأرض هذه في فيو دون (منطقة نييفر في وسط فرنسا)، أزيل حوالي 20 هكتارا من الصنوبريات.

ويشير ليندبرغ إلى أن «القطع الشامل للشجر يصدر الكربون ويؤدّي إلى تجفاف المنابع وإفقار الأراضي، ما يحول دون إمكان التشجير مجدّدا» لفترة و«الحرجيون يقطعون الغصن الذي يسترزقون منه».

ويصرّح فريديرك بوشير من جانبه «في خلال قرن من الزمن، سنكون قد قضينا على كلّ شيء». وهو يدافع عن غابة الملحاوات «الحقيقية» في وجه أشجار الصنوبر «الأشبه بحقول الذرّة» بحسب تعبير ريجي ليندبرغ.

وللتصدّي لـ«زارعي الشجر الصمغي» أنشأ بوشير في العام 2015 جمعيةً «لو شا سوفاج» الحرجية التي تجمع تحت رايتها مواطنين مستعدّين لشراء غابات أشجار متساقطة الأوراق (ملحاوات) و«إنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد». وباتت جمعيته تضمّ «120 هكتارا من الغابات و500 مساهم».

روجيه دوني هو أحد المساهمين في «لو شا سوفاج». فهذا المتقاعد البالغ 69 عاما الذي أمضى 45 عاما من حياته وهو يزاول الطبّ العام في مورفان شهد بأمّ العين على «تحوّل المشهد الطبيعي» واستثمر أكثر من 10 آلاف يورو في الجمعية.

وتقدّم هذه الأراضي جزءا كبيرا من شجر الميلاد في فرنسا، بما في ذلك الشجرة العملاقة التي تُنصب كلّ سنة في قصر الإليزيه، مقرّ الرئاسة الفرنسية.

في الماضي، كانت الأشجار الصمغية تشكّل جزءا ضئيلا من شجر المنطقة وقد ارتفعت نسبتها سنة 2016 إلى 47 في المئة من أحراج مورفان البالغة مساحتها 155 ألف هكتار. وبين 2005 و2016، أزيل 4270 هكتارا من الأشجار المتساقطة الأوراق وزرع محلّها شجر صمغي يمتدّ على 10860 هكتارا، بحسب سلطات مورفان الحرجية.

والمعادلة بسيطة، على حدّ قول الخبير الحرجي تريستان سوس. فتنوب دوغلاس، وهو النوع الصمغي المفضّل في مورفان، «ينتج 400 متر مكعب في الهكتار، مع 60 إلى 70 يورو كسعر للمتر المكعب الواحد. أما الشجر المتساقط الأوراق، فهو ينتج 100 متر مكعب ويباع المتر المكعب الواحد بسعر 50 يورو في المعدّل» على ما يوضح الخبير.

وقد تضاعف سعر تنوب دوغلاس في خلال سنتين، لا سيّما في ظلّ رواج استخدام الخشب في العمارة.

ويقول سيلفان ماتيو رئيس المتنزّه الوطني في المنطقة ونائب رئيس منطقة بوربون–فرانش–كونتيه المكلّف بشؤون الغابة «إذا لم نتحرّك، لا شيء سيحول دون تحوّل منطقة مورفان كاملة إلى غابات شجر صمغي».

وتؤكّد لوسيين إييز البالغة 80 عاما والمعروفة في المنطقة بنشاطها في هذا المجال أن «الحلّ الوحيد هو قانون يحظر القطع الشامل للأشجار، كما الحال في سويسرا». وكانت أييز قد أنشأت سنة 2003 أوّل مجموعة حرجية للحفاظ على غابات الملحاوات في مورفان في مبادرة ريادية.

وباتت هذه الجمعية المكلّفة بحماية جنوب مورغان تضمّ اليوم 350 هكتارا و970 مساهما. وبات مزيد من مالكي الأحراج يبيع أراضيه لجمعيات المواطنين هذه «للحؤول دون تحويلها إلى غابات شجر صمغي»، على ما تكشف لوسيين إييز. (أف ب)

أغلب صادرات الأسلحة الألمانية لمصر والسعودية وتركيا خلال السنوات الأربع الأخيرة

اعتبرت نائبة حزب اليسار بالبرلمان الألماني سيفيم داغدلين أن «الحديث عن سياسة تصدير أسلحة حذرة هو تضليل متعمد للرأي العام». وأظهرت بيانات لوزارة الدفاع تصدير أسلحة أن أكبر مستوردي السلاح متورطون في صراعات بالشرق الأوسط.

وصدرت شركات الأسلحة الألمانية أسلحة حربية بقيمة نحو 4ر5 مليار يورو. وجاء في رد وزارة الدفاع الألمانية على طلب إحاطة من النائبة البرلمانية عن حزب اليسار، سيفيم داغدلين، الجمعة أن ما يقرب من ربع هذا المبلغ (1ر081 مليار يورو) شكّل صادرات أسلحة حربية إلى مصر، التي تتعرض لانتقادات بسبب انتهاكات حقوق الإنسان وتورطها في الصراعات في اليمن وليبيا.

وبحسب البيانات، كانت السعودية وتركيا أيضا من بين أعلى عشرة دول متلقية للأسلحة الألمانية منذ تشرين أول/أكتوبر2017.

السعودية حظر واستثناءات

وفي مفاوضات الائتلاف بعد الانتخابات العامة في عام 2017 وافق التحالف المسيحي بقيادة المستشارة أنغيلا ميركل والحزب الاشتراكي الديمقراطي على حظر تصدير أسلحة لجميع الدول المشاركة «بشكل مباشر» في حرب اليمن. وبالنسبة للسعودية تم تنفيذ القرار جزئيا اعتبارا من تشرين الثاني/نوفمبر 2018 عقب مقتل الصحافي الناقد للمملكة جمال خاشقجي في القنصلية العامة السعودية في إسطنبول. ومع ذلك توجد استثناءات، على سبيل المثال للمشاريع المشتركة التي تدخل فيها ألمانيا مع دول أخرى لصالح تصدير أسلحة للسعودية.

ولم يرد في بيانات الوزارة الحجم الدقيق لصادرات الأسلحة الحربية إلى السعودية منذ تشرين الأول/اكتوبر 2017 لأنه يمكن عبر ذلك «تحديد هوية الشركات المصدرة» لذلك صنفت الوزارة هذه البيانات على أنها سرية.

وتقود المملكة العربية السعودية تحالفا من دول عربية تقاتل إلى جانب الحكومة اليمنية ضد المتمردين الحوثيين المدعومين من إيران. وتنتمي مصر أيضا إلى هذا التحالف.

وفي المقابل تعد مصر شريكا استراتيجيا لألمانيا في المنطقة، فمصر مثلا حليف وثيق في محاولة إيجاد حل للصراع بين إسرائيل والفلسطينيين. وتعد صفقة غواصات من تصنيع شركة «تيسن كروب» الألمانية للأنظمة البحرية أكبر مشروع تسليح ألماني حاليا مع مصر.

ووصفت داغدلين صادرات الأسلحة إلى تركيا، الشريكة في حلف شمال الأطلسي «الناتو» بأنها «لا تطاق» بسبب تورطها في الصراعات في سوريا وليبيا، وقالت: «في ضوء التصدير الهائل لأسلحة حربية إلى مناطق التوتر، فإن الحديث عن سياسة تصدير أسلحة حذرة هو تضليل متعمد للرأي العام من قبل الحكومة الألمانية».

(Dw)

مدن وآثار

قلعة طرابلس اللبنانية معلم أثري جمع بين زواياه أربع حضارات

عبد معروف

قلعة طرابلس هي من أضخم وأقدم القلاع التاريخية في لبنان، ومعلم أثري جمع بين زاوياه أربع حضارات.

تقع في مدينة طرابلس شمال لبنان، التي تبعد عن العاصمة بيروت حوالي 90 كيلومتراً، وعن الحدود السورية قرابة 40 كيلومتراً.

والقلعة هي إحدى أهم المواقع الأثرية في طرابلس، وجزء من سلسلة حصون وأبراج كانت قديماً تُحيط بالقبّة، والبلدة والميناء، وتختزل القلعة سائر الأحداث التي عاصرتها خلال مسيرتها وتاريخها القديم، ويمثل صمود معالمها إلى يومنا هذا دليلاً دامغاً على براعة معماريها من جهة، وقدرتها على الصمود في وجه التحديات الجسام التي عايشتها من جهة ثانية.

عرفت هذه القلعة باسم قلعة سان جيل أو صنجيل نسبة إلى الكونت الصليبي ريمون دي سان جيل، واشتهرت بمقاييسها الضّخمة القائمة على رأس رابية تُشرف على كلّ أنحاء مدينة طرابلس وتطل على نهر قاديشا.

أحرقها المماليك

بنى الصّليبيّون قلعة طرابلس في أوائل القرن الثاني عشر خلال حصار المدينة، واتّخذوها مركزًا لحملاتهم العسكرية. وقد أحرق المماليك هذه القلعة عام 1289م ثم أعيد بناؤها بين 1307 و1308 على عهد الأمير أسندمير كورجي، حاكم المدينة آنذاك، ورُمِّمَت عام 1521م في عهد السّلطان سليمان القانوني. وفي أواخر الحكم العثماني حَوَّلها الأتراك إلى سجنٍ.

وقلعة طرابلس هي حصن عربي الأساس والموقع، باعتبار أن القائد الصحابي سفيان بن مجيب الازدي هو الذي أسس أول حصن عربي في الموقع الذي تقوم عليه القلعة اليوم ما بين نهر أبو علي في محلة السويقة وتلة أبي سمراء مقابل قبة النصر في طرابلس، وذلك حين أتى لحصار طرابلس في أوائل عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان حوالي سنة 25 للهجرة.

وتقول المصادر التاريخية إن هذا الحصن عرف باسم «حصن سفيان» وذكره المحدث الطرابلسي أبو مطيع يحيى إبن معاوية في القرن الثاني الهجري باسم حصن «كفر قدح» ولم يوضح سبب هذه التسمية في العصر العباسي.

بعد ذلك وفي العهد الفاطمي بنى أمير طرابلس جلال الملك بن عمار سنة 472 هجرية مسجداً في موقع الحصن، وهو لا يزال ظاهرا حتى الآن في وسط الحصن، ولا يزال المحراب ظاهراً، وحين جاء الصليبيون بقيادة ريمون الصنجيلي وحاصروا طرابلس، أقاموا حصناً في الموقع نفسه، وعملوا على تحويل الجامع إلى كنيسة، وذلك سنة 497 هجرية.

الترميم والتحصين

وتضيف المعلومات التاريخية، أنه بعد تحرير طرابلس من الصليبيين على يد السلطان المنصور قلاوون، قام نائب السلطنة أمير طرابلس أفندم الكرجي بترميم الحصن وتوسيعه، وتحويله إلى قلعة كبيرة وذلك حسب رواية المؤرخ المقريزي سنة 707 هجرية 1307 ميلادية، وفي العهد العثماني أضيف إلى القلعة البرج الشمالي والبوابة الرئيسية التي ما تزال تحمل تاريخ التوسعة في عهد السلطان سليمان القانوني سنة 927 هجرية.

وقد اشتهرت قلعة طرابلس بمقاييسها الضّخمة القائمة على رأس تلة، وتقسم إلى قسمين، داخلي وخارجي: الخارجي مؤلف من خندق وسلسلة أبراج وحجب، والخندق محفور في الصخر عند طرفه الغربي، وتتألّف سلسلة الأبراج والحجب من خمسة وعشرين برجا وحاجبا، ويحتوي الجزء الداخلي على متاحف تحتوي آثاراً قيمة تحكي تاريخ هذه المدينة العريقة.

حجارة القلعة رملية وناعمة، ولكل حجر قصة ورواية، والأدراج أعيد تدشينها بفوضى «دون رعاية لتراثها، لتجد حجراً يحمل النقوش «مداس» للأقدام.

وتنقسم هذه الحجارة من حيث الحجم إلى نوعين: الأول بطول 90 سم وارتفاع 40 سم، والثاني بطول 25 سم وارتفاع 18 سم. أما العلامات المنقوشة على الحجارة الضخمة، فهي علامات خصائص صليبية.

الدخول إلى القلعة يكون عبر باب خشبي ضخم، يطل على ممر ثم على مجموعة من الغرف والأروقة والأدراج المشيدة بشكل عشوائي مثير للعجب، وفي آخر الساحة تقبع النواويس، إضافة إلى متحف للآثار القديمة. تباين معماري في القلعة حجارة أكثر حداثة من المجموعتين السابقتين، منتشرة في كل أرجائها، وخصوصاً في أبراجها الغربية، كما أن هناك اختلافاً كبيراً في طريقة نحتها، ويمكن تقسيم الحجارة إلى قسمين رئيسيين: قسم ينحرف نحته إلى اليمين أو إلى اليسار، وقسم منحوت عمودياً من الأعلى إلى الأسفل، أو أفقياً من اليمين إلى اليسار.

خندق وسلسلة أبراج وحجب

وقلعة طرابلس، مستطيلة الشكل ومتعددة الأضلاع، يبلغ طولها من مدخلها الشمالي إلى أقصى طرفها الجنوبي 136 متراً، وبعرض متوسطي يصل إلى 70 متراً، أما استحكاماتها فقسمان: داخلي وخارجي. والخارجي مؤلف من خندق وسلسلة أبراج وحجب، والخندق محفور في الصخر عند طرفه الغربي، وهو فوق سطح الأرض عند الطرف الآخر، ويمتد من وجه البرج الرابع والعشرين إلى وجه البرج الرابع، فيتجاوز بذلك طوله السبعين متراً، وعرضه بمعدل خمسة أمتار، أما عمقه فيتراوح بين المترين والثلاثة أمتار. الأعمدة المرتبة تتألف سلسلة الأبراج والحجب من 25 برجاً وحاجباً.

الخروج من باب القلعة الكبير ومحاولة الالتفاف حول هذه السلسلة، هناك إلى اليمين واليسار برجين جددهما السلطان سليمان القانوني، وهما لا يتجاوزان الخمسة أمتار ارتفاعاً. وفي أعلى هذين البرجين يمكن رؤية أربع فتحات وعدداً وافراً من المكاحل، وبعض الشرفات الحربية، كذلك يمكن رؤية أطراف بعض الاعمدة القديمة التي استعملت لربط جدران هذين البرجين وتقويتهما، وهي أعمدة مرتبة ترتيباً هندسياً، سبعة في البرج الاول، وستة في الثاني. وإلى اليسار نحو التحصينات الخارجية الغربية والجنوبية، هناك مركبة من سبعة أبراج وأربعة حجب، في أعلاها عشر فتحات للمدافع وحوالي 10 مزاغل. أما سماكة هذه الأبراج والحجب فتتراوح بين الـ 6 و 7 أمتار.

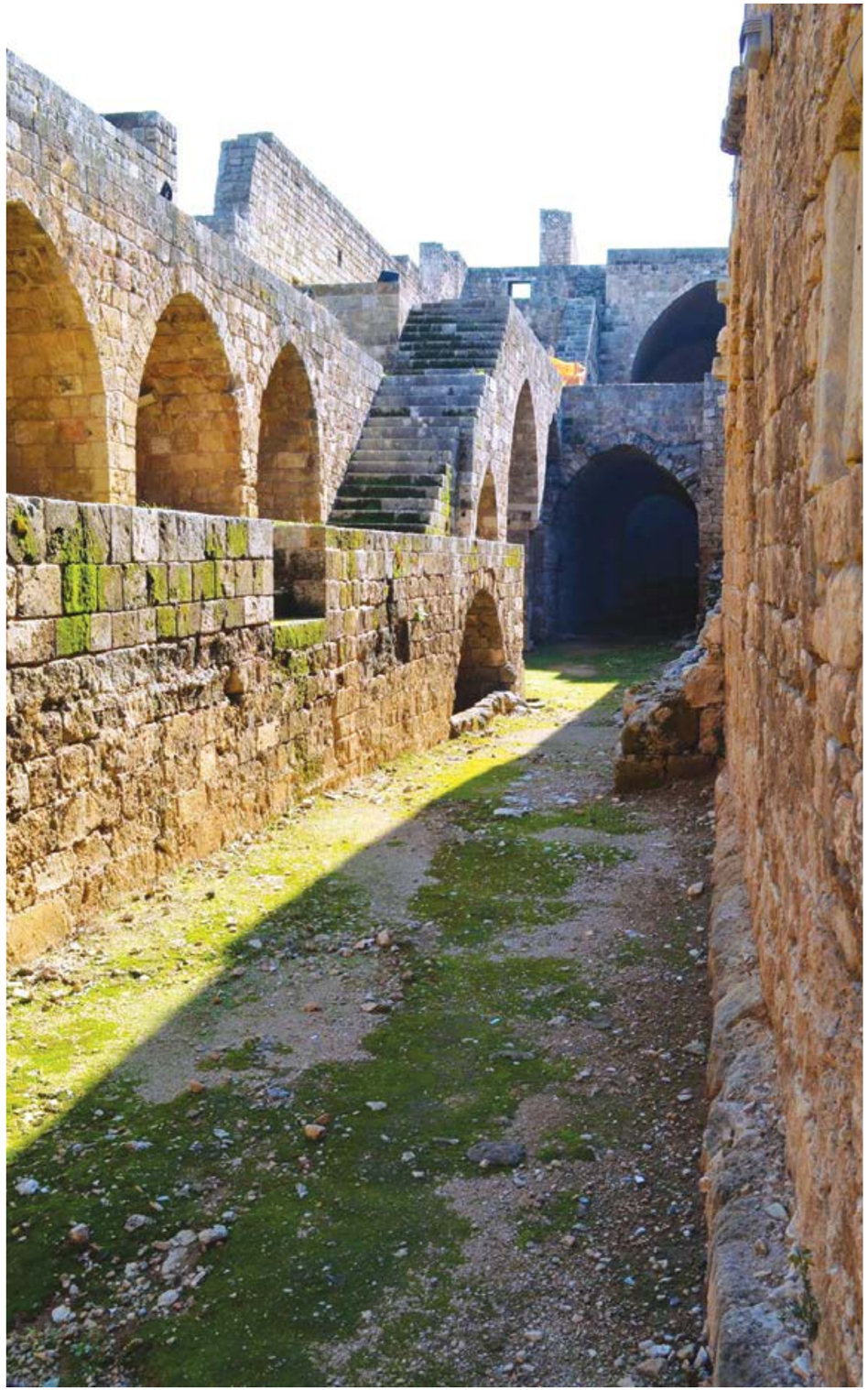

في قلعة طرابلس عدا بابها الكبير في البرج الأول، بابان صغيران يكادان يكونان خفيين: الواحد في أسفل البرج الثاني عشر، والآخر في قاعدة البرج الثاني والعشرين، ويقال إن هناك مجموعة سراديب سرية وأقبية محصنة، تقود المرء من داخل القلعة إلى خارجها وقد تم تجديد برجي القلعة من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني في بدايات القرن السادس عشر الميلادي.

متحف طرابلس

ونظرا لأهمية القلعة أطلقت بلدية طرابلس، بالتعاون مع المديرية العامة للآثار في لبنان وبدعم من مؤسسات دولية معنية، أعمال الترميم لأجزاء في القلعة التي تشمل رصف الممرات، وتأهيل القاعات والأقسام المتصدعة، وتنظيمها داخلياً، وتنظيف حجارتها، إضافة إلى إقامة متحف طرابلس الذي من المفترض ان يضم الكثير من الآثار التي ما تزال موجودة في القلعة والتي عثرت عليها بلدية طرابلس خلال عملها في المدينة.

ويقول رئيس بلدية طرابلس المهندس رشيد جمالي في اتصال مع «القدس العربي» إن مشروع إعادة تأهيل القلعة الأثرية هو أحد أهم المشاريع في المدينة، خصوصاً أن ذلك سيساهم بشكل مباشر في تحريك عجلة السياحة باتجاه واحد من أهم المعالم الأثرية، إضافة إلى الإقبال الذي سيشهده المتحف الذي سيقام في داخل القلعة وهو المتحف الأول من نوعه في المدينة، كما سيمكن المشروع من استخدام قاعات القلعة لإقامة النشاطات الثقافية والفنية والاحتفالات الفلكلورية.

بدوره، يؤكد مؤرخ طرابلس الدكتور عمر عبد السلام تدمري على أن ترميم وتأهيل قلعة طرابلس أمر بالغ الأهمية، لافتا إلى أن البلدية والشخصيات والمؤسسات المعنية في المدينة طالبت منذ زمن بعيد بترميمها وإعادة تأهيلها لاستقبال الزائرين من مواطنين وسياح أجانب، خصوصاً أنها استهدفت خلال الحرب بقذائف صاروخية عدة، وأصابها تخريب كبير في حجراتها وممراتها وقاعاتها الداخلية، إضافة إلى سرقة الآثار التي كانت تضمها، حيث كانت مهيأة لاقامة متحف كبير.

ولفت الدكتور تدمري إلى أهمية أن يراعي المتعهد وضع القلعة وحجارتها الأثرية التي تحتاج إلى ترميم من نوع خاص كي لا تفقد قيمتها التاريخية والأثرية، كذلك طالبنا باعادة بناء الجامع العثماني في القلعة.

قلعة طرابلس مقصداً لجميع الرحالة الذين زاروا مدينة طرابلس شمال لبنان، وشهدت خلال السنوات الماضية، عمليات تنظيف لجدرانها وحجارتها، وتمت إنارتها بشكل فني، ودخلت في عملية إعادة ترميم وتأهيل شاملة كان لها انعكاسات إيجابية على تنشيط الحركة السياحية في المدينة، خصوصاً أن ترميم القلعة ترافق مع سلسلة مشاريع صغيرة ضمن مشروع الإرث الثقافي.

قلعة طرابلس «سر» يغني المدينة تراثاً وآثاراً، فإن كان ما ظهر وهو القليل اختصر أربع حضارات، لكن أسرار القلعة المخفية أكثر ممّا تظهره، والروايات تتنوع فما بين حكايات الأجداد.

رياضة

ما هي التغييرات الايجابية لأنشيلوتي في ريال مدريد التي أنست الجماهير زيدان؟

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور

أنشيلوتي عاد متألقا إلى الريال

اقتبس عشاق ريال مدريد العرب المقولة الشهيرة للمنشد ياسين التهامي «أكاد من فرط الجمال أذوبُ»، كتعبير مجازي لوصف حالة السعادة والتفاؤل المسيطرة عليهم، بعد البداية الصاروخية للفريق، سواء على الصعيد المحلي أو القاري، بسلسلة من العروض والنتائج الهوليوودية، التي فاقت أحلام وتوقعات الرئيس فلورينتينو بيريز ومعه أكثر المتفائلين بنجاح كارلو أنشيلوتي في ولايته الثانية، خاصة في هذه الفترة المعقدة، حيث يعاني الميرينغي لإعادة اقتصاده كما كان قبل كارثة كوفيد19–، بجانب الالتزام بعملية الإحلال والتجديد، بعد التخلص من شريحة جديدة من جيل «العاشرة» في الميركاتو الصيفي الأخير، وتقدم القلة الباقية في قطار العمر، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه للتشكيك في نجاح «عراب» الجيل الذهبي، أو حتى محاكاة تجربته الأولى، للفوارق الشاسعة في ما يخص الأسماء والجودة والخبرات بين قائمته في ولايته الأولى وبين العناصر الشابة المتاحة في الوقت الراهن، لكن حتى هذه اللحظة، جاءت النتائج مغايرة ومخالفة لكل التوقعات.

نهاية عصر زيدان

كان الاعتقاد السائد بالنسبة للشعب المدريدي قبل الأعداء والشامتين، أن الميستر كارليتو لن يضيف الكثير للفريق، أو بالكاد سيسير على نهج تلميذه النجيب زين الدين زيدان، بالاستمرار في عملية استنفاد «عصارة خبرة» نجوم العقد الفائت، والأمر لا يتعلق بضعف خبرة واحتكاك الوافدين من «الكاستيا» فحسب، بل أيضا لعلامات الاستفهام الكثيرة حول نشاط اللوس بلانكوس في نافذة انتقالات اللاعبين الصيفية، بالاكتفاء بالتوقيع مع النمساوي المخضرم ديفيد آلابا في صفقة انتقال حر، رغم الحاجة الماسة لخدمات مدافع آخر بجانب متمرد بايرن ميونيخ السابق، لتعويض خسارة ثنائية سيرخيو راموس ورافاييل فاران، وفي يوم «الديد لاين»، جاء الأفريقي الأصل / الفرنسي الهوية إدواردو كامافينغا من رين مقابل 35 مليون يورو، كصفقة مستقبلية، أي كان ينتظر تأهيله وإعداده مع الشباب، قبل الدفع به مع نجوم الفريق الأول، كما حدث مع كل الشباب الذين تعاقد معهم النادي في السنوات القليلة الماضية، ناهيك عن حالة الإحباط التي سيطرت على المشجعين، بعد فشل القرش الأبيض في ضم «الغالاكتيكو» المستقبلي، والإشارة إلى هداف باريس سان جيرمان كيليان مبابي، رغم مزاعم المحيط الإعلامي الأبيض، بأن رئيس النادي الباريسي ناصر الخليفي سيرفع الراية البيضاء، لتفادي خروج اللاعب من «حديقة الأمراء» بدون مقابل مع انتهاء الموسم الجاري، وما ضاعف يأس وإحباط الجماهير، تلك الصورة البائسة التي ظهر عليها الفريق في مبارياته التحضيرية للموسم الجديد، إذ بدا بنفس النسخة المفككة التي تركها سلفه الفرنسي، كفريق انتهى عهده مع السحر والطرب الكروي، لتشبع اللاعبين بالبطولات والانتصارات، وعدم قدرتهم على تقديم الجديد. وتجلى هذا في المباراة الكارثية أمام غلاسغو رينجرز، في ما كانت تعتبر أول اختبار ودي حقيقي لأنشيلوتي قبل بداية حملة الليغا، وفي نفس الوقت، كانت سببا في زيادة حملة التشكيك في المدرب ومشروعه المحفوف بالمخاطر، لكن بعد ذلك، استطاع المدرب الإيطالي أن يفرض احترامه على الجميع، على الأقل حتى هذه اللحظة.

العصا السحرية

دائما نسمع عبارة «لا أملك العصا السحرية»، في أغلب المؤتمرات الصحفية لتقديم المدربين للمرة الأولى، خاصة أولئك المكلفين بالبناء من الصفر، أو بلغة العصر المطالبين بوضع «حجر أساس مشروع طويل الأجل»، ويكون هدف المدربين من هذه الجملة، هو تقليل حجم الضغوط الجماهيرية والإعلامية، وأيضا منح أنفسهم مزيدا من الوقت، حتى تظهر بصمتهم على أرض الملعب، لكن أنشيلوتي كان مختلفا عن الأغلبية، بإعطاء وعود مبكرة للمشجعين، بعودة كرة القدم الأنيقة المعروفة عن نادي القرن الماضي في أسرع وقت ممكن. والمثير للإعجاب نشاهده في ولاية زيدان الثانية. لكن من الواضح، أن كارليتو، عرف كيف يتعامل معه نفسيا، ليجني ثمار رهانه الرابح، بالمستوى الخيالي الذي يقدمه العشريني البرازيلي، من لاعب قال عنه كريم بنزيما بين شوطي مباراة بوروسيا مونشنغلادباخ العام الماضي «أقسم إنه يلعب ضدنا»، إلى الشريك المثالي للفرنسي الملقب بـ«الحكومة»، بعد وصول الثنائي لمحات ماركو أسينسيو وردريغو الإبداعية في الرواق الأيمن، وتارة بإعطاء الإذن لإطلاق السهم الجارح فينيسيوس جونيور على المدافعين، ليشبع رغبته في بعثرة الخصوم «كرويا» في الرواق الأيسر، وأهم وأخطر من ذلك، توجيه طاقته المتفجرة لخدمة المنظومة الجماعية، على عكس الانطباع المحفور في الأذهان عنه، كلاعب مستهتر ويغلب على أدائه الطابع الفردي، بخلاف رعونته في الثلث الأخير من الملعب، كما كنا نشاهده في ولاية زيدان الثانية. لكن من الواضح، أن كارليتو، عرف كيف يتعامل معه نفسيا، ليجني ثمار رهانه الرابح، بالمستوى الخيالي الذي يقدمه العشريني البرازيلي، من لاعب قال عنه كريم بنزيما بين شوطي مباراة بوروسيا مونشنغلادباخ العام الماضي «أقسم إنه يلعب ضدنا»، إلى الشريك المثالي للفرنسي الملقب بـ«الحكومة»، بعد وصول الثنائي إلى قمة التفاهم والانسجام، وقبل هذا وذاك، التعاون الإيجابي في إنهاء الهجمات، بتسجيل 12 هدفا، بواقع سبعة أهداف للجزائري الأصل وخمسة لشريكه الشاب، من أصل 21 هدفا سجلها الفريق قبل سهرة السبت أمام غواصات فياريال الصفراء، مع الوضع في الاعتبار، أن بنزيما ساهم بمفرده في 15 هدفا في أول ست جولات، وهو رقم لم يحققه أعتى أساطير الليغا منذ بداية الألفية الثالثة وعلى رأسهم الهداف الأسطوري للمسابقة ليونيل ميسي وغريمه التقليدي كريستيانو رونالدو، ولا ننسى أرقام فينيسيوس المميزة، بتسجيل خمسة أهداف وصناعة خمسة، أفضل من سجله من مشاركاته على مدار الموسم الماضي، ما يعكس تأثير أنشيلوتي وبصمته الكبيرة في التحسن الملموس في المنظومة الهجومية برمتها، مقارنة بالوضع والأرقام في ولاية زيدان الثانية الدفاعية.

تطبيق العدالة

بالنظر إلى أسباب التغير الجذري في شكل وإيقاع لعب الريال هذا الموسم، سنجد منها تطبيق مبدأ العدالة على الكبير قبل الصغير، بإعطاء الأولوية للأفضل والأكثر جاهزية في الميران الجماعي، بعيدا عن المحسوبية والإخلاص، على غرار ما كان يفعله زيدان مع رجاله المخلصين، الذين كان يفضلهم على الشباب والوافدين الجدد، كنوع من أنواع رد الدين لهذا الجيل، الذي ساعده على كتابة التاريخ في الولاية، بتحقيق 9 ألقاب في غضون عامين ونصف العام، منها كأس دوري أبطال أوروبا ثلاث مرات تواليا، والدليل على أن كارليتو لا ينظر إلى القيمة السوقية ولا إلى أسماء السوبر ستار، إصراره على الدفع بالمتوهج فينيسيوس جونيور على حساب قائد المنتخب البلجيكي إيدين هازارد، تجسيدا للمثل الشعب المصري «اللي تغلب به.. العب به»، وتأكيد جديد، أنه «يضع مصلحة المشروع المستقبلي فوق مصلحة الأفراد»، وهذا ما انعكس بشكل إيجابي على اللاعبين، خصوصا المتعطشين للحصول على نصف فرصة، أو بمعنى آخر الطامحين في السير على خطى زميلهم فينيسيوس جونيور، الذي تبدلت أوضاعه من النقيض إلى النقيض، كما أشرنا أعلاه من مادة دسمة للسخرية والكوميكس من قبل مشجعي النادي قبل الشامتين، إلى جوهرة باهظة الثمن، إذا قرر بيريز بيعها العام المقبل، سيجني أكثر من 100 مليون يورو بخلاف المتغيرات، ومن مباراة لأخرى، يثبت حاكم «سانتياغو بيرنابيو» الجديد، صدق نواياه ووعوده للجيل الصاعد، بإعطاء دقائق وفرص حقيقية للمواهب الخام، مثل اعتماده على الظهير الشاب ميغيل غوتييرز، لتعويض غياب مارسيلو وفيرلاند ميندي بداعي الإصابة، مع ذلك، لم يشعر أحد بغياب أو تأثر الجبهة اليسرى بالثنائي المصاب، لظهور اليافع الإسباني بمستوى جيد جدا، سواء على المستوى الدفاعي أو الهجومي، كرسالة شديدة اللهجة لمارسيلو وميندي، أنه لن يترك مكانه بسهولة بعد عودتهما من الإصابة.

ونفس الأمر ينطبق على الدينامو الجديد إدواردو كامافينغا، الذي فاجأ الجميع بشخصيته وحضوره داخل المستطيل الأخضر، كأنه ترعرع بين جدران «الفالديبيباس»، وليس ذاك الطفل، الذي عاش طفولة بائسة في المخيمات، ومؤخرا ابتسم له القدر بعد صعوده إلى فريق رين الأول بعمر 16 عاما. ويكفي الثقة التي منحها للجماهير، بتأثيره الفوري على منظومة الوسط والفريق بوجه عام، محطما المقولة المقدسة «ريال مدريد يعاني بدون ثلاثي الوسط توني كروس ولوكا مودريتش وكاسيميرو»، وشاهدنا كيف تفنن في قيادة الوسط في أول اختبار ضمن التشكيلة الأساسية أمام ريال مايوركا، بإعطاء صبغة أو لمسة مختلفة عن مودريتش وكروس، تكمن في طاقة كامافينغا المتفجرة في كل مكان في وسط الملعب، لتمتعه بحيوية وعنفوان الشباب المراهق، على عكس الثلاثي المخضرم، فضلا عن لمسته وجودته كلاعب وسط متعدد الاستخدام، كما فاجأ الجميع برؤيته وثقته الكبيرة في نفسه، كمشروع لاعب وسط متكامل من الطراز العالمي، على الأقل، للتخلص من نغمة عدم وجود بديل للموسيقار مودريتش والمهندس كروس. ويُحسب لكارلو، أنه أحسن استغلال حالة النشوة، التي كان عليها صاحب الـ18 عاما، بعد انتقاله من رين إلى الريال، ولم يتبع نهج زيدان، بإبقاء الشاب في فريق «الكاستيا»، إلى أن يتم تأهيله فنيا وذهنيا لتحمل ضغط ارتداء قميص الريال الأول، فكانت النتيجة، إجماع الكل، أن الميرينغي أبرم صفقة لا تقدر بثمن، وهذا في حد ذاته، من الأمور أو الأشياء التي افتقدها الفريق الملكي في السنوات الماضية، بسبب المعاناة مع الصفقات الجديدة، آخرهم إيدين هازارد ولوكا يوفيتش، ونفس الأمر ينطبق على الكرة، كالأسد وهو يستميت على مملكته، وبالمثل زميله في الكاستيا سيرجيو فيرنانديز، الذي أجاد في مشاركته كبديل لناتشو في مركز الظهير الأيمن، حتى كبير ضحايا زيدان، والحديث عن لوكا يوفيتش، هو الآخر بدأ يتنفس الصعداء، وإذا أكمل على ما بدأ أمام مايوركا، عندما شارك كبديل في الدقائق الأخيرة، وأبلى بلاء حسنا، سيكون أنشيلوتي، قد أنقذ الريال من خسارة مضاعفة، بتحسين قيمته السوقية، بعد عزوف الأندية عن طلبه في الميركاتو الصيفي الأخير، لظهوره بمستوى متواضع مع الفريق وأيضا مع فريقه السابق أينتراخت فرانكفورت في تجربة إعارته القصيرة، لتخليصه من جحيم زيدان. هذا بخلاف دعمه للقدامى، الذين عاشوا أصعب فتراتهم في ولاية زيزو الثانية، وعلى رأسهم ماركو أسينسيو، الذي تحول إلى صفقة جديدة، باستعادة الكثير من مستواه الذي كان عليه، قبل إصابته بقطع في الرباط الصليبي قبل عامين، ومعه إيسكو، الذي تدهور مستواه بصورة فاقت كل التوقعات آخر ثلاثة مواسم، لدرجة أن الجماهير كانت تقود حملات عنيفة للضغط على الإدارة من أجل التخلص منه، لكن الآن، بدأت تتحسن أوضاعه، وأصبح يمثل «ورقة رابحة» للمدرب على مقاعد البدلاء، وهذا ساهم في التنوع والنكهة المختلفة، التي بدا عليها الريال في بداية حقبة كارليتو الثانية، حتى الآن.

بنزيما يتألق في تسجيل الأهداف

صغار الريال من اليمين: فينيسيوس وكامافينغا وغوتييرز يبدعون

يبقى بطل هذه المرحلة، أو إن جاز التعبير وصفه بـ«رونالدو العصر»، هو كريم بنزيما، الذي يتفانى في تقديم دور «المعلم» لكل اللاعبين، كما وصفه فينيسيوس جونيور مؤخرا، وسبقه زيدان بمقولته الشهيرة «من لا يحب بنزيما لا يحب كرة القدم»، ويظهر ذلك في ما يقوم به على أرض الملعب، بالقيام بأدوار تفوق المطلوب منه، شاملة تقمص دور «سانتا كلوز»، بتقديم أغلى الهدايا لمن يلعبون حوله، آخرهم المشاركة في 4 أهداف من أصل 6 سجلها الفريق أمام مايوركا، من دون الابتعاد عن دوره الرئيسي، وهو هز شباك المنافسين، كأفضل رد على من كانوا يسخرون منه في الماضي القريب، تحديدا في آخر موسمين بجانب كريستيانو رونالدو قبل ذهابه إلى يوفنتوس عام 2018، آنذاك كان رمزا للنحس، لسوء حظه مع الكثير من الفرص التي كانت تتاح له أمام المرمى، ناهيك عن التنمر على دوره، كمساعد للدون في تسجيل عشرات الأهداف. لكن الآن، بالكاد لا يتذكر أحد هذه النغمة، بعدما فرض نفسه، كواحد من أعظم أساطير الدوري الإسباني، باعتباره اللاعب رقم 10، الذي يصل إلى هدفه الشخصي رقم 200، وما زال أمامه الوقت لزيادة الغلة التهديفية، وبالطبع هذا ما يريده أنشيلوتي، لتكون الخاتمة مثالية، بإعادة ريال مدريد إلى مناص البطولات في نهاية الموسم، لتعويض الجماهير عن الموسم الصفري الأخير، فهل سيحافظ الريال على نسقه المرتفع ويتحول إلى فريق مخيف؟ أم سيتأثر مع ضغط المباريات والمتغيرات في حال حدوث إصابات، خاصة على مستوى قلب الدفاع في ظل الاختيارات المحدودة؟ دعونا ننتظر.

التدوير ورونالدو العصر

في الوقت الذي يتفنن فيه أنشيلوتي في «عملية الإحلال والتجديد»، لوضع حجر أساس «جيل الرابعة عشرة»، كما أشرف بنفسه على صناعة جيل العاشرة، لا يتوقف عن تطبيق سياسة «المداورة» في التوقيت المثالي، كأداة لمساعدته في اصطياد عصفورين بحجر واحد، منها استغلال نشوة الانتصارات والحالة المعنوية المرتفعة في غرفة خلع الملابس، بتوسيع دائرة اختيار أفضل العناصر الشابة، ومنها أيضا إراحة كل اللاعبين من ضغط المباريات، مع قرب موسم الإصابات السنوي، بتلاحم روزنامة الأندية مع المنتخبات في الشهرين المقبلين، لاستمرار التصفيات المؤهلة لكأس العالم 2022، وهذا يفسر تقارب المستوى بين العناصر الأساسية والبدلاء في المباريات الأخيرة، لشعور كل لاعب أن فرصته قادمة لا محالة، وكل ما عليه هو استغلالها على أفضل وجه، وإلا لما شاهدنا نجم المستقبل أنطونيو بلانكو، يقاتل على كرة، كالأسد وهو يستميت على مملكته، وبالمثل زميله في الكاستيا سيرجيو فيرنانديز، الذي أجاد في مشاركته كبديل لناتشو في مركز الظهير الأيمن، حتى كبير ضحايا زيدان، والحديث عن لوكا يوفيتش، هو الآخر بدأ يتنفس الصعداء، وإذا أكمل على ما بدأ أمام مايوركا، عندما شارك كبديل في الدقائق الأخيرة، وأبلى بلاء حسنا، سيكون أنشيلوتي، قد أنقذ الريال من خسارة مضاعفة، بتحسين قيمته السوقية، بعد عزوف الأندية عن طلبه في الميركاتو الصيفي الأخير، لظهوره بمستوى متواضع مع الفريق وأيضا مع فريقه السابق أينتراخت فرانكفورت في تجربة إعارته القصيرة، لتخليصه من جحيم زيدان. هذا بخلاف دعمه للقدامى، الذين عاشوا أصعب فتراتهم في ولاية زيزو الثانية، وعلى رأسهم ماركو أسينسيو، الذي تحول إلى صفقة جديدة، باستعادة الكثير من مستواه الذي كان عليه، قبل إصابته بقطع في الرباط الصليبي قبل عامين، ومعه إيسكو، الذي تدهور مستواه بصورة فاقت كل التوقعات آخر ثلاثة مواسم، لدرجة أن الجماهير كانت تقود حملات عنيفة للضغط على الإدارة من أجل التخلص منه، لكن الآن، بدأت تتحسن أوضاعه، وأصبح يمثل «ورقة رابحة» للمدرب على مقاعد البدلاء، وهذا ساهم في التنوع والنكهة المختلفة، التي بدا عليها الريال في بداية حقبة كارليتو الثانية، حتى الآن.

من سيلحق من المدربين بركب المطرودين الأوائل؟

لندن – «القدس العربي»:

«صباح الخير جميعا، النادي معي في حالة إعادة بناء، الوضع المالي بالنادي مرتبط بالرياضة وهذا يعني أنه يتعين علينا إعادة بناء الفريق بدون أن نتمكن من القيام باستثمارات كبيرة، كرة القدم تحتاج إلى وقت، ويمكن أن يصل الشباب ليكونوا راشعين خلال عامين، الشيء الجيد في إعادة البناء هو أن الشباب سيكونوا قادرين على الحصول على فرص مثل تشافي وإنييستا في أيامهم. الصبر مطلوب، الحصول على مركز متقدم في الدوري سيكون نجاحا، ولا يمكننا توقع المعجزات في دوري الأبطال، يجب التعامل مع الهزيمة من البايرن من هذا المنظور»، بهذا البيان المتغطرس، أثار المدرب الهولندي رونالد كومان، عاصفة من الجدل حول مستقبله مع برشلونة، ردا على تسريبات الإدارة، بشأن اقتراب موعد رحيله.

العجرفة الهولندية

قبل البيان المثير للجدل، كانت هناك مؤشرات لوصول العلاقة بين المدرب والرئيس خوان لابورتا إلى طريق مسدود، بعد التصعيد الأخير من كومان، بإطلاق العنان لنفسه، بتصريحات «غير مقبولة» في حق الرئيس، باعتراض صريح على كشرة حديثه عن مشاكل النادي في وسائل الإعلام، بخلاف ما وصفه الإعلام الكتالوني بـ«عجرفة المدرب»، بالتفاخر بما يقوم به لمستقبل برشلونة، معتقدا أنه لولا وجوده، لما كانت هناك ملامح واضحة للمشروع، وهذا ما تسبب في انقلاب الرأي العام ضده، لاسيما بعد الوصول إلى قاع الحضيض الكروي، بالظهور بشخصية الفريق العاجز، وإن جاز التعبير «الخائف» من تلقي هزيمة ثقيلة أمام بايرن ميونيخ، في المباراة التي كان ينتظرها عشاق النادي، أملا في رد الدين للعملاق البافاري، لكنهم استفاقوا على الكارثة والحقيقة المؤلمة، بابتعاد فريقهم بمسافات ضوئية عن ركب عمالقة القارة.

صحيح كومان ليس المسؤول الأول عن انهيار المؤسسة، وهناك من تسببوا في وصول برشلونة إلى هذه المرحلة، نتيجة الجرائم الإدارية المتراكمة على مدار سنوات، شاملة ملف إهدار المال في الهواء، بإنفاق مئات الملايين في صفقات عديمة الفائدة وغيرها من القرارات الخاطئة التي يدفع ثمنها الكيان في الوقت الراهن، لكن من غير المعقول، أن يبرر رجل موقعة «ويمبلي»، وصاحب هدف تتويج النادي بأول لقب دوري أبطال في تاريخه على حساب سامبدوريا في بداية التسعينات، أن يبرر الهزيمة المهينة أمام البايرن بهذه الطريقة، وأسوأ من ذلك، التعبير عن سعادته بالتعادل بشق الأنفس مع غرناطة في قلب «كامب نو»، وبأداء لا يعبر عن هوية وشخصية برشلونة، بل أعاد إلى الأذهان نسخة سستوك الإنكليزي مع المدرب توني بيوليس، بمبالغة غريبة في الاعتماد على الكرات العريضة، لدرجة إشراك جيرارد بيكيه كبديل في الشوط الثاني في مركز رأس الحربة بجانب الهولندي لوك دي يونغ.

فان خال جديد

ربط الكثير من عشاق برشلونة القدامى بين ما يفعله كومان في الوقت الراهن، ونفس العجرفة التي تحدث بها مواطنه لويس فان خال قبل حوالي عقدين، عندما قرر الرئيس الأسبق خوسيه لويس نونيز إعادته في ولاية ثانية، منها لإحياء إرث مؤسس نهضة النادي يوهان كرويف، ولبناء مشروع مستقبلي، بعد الرحيل والتقاعد الجماعي لجيل التسعينات، وعلى رأسهم الميدع ريفالدو. ورغم إيجابيات فان خال آنذاك، بإعطاء فرصة العمر لمن تحولوا لاحقا إلى أساطير الجيل الذهبي، والإشارة إلى كارليس بويول وأندريس إنييستا وتشافي وباقي الرفقاء، وهم في ريعان شبابهم، إلا أن أسلوبه الاستفزازي في مقابلاته الصحافية، عجل بانتهاء ولايته الثانية القصيرة، مثل تبرير التراجع في جدول الترتيب العام، بأنه ليس الوضع الأسوأ، طالما أن النادي لم يهبط لدوري القسم الثاني، فكانت الضربية إقالته من منصبه، وتعيين مواطنه فرانك ريكارد، الذي حقق نجاحات لا بأس بها، مستفيدا من حجر الأساس الذي وضعه فان خال، بعد تحول هؤلاء الشباب إلى «سوبر ستار» بعد انضمام الأعجوبة رونالدينيو والصفقات القوية التي أبرمها لابورتا في بداية ولايته الأولى.

ويبدو أن كومان، في طريقه لمواجهة المجهول، بتكرار ما فعله فان خال، بمشاكل وصدامات مع النجوم، آخرهم أنطوان غريزمان وقبله السفاح لويس سواريز، وفي نفس الوقت، قدم هدية ثمينة للنادي ومستقبله، بإعطاء الفرصة لعدد لا بأس به من الجواهر الخام، الذين قدموا أوراق اعتمادهم لتحمل المسؤولية في المستقبل القريب، والحديث عن المفاجأة السارة رونالد أراوخو، ذاك اليافع المقاتل، الذي يعبر عن النوعية التي يحتاجها الكيان ليعود إلى سابق عهده، ونفس الأمر ينطبق على يوسف ديمير واليكس بالدي وبابلو باييز وأسماء أخرى تتمتع بالجودة والمواصفات المعروفة عن مدرسة «لاماسيا»، ولا ينقصها سوى الاحتكاك واكتساب الخبرة، لكن لأن مستقبل المدربين يتوقف على النتائج في المقام الأول، فبنسبة كبيرة، ستصدق التوقعات التي تراهن على طرد كومان في أقرب فرصة ممكنة، والأمر لا يتعلق بسوء النتائج وعدم تطور المنظومة الجماعية فحسب، بل للحرب الشعواء بين المدرب والرئيس، لإظهار كبش الفداء أمام المشجعين، والمسؤول الأول عن تخبط الفريق وظهوره بهذا النسخة الرديئة، فهل ستتم إقالته بعد آخر تعادلين أمام غرناطة وقادش؟ أم سيمنحه لابورتا بعض الوقت لتعديل وتحسين أوضاعه في آخر اختبارين أمام ليفانتي وبنفيكا قبل عطلة أكتوبر/تشرين الأول الدولية؟

ضحايا ومتاحين

تزامنا مع مشاكل كومان في برشلونة، هناك أكثر من مدرب يواجه المجهول وخطر الإقالة المبكرة، وبإلقاء نظرة على أبرز مدربي الأندية الكبيرة المحتمل طردهم قبل نهاية العام الجاري، سنجد أن على رأسهم الإسباني ميكيل آرتيتا، حتى بعد نجاته من البداية الكارثية، بالفوز نوريتش وبيرنلي بهدف في كل مباراة، وبعدها اكتساح ويمبلدون بثلاثية في الدور الثالث لكأس المحترفين، بعد الإذلال في أول ثلاث مباريات في حملة البريميرليغ أمام بريتنفورد بهدفين، وبنفس النتيجة في الدربي اللندني أمام تشلسي، ثم بالخسمة في مباراة غير متكافئة أمام حامل اللقب مانشستر سيتي. لكن الصحوة المتأخرة، اعتبرها بعض النقاد والمتابعين، مجرد محاولة يائسة لشراء المزيد من الوقت في منصبه، إلى أن يثبت العكس في اختبار اليوم، أمام عدو الحي الشمالي توتنهام، أو تصدق توقعات المضاربين في مكاتب المراهنات، بأنه سيكون أول مدرب تتم إقالته في البريميرليغ هذا الموسم، كما صدقت توقعات الأغلبية الموسم الماضي، بأن سلافن بيليتش سيكون أول ضحايا إقالات المدربين في البريميرليغ، حين خسر منصبه مع وست بروميتش البيون في ديسمبر/كانون الأول، ويتبعه بسرعة الصاروخ نحو الهاوية، أولي غونار سولشاير، لاستمرار مسلسل فصوله الباردة، آخرها الخروج المبكر من كأس الرابطة بالهزيمة أمام وستهام، فضلا عن التذبذب في مستوى الفريق من مباراة لأخرى، وعدم الظهور لا بالصورة ولا الشخصية المنتظرة من اليونايتد، لاسيما بعد التعاقدات الرنانة، بضم الثنائي جادون سانشو ورافاييل فاران، بأكثر من 120 مليون جنيه إسترليني، بجانب إعادة الأسطورة كريستيانو رونالدو.

وتشمل قائمة المهددين بخسارة مناصبهم في القريب العاجل، مدرب باريس سان جيرمان ماوريسيو بوتشيتينو، لمعاناته من نفس مشاكل سولشاير، وتكمن في إرضاء الجماهير والرأي العام، بتقديم مستوى أو نسخة تليق بفريق الأحلام، المكون من أسماء من نوعية ليونيل ميسي وكيليان مبابي ونيمار وأشرف حكيمي وفينالدوم والمنتظر عودته من الإصابة سيرخيو راموس، وما ضاعف حملة الهجوم على البوش والتشكيك في مستقبله في «حديقة الأمراء»، أزمته الأخيرة مع البرغوث، بسبب استبداله بحكيمي أمام ليون والنتيجة 1–1، وتبعها بافتعال أزمة جديدة مع مبابي، بتلميحات حول كسله وعدم تنفيذ مهامه كما ينبغي، كأنها إشارة إلى أن الشاب الفرنسي هو الحلقة المفقودة في الثلاثي الأمامي (MNM)، وبطبيعة الحال، إذا لم تتحسن أوضاع «بي إس جي»، وبالأخص الأداء الجماعي مع عودة الانتصارات العريضة، فلن يكون بوتشيتينو أكثر حظا من توماس توخيل، الذي أقيل من منصبه لأسباب أخف وطأة من ورطة المدرب الأرجنتيني الحالية.

أما البدلاء المحتملين لكومان وباقي المرشحين للإقالة عاجلا وليس آجلا، فأغلب التقارير والتوقعات تصب في مصلحة روبرتو مارتينز، مدرب المنتخب البلجيكي، لكن حجر العثرة يكمن في التزامه بعقده مع منتخب الشياطين الحمر، وصعوبة توفير المال المطلوب لإطلاق سراحه من بلجيكا بجانب الملايين التي سينتظرها كومان، بعد تفعيل بند الإقالة بشكل أحادي (12 مليون يورو)، فيما يعتبر العاطل منذ خروجه من الإنتر أنطونيو كونتي، المرشح المفضل والأكثر حظا لخلافة مايكل آرتيتا في ملعب «الإمارات»، لحاجة النادي لمدرب بنفس شخصية وحدة ملك الغريتزا، لإعادة الانضباط والالتزام إلى غرفة خلع الملابس، وبالتبعية إعادة الدفعجية إلى سابق عهدهم، كفريق ضمن الصفوة والكبار في البريميرليغ، فقط سيبقى الخلاف على بديل سولشاير في اليونايتد وبوتشيتينو في باريس، بعد الظهور المقاجئ لاسم زين الدين زيدان على الساحة، بوضع اسمه في جمل مفيدة مع النادِيين، على عكس ما كان يتردد في السابق، أنه ترك منصبه في الريال، لتحقيق حلم قيادة المنتخب الفرنسي، ما يعني أن الأسابيع المقبلة، قد تشهد حركة تغيير وتنقل على مستوى مدربي الأندية الكبيرة، فمن يا ترى سيكون أول الضحايا؟ هذا ما سنعرفه قريبا جدا.

النجم المصري محمد صلاح ليس رقماً عادياً!

كومان يهنئ برشلونة أبرز المرشحين للإقالة

لندن – «القدس العربي»: جواد صيدم

يعد الدوري الإنكليزي بالنسبة للكثيرين، الدوري الأكثر صعوبة والأعلى قيمة في العالم، وهذا ليس محض صدفة فحسب، فالمتابع للدوريات الخمسة الكبرى على يقين تام بالفارق التكتيكي المهول لصالح الدوري الانكليزي الممتاز.

أكبر مثال على صعوبته يكمن في قلّة أرقام هدافي الدوري الإنكليزي مقارنة بأرقام هدافي الدوريات الأوروبية الأخرى. فعلى سبيل المثال، هداف الدوري الإسباني تاريخيا، الأرجنتيني ليونيل ميسي سجل 474 هدفا في 520 مباراة، أما هداف الدوري الإنكليزي تاريخياً، الإنكليزي آلان شيرر، فأحرز 260 هدفا في 441 مباراة. هذه المقارنة ليست متكافئة بشكلٍ عام، إذ تختلف ظروف الدوري الإنكليزي عنّ الدوري الإسباني، ويختلف ليونيل ميسي عن آلان شيرر، لكن أرقاماً كهذه هي مؤشرات على قوة المنافسة في الدوري الإنكليزي الذي نجح في المحافظة على مستواه وحسه التكتيكي العالي في العقود الماضية. فالدخول في قائمة هدافي هذا الدوري العريق وأن تصبح أحد أبرز وأهم أساطيره ليس بالأمر السهل على الإطلاق.

ومع انطلاق الدوري الإنكليزي خلال الشهر المنصرم تتجدد الثقة في نجومنا العرب الذين غزوا القارة العجوز بسحرهم المعهود. فبتنا نرى أسماء مميزة ولامعة في كافة المراكز، وأبرز هؤلاء النجوم وأكثرهم نضجاً وشهرةً في الدوري الإنكليزي هو نجمنا المصري محمد صلاح الذي وصل لهدفه رقم 100 في الدوري في 162 مباراة بتاريخ 12–9–2021. وبذلك أصبح خامس أسرع لاعب يصل إلى هذا الرقم القياسي في تاريخ الدوري، كما انضم بذلك لقائمة اللاعبين الـ30 فقط الذين نجحوا في الوصول إلى هذا الرقم التاريخي. كما أنه اللاعب الأفريقي الثاني بعد ديدييه دروغبا، صاحب الـ104 أهداف، الذي يصل لـ100 هدف في الدوري الإنكليزي.

ومع تحطيم نجمنا العربي لهذا الرقم لم أشعر بالزخم الإعلامي المطلوب الذي يستحقه هذا الإنجاز التاريخي. فقصة محمد صلاح هي عبرة لكل مجتهد وحالم بالوصول إلى منصات العالمية. فبدايته على الساحة الأوروبية في نادي بازل السويسري التي لفتت الأنظار بعد وصوله من نادي المقاولين المصري في2012 جعلت كبير العاصمة اللندنية تشلسي يستقطبه في عام2014. وبعد تجربته العصيبة هناك ذهب بنظام الإعارة لنادي فيورنتينا الإيطالي حيث استعاد بريقه في عام 2015. وتحول صلاح إلى النغاّة التهديفية التي تشعل الجبهة اليسرى في الملاعب في أوروبا في نادي روما الذي أمضى فيه عامين، الأول بنظام الإعارة والثاني بعد أن استقطبه نادي العاصمة الإيطالية من نادي تشلسي. وفي عام 2017 أقدم نادي ليفربول الإنكليزي على شراء النجم المصري بتكلفة مبدئية وصلت إلى حوالي 37 مليون جنيه استرليني.

وبعد أن حط الملك المصري الرحال في ليفربول لم يتوقف عن كسر الأرقام القياسية. فمع مرور السنوات، ازداد عطاؤه وحسه التكتيكي العالي. فمنذ وصوله إلى انكلترا ازداد لمعان صلاح، فأبرز نجومه تمثلت في موسمه الأول هناك الذي أصبح فيه صاحب أكبر عدد أهداف لناد واحد في موسم واحد في تاريخ الدوري الإنكليزي، إذ تمكن من الفوز بالحذاء الذهبي بعد إحرازه لـ32 هدفا في موسم 18/2017، متفوقا بذلك على لويس سواريز في 14/2013 وكريستيانو رونالدو في08/2007 والآن شيرر96/1995 الذين تمكنوا من إحراز 31 هدفاً. كما وتمكن في أن يصبح اللاعب الأفريقي الأول الذي يصل لـ30 هدفا في موسم واحد في ذات الموسم.

ومع أن صلاح انضم إلى ليفربول فقط في عام 2017، إلا أنه تمكن في أن يصبح هداف الفريق التاريخي في دوري أبطال أوروبا أيضا. فقبل لقاء ليفربول مع نادي مدتيلاند في كانون الأول/ديسمبر من عام 2020، كان ستيفن جيرارد صاحب الرقم القياسي بـ21 هدفاً، لكن صلاح ارتقى إلى22 هدفاً في تلك الليلة ليجعل الرقم القياسي خاصاً به. إذ تمكن من كسر الرقم القياسي في39 مباراة، أي 34 مباراة أقل من جيرارد.

كما ويحمل صلاح لقب اللاعب الأعلى تهديفاً لليفربول في أول 100 ظهور للفريق. فالأسطوري روجر هانت هو فقط من تمكن من تحقيق المزيد لليفربول في حقبة ما قبل الدوري الإنكليزي الممتاز بتسجيله72 هدفا، ولم يصل إلى هناك إلا بهدفين في مباراته رقم 100. واحتفل صلاح بالمناسبة هذه في مباراة للدوري الإنكليزي في شهر مارس/ آذار من عام2020 بتسجيله لهدفه الـ70. إذ تمكن حينها من التفوق على فيرناندو توريس الذي كان سجله يحمل 63 هدفا قبل أن يصل صلاح إلى ملعب «أنفيلد» لتحطيمه. لكن آلان شيرر تمكن من الوصول إلى 79 هدفا في أول 100 مباراة له مع بلاكبيرن. ولكن إذا كان الرجل الوحيد الذي تفوق عليك هو الهداف التاريخي الأول في المسابقة، فلا بأس بذلك.

تلك الحقائق هي جزء بسيط من الأرقام القياسية التي تمكن أبو مكة من تحطيمها، لكنها تؤكد على القيمة الفنية العالية التي يتمتع بها فخر العرب، والتي تتجنب الصحف الإنكليزية والعالمية الحديث عنها، نظراً لنجاحه المستمر وتحطيمه لأرقام قياسية بدون إشباع وبدون توقف وعدم توّقفه على تقديم المزيد. فعدم نجاحه في محطات عدة زاده عزيمةً وإصرارا للتحليق في محطاتٍ وأندية أخرى. فمحمد صلاح هو أسطورةٌ العرب ومثالٌ يحتذى به لأجيالٍ كرويةٍ قادمة.

خلدون الشيخ

برشلونة بين «أحلام» لابورتا و«واقعية» كومان!

قد يبدو لأنصار برشلونة اليوم هول ما كان يخشونه في الشهور الماضية، بنتائج متواضعة من فريق مسلوخ ليس سوى ظل لما كان عليه حتى الموسم الماضي، وصراعات ادارية قذرة لطخت الصفحات الرياضية بنشر غسيلها المتسخ، لكن هل توقع أحد غير ما يحدث اليوم؟

عندما انتخب خوان لابورتا رئيسا للنادي قبل أكثر من 6 شهور، فانه وعد بأمرين اثنين، قاداه تلقائيا إلى كرسي الرئاسة، الأول الابقاء على النجم الاسطورة ليونيل ميسي، والثاني أن المدرب الحالي رونالد كومان ليس ضمن خططه المستقبلية. بالنسبة للوعد الأول فانه اضطر إلى خداع أنصار ومشجعي النادي بـ«مسرحية» هزلية عن أن رابطة الليغا حرمته من تجديد عقد نجمه الأرجنتيني، فارغم على التخلي عنه، أما الثاني، فيوم يريد تمديد عقد مدربه الهولندي لسنة اضافية، ويوم يريد التخلص منه لولا عدم وجود البديل الجاهز، والأهم التكلفة الباهظة للاقالة في ظل الازمة المادية الطاحنة للنادي، لتتشكل حال من الفوضى وعدم الاتزان في مطلع رئاسة لابورتا الثانية، والمفترض أن يقوم خلالها بدور المنقذ.

تعادلان مخيبان أمام فريقين مكافحين (غرناطة وقادش) في الجولتين الأخيرتين، لم تعكسا سوى الواقع المرير الذي يعيشه النادي، الذي تخلى عن مجموعة مميزة من النجوم لتقليص مجموع الرواتب المهلكة والذي فاق مداخيل النادي، بالاضافة إلى وجود 8 لاعبين مؤثرين ما زالوا غاظين بداعي الاصابة، أبرزهم أغويرو وفاتي وبيدري وألبا، فاي نتيجة مثل الخسارة بثلاثية أمام البايرن، قد تكون طبيعية بسبب كل ما يحدث من تخبط، رغم أن البعض يود النظر بعين ايجابية ويرى أن الفريق ما زال بلا هزيمة في الدوري رغم كل هذه المنغصات.

الكارثة المادية والتفكير بتقليص الديون المهلكة هي التي تقود القرارات في النادي هذه الأيام، وكل ما عدا ذلك ليس سوى كلمات لرفع المعنويات، على غرار اهتمام برشلونة بضم ايرلنغ هالاند وبول بوغبا الصيف المقبل، والغريب انه خبر جاء عبر صحيفة «موندو ديبورتيفو» الكتالونية، والتي أصبحت اليوم بوقا يردد ما يقوله لابورتا فقط للابقاء على فكرة ان البارسا ما زال كبيرا وينافس النخبة على ضم أبرز النجوم، وأيضا للابقاء على صلة الشركات الراعية بالنادي وتوافد السياح والجماهير الزائرة إلى «كامب نو»، لتحقيق أدنى حد متوقع من المداخيل المتوقعة والمأمول بها، في محاولة لتسديد أكثر من مليار و300 مليون يورو من الديون.

قد لا يكون كومان المدرب المثالي الذي يريده لابورتا، لكن بالنظر إلى ما يملك من أدوات (لاعبين) فان ما يقوم به من عمل يعتبر أكثر من مقبول، فعوض تشجيعه من ادارة النادي، اختار لابورتا الترويج لفكرة وضع لائحة من المرشحين لخلافته من منصبه، وياتي على رأسهم مدرب المنتخب البلجيكي روبرتو مارتينز، الاسباني المولد، لكن المتشبع بالثقافة الكروية الانكليزية كونه لعب وختم مسيرته في الملاعب الانكليزية، وتذوق طعم التدريب فيها فقط قبل الانتقال لتدريب بلجيكا في السنوات الخمس الماضية، بالاضافة إلى نجم البارسا السابق تشافي الذي لم يحظ باعجاب وتشجيع من لابورتا.

قبل بداية الموسم الجاري جلس لابورتا مع كومان، وطلب اعطاءه مهلة اسبوعين ليخبره ان كان النادي سيكمل معه الموسم، أي بمعنى آخر فانه يقول اعطني مهلة اسبوعين للبحث عن بديل آخر أفضل منك ليحل مكانك وان لم أجد فسابقيك، بصورة مهينة للمدرب الهولندي. طبعاً كل اللوم لا يقع على لابورتا، لأنه يحاول اصلاح ما أفسدته الادارة السابقة برئاسة بارتوميو، الذي منح كومان عقدا لعامين، حين كان يرغب الهولندي بسنة واحدة فقط، بل أيضا اضطر إلى دفع 6 ملايين يورو لفك عقده من الاتحاد الهولندي، حيث كان كومان مدربا للمنتخب، والأسوأ انه في أي وقت يضطر برشلونة لاقالة كومان فانه سيدفع له 12 مليون يورو تعويضا، وهو ما يبقي لابورتا حذرا في أخذ أي قرار.

ولهذا بدأنا نرى ونسمع بالتصريحات النارية المتبادلة، خصوصا عندما بدأ لابورتا يتدخل بخطط الفريق والتشكيلة، مطالبا بالاعتماد على خطة 4–3–3 التقليدية التي اشتهرت بها فرق البارسا بأسلوب التيكي تاكا، كما يطالب باشراك ريكي بوتش وصامويل أومتيتي بصورة أساسية، وهو ما لا يروق للمدرب الهولندي، الذي يعتبر أنه يضع خططاً تتناسب بالتشكيلة المتوافرة له.

لكن لو توافر المال للابورتا، وكان وضع النادي المادي أفضل، وتوافر المرشحون الذين يريدهم، لتخلص من كومان منذ اللحظة الأولى التي عين فيها رئيسا، ولهذا سيستمر الصراع الناري في ظل تخبط الرؤية ما بين ما يفترض ان يكون برشلونة عليه ضمن «أحلام وآمال» لابورتا، وبين الواقع الأليم الذي يحدد مسار وخيارات النادي حاليا وهو ما يراه كومان، وبالتالي سينتهي الأمر بصدام وشيك ونهاية درامية، في وقت سيحتاج فيه البارسا إلى رجاحة عقل وربما عدة سنوات للخروج من عنق الزجاجة.

@khaldounElcheik

مجتمع

غزة: الكوفية الفلسطينية تثير الجدل والعنف بين شرطة حماس وطلبة جامعة الأزهر

إسماعيل عبدالهادي

تفرض إدارة الأمن الجامعي التابعة لشرطة حماس في جامعة الأزهر التابعة لحركة فتح في غزة، قراراً بمنع ارتداء الطلبة من الجنسين الكوفية داخل حرم الجامعة، وسط رفض قاطع من قبل إدارة الجامعة والطلبة لهذا القرار، الذي أشعل العنف والمظاهرات بين الشرطة وطلبة الجامعة، ويهدد بتصاعد وتيرة العنف مع انطلاق العام الدراسي الجديد في الجامعة.

وتأسست جامعة الأزهر والتي تتبع بشكل كامل لحركة فتح عام 1991 ويتم تعيين رئيس مجلس أمناء الجامعة من قبل الرئيس الفلسطيني محمود عباس بشكل مباشر، وبعدها يتولى رئيس مجلس الأمناء تشكيل المجلس، الذي من صلاحياته تعيين رئيس الجامعة.

من جهتها استنكرت حركة فتح ما قام به عناصر أمن الشرطة التابعين لحركة حماس من اعتداء على الطلبة داخل حرم الجامعة، ووصفت اعتداء مسلحي جماعة حماس على طلبة وموظفين في جامعة الأزهر في غزة ممن ارتدوا الكوفية الفلسطينية، بالسقوط الأخلاقي واعتبرته انعكاساً لنهج الإقصاء والمفاهيم الظلامية، المناهضة للفكر والمبادئ والتراث والتاريخ الوطني.

واعتبرت الحركة أن تصرف شرطة حماس جريمة بحق رموز الشخصية والهوية الوطنية الفلسطينية عموما، وبالأخص رمزية الفدائي المناضل الفلسطيني في الثورة الفلسطينية المعاصرة والحركة الوطنية الفلسطينية الشهيد ياسر عرفات رمز القضية الفلسطينية. كما أشارت حركة فتح إلى أن تزامن حملة القمع ضد طلبة وموظفي جامعة الأزهر، يأتي مع حملة حماس على الرئيس محمود عباس قبيل إلقائه خطابه في الأمم المتحدة، واستذكرت حركة فتح حملات الاحتلال الإسرائيلي وملاحقتها وقمعها للمواطنين الفلسطينيين، الذين كانوا يرتدون الكوفية في كل مراحل الكفاح ضد الاستعمار الإنكليزي والاحتلال الاستيطاني العنصري. وأدان رئيس جامعة الأزهر عمر ميلاد في تصريحات صحافية، زج حكومة حماس في غزة العملية التعليمية بتطلعاتها السياسية، من خلال قيام عناصرها بالاعتداء على طلبة يرتدون الكوفية الفلسطينية، واصفاً ما حصل باستفزاز مقصود وهناك كاميرات وثقت حادثة الاعتداء، إضافة لوجود شهود عيان رأوا اعتداءات عناصر حماس على الطلبة الذين يرتدون الكوفية، موضحاً أن الخطير في الموضوع كله، تسليم عدد من الطلبة الذين ينتمون لحركة فتح لأمن حماس من قبل طلبة من الكتلة الإسلامية التابعة لحماس، معتبراً ما جرى بأنه يعبر عن فلسفة عصابات.

في غضون ذلك، أدان المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان قيام الشرطة بحظر الكوفية واقتحام حرم جامعة الأزهر في غزة والاعتداء على الطلبة، مطالباً النيابة العامة بفتح تحقيق وإحالة المتورطين للعدالة. ووفق المركز فإن الشرطة اقتحمت الثلاثاء الماضي الحرم الجامعي الرئيسي لجامعة الأزهر في غزة، وأمرت الطلبة بعدم ارتداء الكوفية الفلسطينية بحجة وجود أوامر لديهم بحظر ارتداء الكوفية، ومن ثم قامت الشرطة بتوقيف كل من رفض خلع الكوفية وأخضعتهم للضرب، كما أكد المركز على أن لبس الكوفية يعتبر من الحريات الشخصية، التي لا يجوز بأي حال التعرض لها تحت أي ذريعة، فالكوفية رمز وطني يمثل كافة الفلسطينيين.

أما مركز الميزان لحقوق الإنسان فقد استنكر ما أسماه حادثة الاعتداء على الطلاب في جامعة الأزهر بمدينة غزة، والتي تخللتها مشادات بين أمن الجامعة وبين الشرطة الفلسطينية، مطالباً بالتحقيق في هذه الحادثة واتخاذ التدابير الكفيلة بمنع تكرار مثل هذه الحوادث، التي تهدد نجاح واستمرارية العملية التعليمية.

وأشار المركز إلى أن تدخل الشرطة داخل حرم الجامعة، يكون دائماً بطلب رسمي من إدارة الجامعة وهو أمر معمول به منذ فترة طويلة ويحترمه أطراف العلاقة، مشدداً في الوقت ذاته على ضرورة تحييد الجامعات عن المشكلات والصراعات السياسية، وأن يكفل العمل النقابي لجميع الكتل الطلابية على قدم المساواة.

في مقابل ذلك، أطلق نشطاء فلسطينيون وسم «كوفيتي هويتي» رداً على منع الشرطة الفلسطينية الكوفية لحماس في غزة طلاب جامعة الأزهر من ارتداء الكوفية أثناء دخول الحرم الجامعي بدون إبداء أسباب واضحة، الوسم الذي تصدر منصات التواصل الاجتماعي في فلسطين، تفاعل معه آلاف من رواد مواقع التواصل الاجتماعي، مؤكدين على رمزية الكوفية بالنسبة للفلسطينيين وتاريخهم النضالي.

من جهتها نفت الشرطة التابعة لحركة حماس في تصريحات صحافية، كل الادعاءات الموجهة لعناصر الأمن الجامعي، مشيراً إلى أن ما أثير من ادعاءات ملفقة حول منع الطلاب من ارتداء الكوفية الفلسطينية، هو أمر مثير للسخرية وينطوي على استخفاف بعقول المواطنين، في حين اعتبرت الشرطة أن الهدف من وراء هذا الادعاء والتشويه، هو حرف مسار الحدث لتحقيق أهداف سياسية، عبر ادعاء الإساءة إلى الكوفية التي تعد رمزاً وطنياً فلسطينياً لا يختلف عليه أحد.

وتداول نشطاء فلسطينيون عبر موقع التواصل الاجتماعي، روايات طلاب الجامعة التي اتهمت الشرطة الفلسطينية في غزة بأنهم اعتدوا على الطلاب الذين يرتدون الكوفية الفلسطينية ومنعوهم من ارتدائها، في حين اعتبر البعض أن هذا التصرف نابع من اعتبار سلطة حماس للكوفية رمزاً لمنظمة التحرير التابعة لحركة فتح وليس للقضية الفلسطينية.

في سياق ذلك قال الطالب وليد محمود والذي يدرس تخصص إدارة الأعمال في جامعة الأزهر، إن عناصر أمن حماس قاموا بالاعتداء الوحشي على بعض الطلبة الذين يرتدون الكوفية الفلسطينية داخل حرم الجامعة دون سابق انذار، في حين تعرض بعض الطلبة الذين رفضوا نزع الكوفية، للضرب والاعتداء من قبل عناصر الأمن وطلبة يتبعون للكتلة الإسلامية التابعة لحماس في الجامعة.

وقال لـ«القدس العربي»: «ما يحدث داخل حرم الجامعة أمر مخزي، خاصة وأننا كطلبة على اعتاب عام دراسي جديد، ومن بدايته تتم عرقلة المسيرة التعليمية وفرض الاضرابات داخل الجامعة» متخوفاً من الفعاليات المقبلة التي تنظمها الشبيبة الفتحاوية داخل حرم الجامعة، خلال المناسبات الوطنية الخاصة بحركة فتح، والتي قد تؤدي إلى تكرار مثل هذه الاحداث كما حصل سابقا.

بدوره استهجن عضو المجلس الثوري لحركة فتح في رام الله فتحي بوزية ما قامت به عناصر الشرطة التابعة لحماس، من الاعتداء على طلبة جامعة الأزهر خلال ارتدائهم للكوفية، والتي يعرفها كل العالم وتمثل رمزاً وشعاراً للقضية الفلسطينية في كافة أرجاء العالم.

وقال بوزية لـ«القدس العربي»: «إن الشعب الفلسطيني ما زال يعيش ارتدادات الحرب الإسرائيلية على غزة، وموضوع أسرى جلبوع الذين هربوا وتم القبض عليهم، فالساحة الفلسطينية ما زالت مشتعلة وبحاجة للالتفاف على قضايا وطنية هامة، فلا وقت لحركة حماس للمواصلة في أفعالها الصبيانية، والتي لا تمثل سوى انتكاسة للشعب وقضيته».

وبين أن حركة فتح قدمت منذ سنوات طويلة قادتها من أجل الوطن والقضية الفلسطينية، وكوفية الشهيد الراحل ياسر عرفات مثال لماضي حركة فتح النضالي في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، فليس قادة حماس هم فقط من قدموا للوطن، كي تحاول حماس التغطية على القادة العظماء من كافة الفصائل الفلسطينية الذين ضحوا أنفسهم فداء للوطن.

وطالب بوزية حركة حماس والتي تحكم الشعب بالبارود، أن تعيد كافة حساباتها مع الشعب الفلسطيني وأن توجه سهامها بوجه الاحتلال الإسرائيلي، كما أن عليها التراجع عن الضغوط التي تفرضها على سكان قطاع غزة، الذين يعانون من ظروف معيشية قاسية منذ أن انقلبت على حركة فتح، وأن تتراجع عن سياسة القمع ضد أبناء حركة فتح في غزة.

ولم تخل جامعة الأزهر منذ سيطرة حركة حماس على قطاع غزة في كل عام دراسي جديد، من حدوث اضطرابات بين عناصر أمن حماس وطلبة الجامعة الذين ينتمون لحركة فتح، فخلال العام الماضي تمت عرقلة العملية التدريسية داخل الجامعة لعدة أسابيع، وذلك على خلفية اعتداءات بين طلبة يتبعون لتيار القيادي المفصول من فتح محمد دحلان، وطلبة يتبعون لحركة الشبيبة التابعة لفتح، وعلى إثر ذلك تدخلت الشرطة التابعة لحماس واعتدت بالقوة على طلبة الشبيبة الفتحاوية، ما أثار السخط لدى إدارة الجامعة، التي سرعان ما عرقلت التدريس استنكاراً لأفعال شرطة حماس ولاحتواء الأزمة من التصعيد.

حرايم

المكوّنات

4 قطع صدور دجاج
ملعقة صغيرة ملح
ملعقة صغيرة فلفل
2 ملعقة كبيرة زيت زيتون
نصف بصلة مفرومة
4 فصوص ثوم مفروم
كيلو طماطم مفرومة
نصف كيلو أرضي شوكي
ملعقة صغيرة ملح
ربع كوب زيتون مفروم
نصف كوب جبن فيتا مفتتة
2 ملعقة كبيرة ريحان مفروم

طريقة التحضير

نتبّل الدجاج بالملح والفلفل، ونضع الزيت في مقلاة على النار، ونضيف الدجاج ونقلبه حتى يتحمر ويستوي.

نرفع الدجاج من المقلاة ونضعه جانباً. ثم نضيف البصل للزيت ونقلبه حتى يذبل.

نضيف الثوم، والطماطم، والأرضي شوكي والملح، ونقلّب الخليط لمدة 10 دقائق.

نرفعه عن النار ونضعه في طبق، ونضيف فوقه قطع الدجاج ونفتت فوقه الجبنة، والزيتون والريحان.

نقدّم الطبق ساخناً مع الباستا.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

طهي الأرز بشكل خاطئ قد يؤدي إلى الإصابة بالسرطان

الأرز المكون الحاضر على معظم الموائد في المطابخ العالمية. ويعتبر الغذاء الأساسي للعديد من بلدان العالم وخصوصاً في آسيا. كما أنه الخيار الأسهل لتحضير وجبة طعام للأشخاص الذين لا يملكون الكثير من الوقت لقضائه في المطبخ.

غير أن الجانب المظلم لهذه الوجبة اللطيفة قد يكون صادماً وفقاً للدراسات، إذ أن عدم طهي الأرز بشكل صحيح قد يؤدي إلى الإصابة بالسرطان. بحسب ما نشره موقع «تايمز أوف إيندیا».

المشكلة الحقيقية التي تواجهها في هذه الأيام هي أن معظم الأطعمة التي نتناولها أو المكونات التي نعتمدها لتحضير وجباتنا مليئة بالمواد الكيميائية، وبالتالي فإننا نتناول مواداً كيميائية يومياً دون أن ندرك ذلك، مما يتسبب بمخاطر صحية في المستقبل.

فوفقاً لدراسة أجريت في جامعة «كوينز بلفاست» في إنكلترا، فإن المواد الكيميائية والسموم الصناعية والمبيدات الحشرية العالقة في التربة الزراعية من شأنها أن تجعل الأرز خطيراً. وقد تؤدي إلى التسمم بـ «الزرنيخ» في كثير من الحالات.

وفي دراسة أخرى أجريت في كاليفورنيا شاركت فيها نساء، وكانت قد بدأت في منتصف تسعينيات القرن الماضي لتحديد عوامل الخطر المحتملة لسرطان الثدي وغيره من السرطانات، أظهرت النتائج إصابة حوالي 9400 من المشاركين بالسرطان أثناء المتابعة، وكانت نسبة الإصابة بسرطان الثدي وسرطان الرئة هي الأعلى بين هؤلاء.

يتواجد الزرنيخ في المبيدات الحشرية الصناعية التي تستخدم في الزراعة، وبعض الدول لديها مستوى مرتفع من الزرنيخ في المياه الجوفية، وقد يؤدي التعرض للمادة الكيميائية لفترة طويلة ومتكررة من خلال الطعام أو المياه إلى التسمم «الزرنيخي». والمؤسف أن الأرز يحتوي على مستوى عالٍ من الزرنيخ بحسب الدراسات، وبالتالي، إذا لم يتم طهيه بشكل صحيح، فقد يؤدي إلى مشاكل صحية.

وقد وجدت الدراسة التي أجريت في جامعة كوينز أن أفضل طريقة للتخلص من الزرنيخ في الأرز هي نقعه طوال الليل في الماء قبل الطهي. ولوحظ أنه عند اتباع هذه العملية، ينخفض مستوى السموم بنسبة 80 في المئة.

ويؤكد تقرير صادر عن إدارة الغذاء والدواء الأمريكية أن خطر الإصابة بالسرطان يزداد مع استهلاك الأرز وأن الأجنة عرضة للتأثيرات الصحية الضارة عبر تناول الأمهات له.

وينصح التقرير باستبعاد الأرز ومنتجاته من وجبات الرضع والأطفال من دون سن السادسة، إذ يقلل ذلك من خطر الإصابة بالسرطان على مدى حياتهم بنسبة 6 في المئة و 2 في المئة على التوالي، بحسب ما نشر موقع «ميديكال نيوز تودايّ» الأمريكي.

الحمل

اتخذ القرارات التي تتعلق بوضعك المادي

الثور

اليوم محطة مهمة في حياتك العاطفية

الجوزاء

تحاول الحصول على كلمة حاسمة لبدء مشروع

السرطان

أنت اليوم في حالة مزاجية متقلبة

الاسد

تشعر بتفاؤل وتتاح لك فرصا مهنية أفضل

العذراء

بمجهود بإمكانك العودة إلى وزنك الصحيح

الميزان

تستاء من بعض القرارات التي يتخذها الشريك

العقرب

كن حريصا وحاول أن تتحكم في أعصابك

القوس

بدأت تشعر بالروتين مع الشريك

الجدي

تعرف أزمة مهنية بسبب سوء تصرفك

الدلو

تبتسم لك الحياة اليوم وتحمل إليك خبرا سارا

الحوت

صحتك أفضل حالاً من الأيام السابقة

جديد الطب

نظارات ذكية يُمكنها إبطاء فقدان البصر

لندن – «القدس العربي»:

طور العلماء نظارات بها «حلقات» في العدسات لإيقاف أو إبطاء تطور قصر النظر، وهي حالة تبدو فيها الأشياء البعيدة غير واضحة.

وصممت الحلقات متحدة المركز لتركيز الضوء على شبكية العين، ما يجعل الصور أكثر وضوحا، ومن خلال القيام بذلك يمكن إبطاء معدل تغير شكل مقلة العين، وهي سمة مميزة لقصر النظر.

وفي دراسة صينية، شهد 167 طفلا ممن ارتدوا النظارات لمدة 12 ساعة يوميا تباطؤا يصل إلى 70 في المئة في تطور قصر نظرهم بعد عامين.

ويحدث قصر النظر عندما تنمو مقلة العين لفترة طويلة جدا، وتصبح بيضاوية الشكل وليست مستديرة. وهذا يغير الطريقة التي يضرب بها الضوء شبكية العين، الخلايا الحساسة للضوء في الجزء الخلفي من العين والتي ترسل الصور المرئية التي نراها، إلى الدماغ.

وتعمل مقلة العين الطويلة على تركيز الضوء أمام الشبكية، ما يعني أن الأجسام القريبة واضحة ومركزة، ومع ذلك تبدو الأشياء البعيدة ضبابية.

وسبب حدوث قصر النظر بالضبط غير واضح. تلعب الجينات دورا، لكن العوامل البيئية متورطة أيضا، نظرا للارتفاع الكبير في الحالات في السنوات الأخيرة.

ويُعتقد أن قضاء القليل من الوقت في الهواء الطلق مفيد. وتقول إحدى النظريات أن الضوء الساطع يؤدي إلى إطلاق الدوبامين (رسول كيميائي) من شبكية العين، ما قد يوقف إطالة العين.

وقد تتفاقم المشكلة بالتركيز على شاشات الهاتف أو القراءة لفترات طويلة.

وتبدو نظارات «Stellest» الذكية مثل النظارات العادية ولكنها تستخدم تقنية تُدعى «HALT» وهي تجعل العدسة شبه كروية للغاية وتتكون من 11 حلقة من 1 ملم داخل العدسات، بحسب ما أوردت جريدة «دايلي ميل».

ووفقا للمصنع: «تم تحديد القوة في كل حلقة ببراعة لضمان حجم إشارة دائما أمام الشبكية واتباع شكلها، لتحقيق تباطؤ ثابت في قصر النظر».

وفي قصر النظر، عندما تكتشف المناطق الخارجية للشبكية الضوء الخارج عن التركيز من الأشياء البعيدة، تستجيب مقلة العين من خلال النمو لفترة أطول لزيادة وضوح الصور.

ولكن كلما نمت لمحاولة إبراز هذه الصور، كان تطور قصر النظر أكبر وأسرع.

وتوقف العدسات الجديدة هذا عن طريق تغيير طبيعة الضوء الذي يصل إلى محيط شبكية العين. والحلقات بيضاوية الشكل تعكس شكل مقلة العين، ويُعتقد أن هذا يركز بشكل أفضل على أشعة الضوء على شبكية العين.

وتخطط الشركة المصنعة «Essilor» لطرح مواصفات النظارة الذكية في مستشفيات صينية أخرى، تليها عمليات إطلاق في بلدان أخرى.

ويقول البروفيسور بروس إيفانز، مدير الأبحاث في معهد البصريات: «إن التصميمات الجديدة لعدسات التحكم في قصر النظر، والتي تعد Stellest إحداها، تغير قواعد اللعبة. إنها تجعل التحكم في قصر النظر أسهل بكثير، سواء بالنسبة للممارسين أو للمرضى».

الانسداد الرئوي المزمن مرض خطير يهدد الحياة

لندن – «القدس العربي» – وكالات:

أفادت «مؤسسة الرئة» الألمانية التي تعنى بأمراض الرئة والجهاز التنفسي بأن السعال المزمن ينذر بالإصابة بالانسداد الرئوي المزمن، وهو مرض خطير يهدد الحياة. وأوضحت أن الانسداد الرئوي المزمن يعني ضيق الشعب الهوائية بسبب العمليات الالتهابية، ومن ثم تعرّض الرئة للضرر، مشيرة إلى أن التدخين يعد السبب الرئيسي للإصابة بهذا المرض الخطير. ويعد السعال مزمناً في حال استمراره لمدة تزيد على سنة. وإلى جانب السعال المزمن تشمل الأعراض أيضاً ضيق التنفس ووجود دم في المخاط. ولا يمكن الشفاء من الانسداد الرئوي المزمن بشكل نهائي، ولكن يمكن علاجه جيداً، وإيقاف تطوره من خلال الأدوية الموسعة للشعب الهوائية، مع الإقلاع عن التدخين.

وأوضحت «مؤسسة الرئة» الألمانية أن ضيق المجاري التنفسية يمثل سبباً جديداً للإصابة بالانسداد الرئوي المزمن، وفقاً لما توصلت إليه نتائج دراسة طبية حديثة. وأوضحت المؤسسة أن ضيق المجاري التنفسية يُعيق تدفق النفس، وبالتالي يزداد احتمال الإصابة بمرض الانسداد الرئوي المزمن، خصوصاً عندما يكون هناك تأثير للملوّثات، على سبيل المثال، بسبب التدخين، الذي يعدّ السبب الأبرز للإصابة بالانسداد الرئوي المزمن.

وينظر الكثيرون إلى السجائر الإلكترونية على أنها أقل ضرراً من السجائر العادية، لذلك زاد انتشارها بشكل كبير في أوساط الشباب. لكن دراسات حديثة تؤكد على أن أضرار التدخين الإلكتروني على الصحة أخطر من السجائر التقليدية.

وقال باحثون إن استخدام السجائر الإلكترونية يُزيد بقوة من خطر إصابة الرئة بأمراض مزمنة مثل الربو أو التضخم. والدراسة المنشورة في الدورية الأمريكية للطب الوقائي هي من بين الدراسات الأولى التي توضح الأضرار الطويلة المدى المحتملة لاستخدام السجائر الإلكترونية والتي يتم الترويج لها عادة على أنها بديل أكثر أمنا من التبغ وكوسيلة للمساعدة في الإقلاع عن التدخين.

وخلصت الدراسة إلى أن السجائر الإلكترونية تُزيد من خطر أمراض الرئة بنسبة الثُلث بالمقارنة بأولئك الذين لم يدخنوا أو يستخدموا السجائر الإلكترونية قط. وكان الخطر أكبر بين البالغين الذين يستخدمون السجائر الإلكترونية والتبغ معا. ويأتي البحث في وقت تواجه فيه الولايات المتحدة أزمة استفحال استخدام السجائر الإلكترونية بين الشبان والشابات. ووفقا للمراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية منها، يستخدم أكثر من 27.5 في المئة من طلاب المدارس الثانوية في الولايات المتحدة السجائر الإلكترونية.

وقال كبير الباحثين ستانتون جلانتز مدير مركز أبحاث مكافحة التبغ والتعليم بجامعة كاليفورنيا في سان فرانسيسكو أنه «يجري الترويج للسجائر الإلكترونية على أنها غير مضرة ولكنها ليست كذلك». واستخدم جلانتز وزملاؤه بيانات 32 ألف بالغ شملهم بحث التقييم السكاني للتبغ والصحة الذي أجرته المراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية منها والذي يتتبع عادات استخدام السجائرالإلكترونية والتبغ بالإضافة إلى تشخيص أمراض الرئة في الفترة ما بين 2013 و2016.

في بداية الدراسة لم يكن أحد يعاني من أمراض في الرئة. وبعد مرور ثلاث سنوات وجد الباحثون أن من استخدموا السجائر الإلكترونية زاد خطر إصابتهم بأمراض مثل الربو أو التهاب الشعب الهوائية أو تضخم الرئة أو الانسداد الرئوي المزمن بنسبة 30 في المئة بالمقارنة مع من لم يدخنوا التبغ ولم يستخدموا السجائر الإلكترونية قط.

أما الذين كانوا يدخنون التبغ فقد زاد خطر إصابتهم بمرض مزمن في الرئة مرتين تقريبا مقارنة بمن لم يدخنوا قط. ووجدت الدراسة أن الخطر كان أكبر ثلاث مرات بين من استخدموا التبغ والسجائر الإلكترونية معا. وقال جلانتز «كان الجميع، بمن فيهم أنا، يعتقدون أن السجائر الإلكترونية مثلها مثل سجائر التبغ لكنها ليست بنفس القدر من السوء، وأنك إذا استعضت عن بعض السجائر المعتادة بسجائر إلكترونية لربما كان الأمر أفضل. لكن تبين أن الأمر أسوأ». مضيفا: «السجائر الإلكترونية تُشكل مخاطر فريدة فيما يتعلق بأمراض الرئة».

وبالنسبة للنساء، عادة ما تكون القصبات الهوائية أضيق من الرجال، لذا فإن النساء اللواتي يدخن أكثر عرضة للإصابة بمرض الانسداد الرئوي المزمن، الذي تتمثل أبرز أعراضه في السعال الشديد وضيق التنفس.

مواد التنظيف

وكشفت دراسة نرويجية أن استخدام مواد التنظيف قد يؤثر سلباً على صحة الرئتين لدى النساء بشكل خاص، فيما أكدت الجمعية الأمريكية للرئة أن وظائف الرئة تتدهور ببطء بعد سن الخامسة والثلاثين تقريباً.

وكانت دراسة دولية كشفت أن النساء اللواتي يستخدمن مواد التنظيف بشكل منتظم قد يواجهن تدهوراً أكبر في وظائف الرئة مع مرور الوقت. وقال الباحثون الذين أعدوا الدراسة إن المرأة، التي تستخدم مواد التنظيف مرة واحدة أسبوعياً على الأقل تكون عرضة لتدهور الرئة أكثر من التي لا تفعل ذلك. وقال قائد فريق البحث الدكتور أويستن سفانس من جامعة برغن بالنرويج «ننظف منازلنا يومياً وأسبوعياً. من المهم أن نجري هذا النقاش عن التنظيف وعما نفعله في بيوتنا». وأضاف: «هذا لا يعني ألا ننظف. قطعاً نحتاج لتنظيف منازلنا إلا أننا نحتاج لمعرفة الكيميائيات، التي نستخدمها، وكيف تؤثر على صحتنا».

وفحص الباحثون من جامعة برغن وزملاؤهم أكثر من 6200 مشارك في مسح (صحة الجهاز التنفسي في المجتمع الأوروبي). وفي 22 مركزاً طبياً في تسع دول بغرب أوروبا، خضع المشاركون لفحوصات وظائف الرئة وأجابوا على أسئلة ثلاثة استطلاعات على مدى 20 عاما. وكانت أعمار المشاركين في منتصف الثلاثينيات عندما انضموا للدراسة نصفهم تقريباً من الإناث. وقالت 85 في المئة من النساء إنهن ينظفن بيوتهن بأنفسهن. فيما كان التنظيف مهنة 8.9 في المئة من النساء المشاركات و1.9 في المئة من الرجال.

ومن جهة أخرى، قالت الجمعية الأمريكية للرئة إن وظائف الرئة تتدهور ببطء بعد سن الخامسة والثلاثين تقريباً.

وعلى مدى عقدين من مدة الدراسة تبين أن تدهور وظائف الرئة لدى النساء، اللاتي لا يعملن في التنظيف، ولا يشاركن في تنظيف منازلهن كان أبطأ من غيرهن.

كما تبين أن النساء اللواتي يستخدمن مواد التنظيف عن طريق الرش وغيرها من منتجات التنظيف مرة واحدة على الأقل أسبوعياً، يتعرضن لتدهور أسرع في وظائف الرئة. وكان هذا التدهور أسرع لدى العاملات في مهنة التنظيف. ولم تربط الدراسة بين التعرض لمنتجات التنظيف، وتدهور وظائف الرئة لدى الرجال.

غير أن الباحثين أقروا بأن هذا ربما يرجع لأن عدد الرجال العاملين في مهنة التنظيف كان أقل بكثير من النساء في الدراسة. ولم تظهر صلة أيضاً بين تدهور وظائف الرئة، وزيادة خطر الإصابة بأمراض انسداد الشعب الهوائية مثل الربو، وانتفاخ الرئة. غير أن الباحثين قالوا إن تأثير تعرض عاملات النظافة لمنتجات التنظيف «أقل نوعاً ما» من تأثير تدخين علبة من السجائر يوميا لمدة 20 عاماً.

ضيق التنفس

وأظهرت الدراسة أيضاً أن الأطفال، الذين عانوا مشكلات في وظائف الرئة، يتطور لديهم أحياناً مرض الانسداد الرئوي المزمن، لذا يوصى بابتعادهم بشكل خاص عن التدخين، وممارسة النشاطات البدنية، التي من شأنها تحسين وظائف الرئة.

بدورها، أوردت مجلة «زنيورين راتغيبر» أن وضع التحفز لحارس مرمى كرة القدم مفيد لمرضى الانسداد الرئوي، حيث إنه يساعد على مواجهة نوبة ضيق التنفس الوشيكة. وأوضحت المجلة المعنية بصحة كبار السن أنه عندما يشعر المريض باقتراب نوبة ضيق التنفس يتعين عليه الانحناء بعض الشيء مع سند يديه على الجزء السفلي من السيقان على غرار حارس المرمى الذي يتحفز لصد رحلة جزاء؛ حيث يعمل هذا الوضع على تحسين عملية التنفس.

يُشار إلى أن الانسداد الرئوي المزمن هو مرض يتميز بانسداد الشعب الهوائية وقلة تدفق الهواء بشكل مزمن وقصور في وظائف الرئة. ويتفاقم هذا القصور تدريجيا، وهو غير قابل للرجوع كليا بواسطة الأدوية الموسعة للشعب الهوائية.

منوعات

سينما أكتوبر ظلال الحرب والرومانسية في حكايات ملحمية

كمال القاضي

الإسهامات الفعلية للسينما المصرية عن حرب أكتوبر لم تكن أبداً في مستوى الحدث. فحصيلة ما تم إنتاجه من أفلام يُعد على أصابع اليدين ومعظمها أنتج وعُرض في عام 1974 أي بعد الحرب بعام واحد فقط. فزهوة الانتصار قد شجعت في حينها السينمائيين على توثيق المعركة وما إن بدأ الإحساس الشعبي يقل تدريجياً وتهدأ العاصفة، حتى تراجعت مُعدلات الإنتاج وعادت السينما المصرية لسيرتها الأولى تبحث عن الربح المضمون في قصص الحب والرومانسية بعيداً عن غُبار الحرب والتضحيات والدماء.

تلك كانت الخطيئة الكبرى التي وقعت فيها المؤسسات الإنتاجية وأدت إلى قلة عدد الأفلام الحربية ونسيان يوم العبور العظيم لأكثر من أربع سنوات مُتتالية. فما بين عامي 74 و78 لم يُنتج سوى فيلم واحد للمخرج محمد راضي بعنوان «العُمر لحظة» بطولة ماجدة وناهد شريف وأحمد مظهر والممثل الصاعد آنذاك أحمد زكي.

وهذا الفيلم يُعد النموذج الأفضل من بين الأفلام التي تناولت على استحياء جانباً من تفاصيل القتال الضاري في معركة المصير. برغم أن بعضها حاز شعبية كبيرة كفيلم «الرصاصة لا تزال في جيبي» للمخرج حسام الدين مصطفى وبطولة محمود يسن ونجوى إبراهيم، علماً بأن أحداثه بدأت بنقد حاد للسُلطة في فترة النكسة التي سبقت انتصار أكتوبر، وكان ذلك مقصوداً في إطار تحليل الواقع السياسي المصري والإلحاح إلى الاستفادة من الأخطاء العسكرية التي وقعت في عام 67. ولم يكن هذا الطرح غريباً، لكنه مثل ثيمة تكررت في أكثر من فيلم إرضاءً للقيادة السياسية التي أرادت أن يكون الخط الفاصل بين النكسة والانتصار واضحاً ليتعاظم شأنها ويعلو نجمها عملاً بالحكمة التي تقول «وبضدها تتميز الأشياء» فلا يُمكن إدراك قيمة النصر إلا بعرض صور الهزيمة، وهذه كانت وجهة النظر المُتداولة والرائجة بين صُناع السينما وكُتاب القصص بتأثير الخطاب السياسي والتوجهات العامة في فترة السبعينيات.

وربما تجربة فيلم «أبناء الصمت» للمخرج محمد راضي دللت على ذلك بترجمة صريحة للأحداث والوقائع المريرة التي تم تناولها تحت مبدأ النقد أيضاً وبيان الفروق الجوهرية بين النصر والهزيمة، فالفيلم الذي شارك فيه حشد من النجوم المهمين، حمدي أحمد ونور الشريف والسيد راضي وسعيد صالح لم يعتن بتوثيق حرب السادس من أكتوبر، قدر اعتنائه بعرض بانوراما الهزيمة كمقدمة للانتصار، أي أنه يصح أن يكون تصويراً للنكسة وأوجاعها وآلامها أكثر منه توثيقاً لحرب كُبرى تحقق فيها حُلم الجنود المصريين بتحطيم خط بارليف وعبور قناة السويس والثأر لمراحل الانكسار العصيبة.

وكذا فيلم «أغنية على الممر» يُمكن اعتباره ضمن النماذج التي قدمت دراما جِلد الذات تأثراً بألم النكسة ونقداً للحالة العسكرية المتأخرة إبان فترة الركود القتالي. وعلى قدر مرارة الطرح الواقعي للظرف القاسي كانت حلاوة الإبداع الفني الذي كشف عن قُدرات هائلة لدى صُناع الفيلم ونجومه في إمكانية التوظيف السينمائي لنقل الحالة التراجيدية بكل تفاعلاتها ومظاهرها وإنسانيتها.

وقد أبدع الممثل القدير محمود مرسي في تجسيد دور المُقاتل العنيد الذي يأبى الهزيمة ويرفض الاستسلام، وبالقطع شاركه التميز الأدائي صلاح السعدني وصلاح قابيل.

وبخلاف هذه النوعيات جاءت البقية الباقية من الأفلام الرومانسية بخلفياتها الحربية غير مُرضية بالمرة فهي لم تقدم شيئاً عن الحرب إلا ملامح باهتة وضعيفة، وكلها بالجُملة وقعت في عيوب التنميط كفيلم «بدور» الذي عرض لصراع بين البطلين محمود يسن ومجدي وهبة على الفوز بقلب الفتاة الجميلة بدور «نجلاء فتحي» وصار بينهما عداءً مُطلق بدته المعركة وهو ربط ساذج كان الهدف منه المحاكمة في الحرب وملامسة جانب منها بعد الاستغراق الكامل في الصراع المحلي الدائر في الحارة الشعبية بين اثنين من الشبان من أجل عيون الفتاة الجميلة.

ويندرج تحت عنوان التهافت والضعف أيضاً أفلام أخرى مثل «يوم الوفاء» العظيم للمخرج حلمي رفلة وهو إنتاج عام 1974 ولم يزد في تكوينه ولا تضمينه شيئاً عن شبيهه بدور. فالاختلاف الوحيد هو غياب الغريم مجدي وهبة عن ساحة الصراع العاطفي الدامي والاكتفاء بنجلاء فتحي كعامل مُشترك بين الفيلمين مع مراعاة وجود نجوم آخرين كنوع من تجديد الدماء.

وكذلك غلبت الرؤية الرومانسية أيضاً في فيلم «حتى آخر العُمر» للمخرج أشرف فهمي على الموضوع المأسوي لحكاية البطل العائد من الحرب محمود عبد العزيز الذي أصيب بعجز حركي وجنسي فاضطربت حياته العائلية وعلاقته العاطفية مع زوجته نجوى إبراهيم كرد فعل للأهوال التي عاشها أيام الحرب، وهو معنى سلبي مضاد لفكرة الانتصار والرجولة وخارج من حيث الدلالة والإسقاط عن السياق المنطقي لتطور القصة والأحداث.

ويبقى الفيلم التلفزيوني «حكايات الغريب» للمخرجة إنعام محمد علي نموذجاً مهماً لبساطة التوظيف السينمائي للعمل الأدبي. فالفيلم مأخوذ عن قصة للكاتب الراحل جمال الغيطاني وهو يُشير بشكل رمزي لحدوتة إنسانية تخص البطل الذي لا يمثل نفسه وإنما يمثل عموم الشباب المصري، فالغريب المُختفي الذي تستغرق عملية البحث عنه الزمن الدرامي كله هو مجرد مثال لبطل قد يكون حياً أو ميتاً أو مفقوداً، المهم أنه بطل يعيش في وعي الناس وذاكرتهم ويُعرف لدى كل منهم بعلامة مميزة وهو يشبه كل المصريين في خصاله ونضاله ومصريته.

أما فيلم «يوم الكرامة» فهو روائي تسجيلي طويل للمخرج علي عبد الخالق وهو تجسيد للحمة قتالية حقيقية جرت وقائعها بين القوات البحرية المصرية والقوات الإسرائيلية قبل حرب أكتوبر، وبالتحديد إبان فترة الاستنزاف التي تُعتبر مقدمة تمهيدية للانتصار التاريخي في العاشر من رمضان–السادس من أكتوبر، ويتميز يوم الكرامة بواقعيته الشديدة وتناوله التسجيلي الدقيق للمعركة الحربية البحرية العنيفة التي استمرت نحو 6 ساعات متواصلة.

آخر ما قدمته السينما المصرية في هذا الخصوص كان فيلم «المر» للمخرج شريف عرفة إسقاطاً على الحالة البطولية وتوثيقاً لحرب الاستنزاف بوصفها باكورة الانتصار. أما نصيب السينما التسجيلية فكان يسيراً للغاية ومُختصراً في فيلمين مهمين هما «جيوش الشمس» للمخرج شادي عبد السلام وعبد العاطي و«صائد الدبابات» لخيري بشارة، والأخير يختص بشخصية الجندي المُقاتل محمد عبد العاطي الذي لُقب بصائد الدبابات لقدرته الفائقة في التسديد والقتال، حيث تمكن من اصطياد عدداً كبيراً من المُجنزرات الإسرائيلية ببطولة منقطعة النظير فاستحق أن يكون عنواناً لفيلم وثائقي شديد الأهمية في المشهد التاريخي الخالد.

بائع الورد الذي نسي الشمس لسنوات وقعّ كتاب

غنا عبود: أثار حشريتي ورغبت بكشف خبراته... يوسف الخضر:

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

رحلة لست ساعات برفقة الكاميرا شكلت النواة الأولى لفيلم «يوسف». فيلم وثائقي للمخرجة اللبنانية غنا عبود يستعيد حكاية طفل بات شابا ارتاد شارع الحمرا من عمر 9 سنوات إلى عمر 13 سنة. «يوسف» الذي تأبط الورود الحمراء على مدى سنوات، ليمضي مساءه وساعات الفجر بين رواد الشارع، منتظرا بيع آخر ما لديه من بضاعة صار بطلاً لفيلم يحمل اسمه. بإحساسه الشاب وبخبرته التي راح يكتسبها ويغني مخزونه الداخلي بها، روى الكاتب والشاعر السوري يوسف الخضر. أما قهر الأيام بصقيعها وحرّها، وقلوب متحجرّة لبعض البشر فقد حفرت عميقاً في عيني الشاب وقسمات وجهه وشعره.

الطفل بائع الورد على مدى سنوات لم تشف روحه ومسامه من زوايا شارع الحمرا، ويبدو أنها دخلت دورته الدموية، فبينهما علاقة تختلط فيها الأسئلة مع الإلفة المكسورة بالتعب والشقاء. «مرّت سنين قليل ما شفت الشمس» يقول يوسف في الوثائقي. يصف نفسه بالفاشل «لأني كنت خجولا». طفل وحيد يكابد بين الكبار، والأسئلة تكرج في دماغه الصغير «ليش أنا هيك؟..الله معي أو مش معي؟ وين بتروح الورود بعدين؟»

في أصل الحكاية التي وصلتنا عبر الفيلم أن الطفل الصغير يوسف اختار بإرادته مساعدة عائلته وقرر بيع الورود. لسنوات بقي خاطره مكسوراً لأن العائلة لم تراف بطفولته «كان لازم يوقفوني حتى لو أنا اختررت». نقم على الأهل والله فقد. فهو سمع كثيراً «الله حدّك». تعرض للأذى، اعتصر قلبه، ارتجف جسده وانتظر.. ولم يجد أحداً بقربه. وعاد ليتصالح نفسياً مع الأهل، وينسج علاقة خاصة به وحده مع الله. يوسف الطفل الخجول احتفظ في كبره بمسحة حزن تستوطن عينيه، ظهر دون تكلّف في الفيلم والوثائقي، فالمخرجة مُحبّة. رقة المخرجة غنا عبود وتأثرها بحكاية بائع الورد – الشاعر كانت جلية، وهذا لا يشكل تهمة عليها.

في مكتبة برزخ في شارع الحمرا في بيروت عُرض مؤخراً فيلم يوسف للأول مرة. وتزامناً مع هذا الحدث وقّع بائع الورد الشاعر يوسف الخضر كتابه الجديد الذي حمل عنوان «قبر في الأرض قبر في السماء» الصادر عن دار أبعاد. في هذا الكتاب حضرت زوايا شارع الحمرا، وعلاقة الكاتب بالأمكنة التي لازمها لسنوات. وحضر الوطن والله والأرض وفارس «شقيقه الذي قتلته في الحسكة غارة أمريكية». إذ يخاطبه مباشرة «عزيزي فارس.. لقد توقفت عن خشية الله بعد رحيلك، لأنني عرفت أن الله لا يملك عقاباً، أشد قسوة من غيابك».

مع المخرجة والشاعر هذا الحوار:

غنا عبود: صمته البليغ يثير حشريتي

○ متى كان لقاؤك الأول بيوسف؟

● لا أذكر تاريخ لقائي الأول بيوسف، لكني أذكر أنه تمّ بحضور صديقنا المشترك الكاتب والشاعر أدهم الدمشقي. من المؤكد كان اللقاء في شارع الحمرا.

○ هل وافق دون تردد أن يكون في فيلم وثائقي؟

● لم أشعر بتردده بل على العكس، سريعاً وافق وحددنا يوم التصوير. شعرت بتردده لدى مشاهدته للفيلم قبل انجازه النهائي. مصدر التردد صدقه المطلق فيما قاله. وعندما قررنا عرض الفيلم كان حماسه يفوق حماسي.

○ هل أنت من رسم مسار الساعات الست للتصوير أم تركت للعفوية دورها كما ظهر يوسف؟

● لم أكن حيال أي قرار مسبق سوى السير معه للتصوير في ليلة ما، وفي شارع الحمرا. مشينا معاً في طريقه الدائم لدى بيعه للورد بين مقهى روسّا وملك البطاطا. الفيلم بكامله كان عفوياً. ركبنا السيارة في النهاية حماية لنا من المطر، وكي نوصل يوسف إلى منزله. ومن المؤكد أني حضّرت بعض الأسئلة، واستدعت إجاباته اسئلة عفوية ولدت في اللحظة.

○ لماذا اخترت تصوير يوسف من الخلف في أكثر المشاهد؟

● سبب التصوير من الخلف أني كنت أعجز من اللحاق به، خطواته سريعة. بشكل عام ولدى مراقبتي لأعمالي أرى أني أصوّر أبطالي من الخلف. أجد جمالية في هذا التصوير ورغبة التعرّف على الآخر الذي يحمل لغزاً.

○ ما الذي جذبك في شخصية يوسف؟

● الجاذب الأول أنه بائع الورد الذي صار كاتباً. وجدت في مسار حياته خيرة كبيرة، ومحطات جذابة لي كصانعة سينما. رغبت بالوقوف على اختبارات بائع الورد الصغير، وبالتعرف من خلاله على كافة بائعي الورد. حشريتي دائمة بالتعرّف إليهم كيف يفكرون وكيف يواجهون الحياة. يوسف صامت في اغلب الأوقات لكن داخله يختلف. هو مراقب دقيق، طارح للأسئلة ومحلل للمواقف. أعماقه غنية، لهذا بحثي دائم عن الذي يختبئ في داخله. صمته البليغ يثير حشرية التعرّف إلى داخله. ربما الخبرات التي عاشها تشكل سبباً لصمته هذا وعمقه.

○ أين سيعرض الفيلم؟ هل له حظ المشاركة في مهرجانات؟

● بعد عرض الفيلم في مكتبة برزخ في شارع الحمرا. سنرسله إلى المهرجانات، ونأمل أن يكون له حظ المشاركة.

يوسف الخضر: الحمرا جزء من ذاكرتي

○ أربع سنوات من طفولتك تداخلت مع ليل شارع الحمرا في بيروت. الآن وأنت كاتب تشق طريقك كيف ترى صلتك بالأمكنة التي زرعتها جيئة وذهاباً؟

● بالحديث عن الأمكنة، أشنع البلاد هي التي تعطيك خياران لكي تعيش، إما أن تكون شجاعاً زيادة عن اللازم أي «وحش» أو جباناً زيادة عن اللازم أي «ضحية». ولطالما حلمت بالعيش في بلد يمنحني الخيار الثالث وهو أن أكون إنساناً، إنساناً لا أكثر. لهذا قد أغادر لبنان ذات يوم، لكنني وأنا أعني ما أقول إذا أصبت بالعمى ذات يوم، سأطلب من القربين مني إعادتي إلى الحمراء بالتحديد. لأنني ولكثرة ما جلت فيها سيراً على قدميّ أستطيع الآن ودون مبالغة، أن أركض في شوارعها معصوب العينين. فصلتي بهذه المنطقة وهذه الشوارع تخطت مفهوم الجنسية والأصول العرقية. إنني وبطريقة ما صرت جزئاً لا يتجزأ منها، لا أختلف عن كوني حجرا نابتاً في أحد أرصفتها أو لافتة تشير إلى مكان ما فيها، وهي بدورها أصبحت جزئاً من ذاكرتي، جزئاً راسخاً يصعب قهره بالنسيان.

○ ليل الشارع والناس الذين يغزون عتمته هل إستولدوا لديك أسئلة محيرة في الصغر؟ وما هي؟

● لم يكن هناك معهد أو مدرسة أذهب إليها، لم يكن لدي سوى عيني ودماغي وقلبي فاستخدمتها باقصى ما استطعت. لفترة طويلة كنت أقرأ وأراقب بصمت. صادفت كل أنواع البشر ولحسن حظي لم يكن أحدا منهم يعرف أنني كاتب، بالتالي كانوا يظنون أنني مجرد طفل، بائع ورد مهمش، وهذا مكنني من رؤيتهم على حقيقتهم. فالناس عموماً يميلون لقول الحقيقة لمن يظنون أنه أضعف منهم، فقول الحقيقة غالبا ما يحتاج إلى الشجاعة. وهم بالطبع لم يخشوا الظهور على حقيقتهم أمام مشرد. هكذا مُنحت فرصة أن أكون مرآة وقفوا جميعهم أمامها حفاة وعراة. في تلك الفترة، تفاهمت مع الأغبياء بمجاراتهم وتفاهمت مع الأذكياء بالاستماع إليهم، وتفاهمت مع الحمقى بالابتعاد عنهم. وكل ذلك كان يسيرا، ففي الحقيقة أكثر من واجهت صعوبة في التفاهم معه، هو أنا نفسي. لقد ألقي بي فجأة في الشارع، فكان عليّ أن أواجه كل شيء من خلال التجربة ودون أي معرفة مسبقة. بتعبيرٍ آخر، الناس يتعلمون السباحة كرياضة أو هواية ممتعة، أما أنا فتعلمتها بينما كنت أحاول النجاة من الغرق.

○ في وثائقي «يوسف» كانت لديك أسئلة عن الله وفي كتابك «قبر في الأرض قبر في السماء» قلت أنك لم تعد تخشاه بعد رحيل فارس. هل ما تزال علاقتك إشكالية بالله؟

● يحتج المتشددون دينياً بقولهم أننا ولجرد امتلاكنا أطراف وأعضاء جسم سليمة، فهذا بالضرورة يجبرنا على الشعور بالامتنان والصلاة، وأنا هنا أريد أن أسألهم: ماذا أفعل بعينيّ إن كان كل شيء حولي قبيحاً؟ ما الذي أفعله بقدميّ إن لم يكن لدي مكان أذهب إليه؟ ما الذي أفعله بمعدة سليمة لكن خاوية؟ ثم مال الذي أفعله بيدي التي لم أعد أستطيع أن ألمس بها يد أخي الصغير الذي قضى في الحرب؟ برأيي يجب أن يوجد شخص واحد على الأقل في هذا العالم يتعامل مع الله على أنه رئيس دولة ويطالبه بالالتزام تجاه شعبه. وفي حال اعتُبر كلامي هذا هذيان فارغ، فهذا يعني بالضرورة أن فكرة الأديان أيضاً هذيان فارغ. أما إذا فكرنا جدياً بمسؤولية الله عما يحصل فهو مطالب بإنهاء هذه المأساة، وإلّا فالشك هو الخلاص الوحيد. وليقوم كل فقراء هذا العالم بتوجيه ثقتهم العمياء نحو أنفسهم، بدل توجيهها نحو رجال الدين.

○ هل وافقت بسهولة أن تكون أمام كاميرا غنا عبود؟

● لم يكن الأمر بتلك السهولة، فللكاميرا رهبة لا يمكن تجاهلها، إنها إذا صح التعبير: آلاف العيون مضغوطة بعين واحدة تحدق بالشخص الواقف أمامها وخاصةً إذا كان ذلك الشخص مجرد طفل. لكن بوجود غنا إلى جانبي وبحكم صداقتنا الطويلة، فذلك ساعدني كثيراً، ومنحني الطمأنينة الكافية لقول ما لدي.

○ قصيدة «وجهي الرصيف» مزجت بين الفصحى والعامية. كيف تفسّر المقاصد الأدبية في هذا الشكل من الكتابة؟

● يلجأ الإنسان لا إيرادياً إلى التحدث بلغته الأصلية حين يخرج عن طوره، ربما في الجدالات المستفزة أو حتى في المشاجرات، يحدث هذا حتى إذا كان المتلقي لا يفهم تلك اللغة أو اللهجة. وهذا ما حصل معي، حين كتبت تلك النصوص كنت خارجا عن طوري، فسقطت فيها كلمات بلهجتي الأصلية.

○ نقرأ كلمات قصيدة «وجهي الرصيف» وندرك أنك غادرت الشارع وهو لم يغادرك. هل شارع الحمرا مرض ترغب بالخلاص منه؟

● ثمة شيء خاص قابع في ذاكرة كل إنسان، شيء لا يستطيع استيعابه كما هو ولا يستطيع نسيانه بشكل تام، كالندبة لم يعد مصدرا للألم، لكنه لن يزول إلى الأبد. شارع الحمراء هو ذلك الشيء بالنسبة لي.

شعر وصار فيلماً حقيقياً عنوانه «يوسف»

في شارع الحمراء تعلمت السباحة للنجاة من الغرق

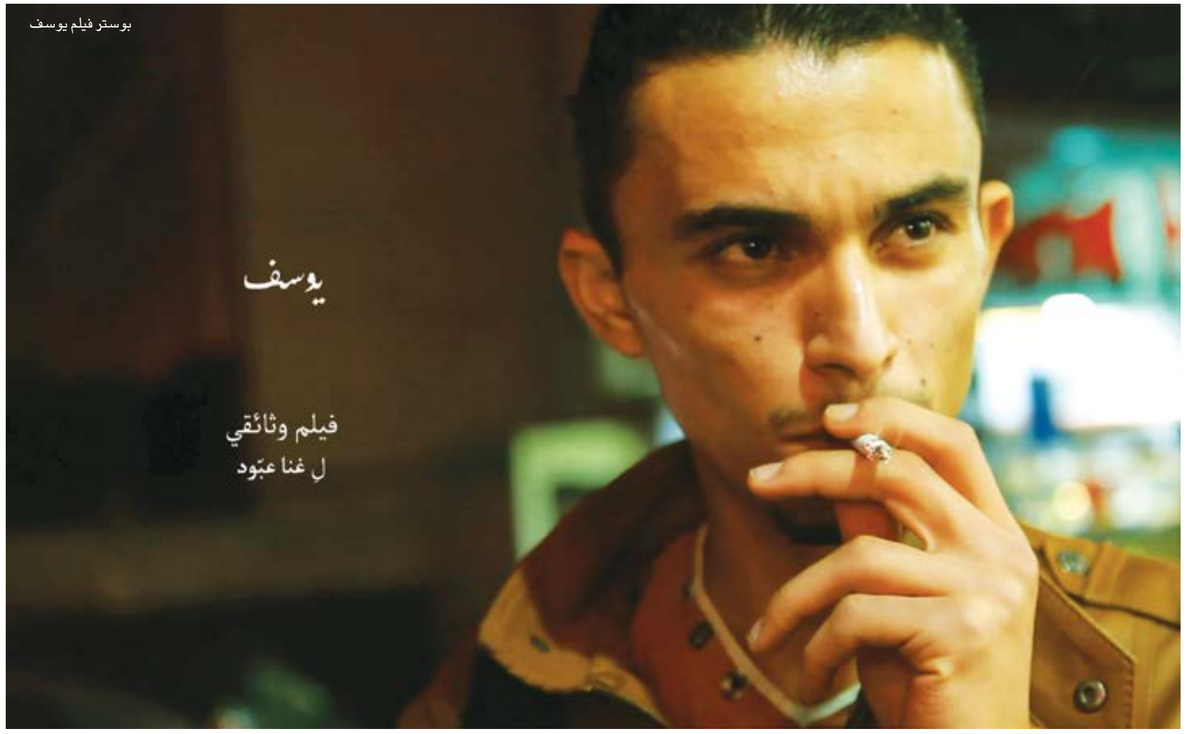

بوستر فيلم يوسف

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثالثة والثلاثون العدد 10397 الأحد 26 أيلول (سبتمبر) 2021 – 19 صفر 1443 هـ
Volume 33 - Issue 10397 Sunday 26 September 2021

في روان الفرنسية:
جدلٌ بسبب استبدال نابليون بونابرت بجيزيل حليمي

باريس ـ «القدس العربي»: آدم جابر

أثارالعمدة الاشتراكي الجديد لمدينة روان بشمال غرب فرنسا الجدل بتحركه الرامي إلى إطلاق استشارة لاستبدال تمثال نابليون بونابرت وهو يمتطي حصاناً، والذي يتم ترميه في الوقت الحالي، بنصب تذكاري آخر يحمل صورة جيزيل حليمي، المحامية والناشطة النسوية الفرنسية، المعروفة بمعارضتها للاستعمار الفرنسي للجزائر وبدفاعها عن «جبهة التحرير الوطني» الجزائرية.

وفي حزيران/يونيو عام 2020 كان حصان الإمبراطور بونابرت، ضحية تسرب المياه على مستوى ساقه، مهدداً بالانهيار على ساكنة مدينة روان، قبل أن تتدخل العمدة السابقة للمدينة على وجه السرعة للمباشرة في أعمال ترميمه. وبوصوله إلى رئاسة البلدية، في أعقاب الانتخابات البلدية الأخيرة، قرر العمدة الجديد الاشتراكي نيكولاس ماير روسينول «اغتنام الفرصة لفتح النقاش» حول إعادة تطوير الموقع، مقترحاً «استبدال التمثال الفروسي لهذه الشخصية التاريخية العظيمة بنصب آخر لامرأة عظيمة في عصرها».

واقترح العمدة الاشتراكي «بصفة شخصية» المحامية جيزيل حليمي، وأعلن عن إطلاق «استشارة» بشأن هذا الموضوع، مشيراً إلى أنه اقترح فكرته هذه حين كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يفكر في نقل رفات جيزيل حليمي إلى مقبرة «عظماء فرنسا» (البانتيون) في قلب باريس. لكن العمدة أوضح أنه لم يتوقف عند اختيار جيزيل حليمي، مشددا على أن الموضوع الأساسي الحقيقي بالنسبة له هو مكانة المرأة في الفضاء العام.

غير أن النقاش سرعان ما تحول إلى جدل واسع، حتى قبل بدئه، مع معارضة ممثلي أحزاب اليمين للخطوة. وقد ندد اتحاد الطلاب اليميني في مدينة روان بالخطوة، مشدداً، في بيان، على أن «هذا النصب صمد في حربين عالميتين، وسوف يقاوم الاشتراكية».

علاوة على ذلك، عبر مدافعون محليون عن التراث، والبعض من مستخدمي الإنترنت ومحبي الإمبراطور نابليون بونابرت عن غضبهم حيال هذا المقترح.

ومع ذلك، يبدو أن المتخصصين في الأحجار القديمة أخذوا مقترح العمدة الاشتراكي على محمل الجد، حيث سيكون على جدول أعمال اللجنة الإقليمية للهندسة المعمارية والتراث في اجتماعها المقبل الذي لم يتم بعد تحديد موعده.

وفي مواجهة الانتقادات والجدل بشأن مقترحه، حث العمدة الاشتراكي نيكولاس ماير روسينول أهمية إجراء نقاش هادئ من دون الوقوع في الرسوم الكاريكاتورية، مشددا على أنه لا ينوي أبداً «إبادة التاريخ أو نبذ نابليون وإنزاله من مقامه».

خباز تونسي سيزود الإليزيه بالخبز لعام
بعد فوزه بمسابقة «أفضل باغيت في باريس»

فاز خباز مولود في تونس أمس في مسابقة «أفضل باغيت في باريس» إثر منافسة محتدمة، ما سيخوله تقديم هذا النوع الفرنسي الشهير من الخبز على مائدة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في قصر الإليزيه لمدة عام.

وقد تنافس هذا العام أكثر من 170 خبازا باريسيا لنيل جائزة أفضل خبز باغيت في المدينة، من أصل 1107 خبازين حرفيين في العاصمة الفرنسية مهد الباغيت.

ويعمل الخباز الفائز، وهو مكرم العكروت، في مخبز «لي بولانجيه دو رويي» في الدائرة الثانية عشرة في باريس. واعتبر الخباز البالغ 42 عاما والذي يعمل منذ 19 عاما في فرنسا بعد مغادرته تونس، أن هذا اللقب يشكل «حصاد سنوات من الخبرة».

وقال العكروت «أنا فخور جدا» مضيفا «يجب أن أكون على المستوى المطلوب، مع كل هؤلاء الأشخاص الذين سيأتون إلى هنا لتذوق أفضل خبز باغيت في باريس».

وكان العكروت قد حل عاشرا في هذه المسابقة سنة 2017 ثم جاء سادسا في 2018.

وبالإضافة إلى الجائزة، نال العكروت الحق في تزويد قصر الإليزيه بخبز الباغيت على مدى سنة. وهو قال «سأتحضر لهذه المهمة».

وفي مكاتب نقابة الخبازين وصانعي الحلويات في منطقة باريس الكبرى، في وسط العاصمة الفرنسية، جرى تلقي كل قطع خبز الباغيت الجمعة ووُضعت أرقام لها من دون كشف أسماء الخبازين الذين حضّروها.

وبعدها تولت لجنة مؤلفة من 12 متخصصا في القطاع ومن سكان باريس تذوق قطع الخبز المختلفة ووضع علامات لها تبعا لمعايير خمسة: المظهر والرائحة ودرجة الطهو والتجويفات في داخل الجزء الطري من الخبز، والمذاق بطبيعة الحال. ويتعين أن تكون كل قطعة خبز مصنوعة بالطريقة التقليدية، بزنة تراوح بين 264 غراما و314 وطول يراوح بين 55 سنتيمترا و70.

(أ ف ب)

ضبط أكثر من ثلاثة آلاف من زعانف أسماك قرش في كولومبيا

ضبطت السلطات الكولومبية آلاف زعانف أسماك القرش قبل أن تشحن بشكل غير قانوني إلى هونغ كونغ، كما أعلن مسؤولون.

وقالت وزيرة البيئة في بوغوتا كارولينا أوروتيا إن السلطات الكولومبية «ضبطت 3493 زعنفة قرش و117 كيلوغراما من مئانات أسماك كانت في طريقها إلى هونغ كونغ».

وتضيء هذه الشحنة على الطلب المستمر على زعانف أسماك القرش التي تقدّم في حفلات الزفاف في بعض المجتمعات الصينية ويزعم أنها تملك خصائص طبية.

واكتشفت الزعانف التي استحصل عليها من قرابة 900 إلى ألف سمكة قرش أمس في خمسة صناديق في مطار إلدورادو، أكثر مطارات بوغوتا ازدحاما.

وقالت أوروتيا إن الزعانف التي أزيلت من «أكثر من ثلاثة أنواع» من أسماك القرش، قد يكون استحصل عليها من خلال «الصيد غير القانوني» مُدينة «الضرر البيئي الذي لا رجعة فيه الذي لحق بالنظام البيئي البحري في كولومبيا».

وأوضحت المسؤولة أن الشرطة الوطنية ستتولى التحقيق.

وصيد أسماك القرش في كولومبيا التي تضم 76 من أصل 500 نوع معروف من القرش، حظّر منذ العام 2020 في محاولة لوقف تجارة الزعانف في آسيا.

وفي هونغ كونغ، لا يعتبر بيع زعانف القرش واستهلاكها غير قانوني، لكن يجب أن تكون هذه العملية مرخصة، وما زالت تتمتع بشعبية كبيرة رغم سنوات من حملات التوعية.

(أ ف ب)